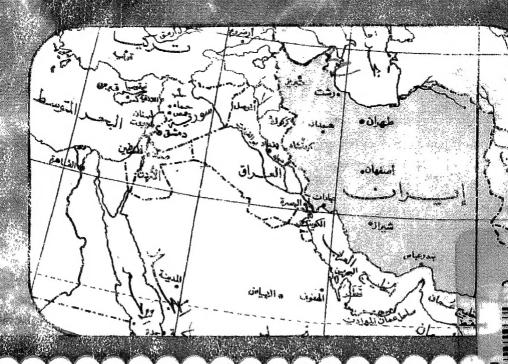
TARST & STANT & STANT



by Donald N. Wilber

دارالكتاباتحصرك

دارالكتاباللبنائح

دوبنافس ولسيبر

ه عن زنه

وكتورعبد النصيرهم وحسار

إيران ماضيها وحاضرها IRAN PAST&PRESENT

تأليف دوسالد ولسبر

by Donald N.Wilber

ترجه عن الانجليزية **الكتورعبدالنعيم محمد خسستين** أستاذكرسى ورئيس تسم اللغات الشرقية ولَذابها كلم الكياب جامع عين شمس

جميع الحقوق محفوظة

الناشسرون

دارالكتاب للصرى دارالكتاب اللبنانت



بعييع حقوق الطبع والنشر معطوفاة للناشس

دارالكتاب الصرك

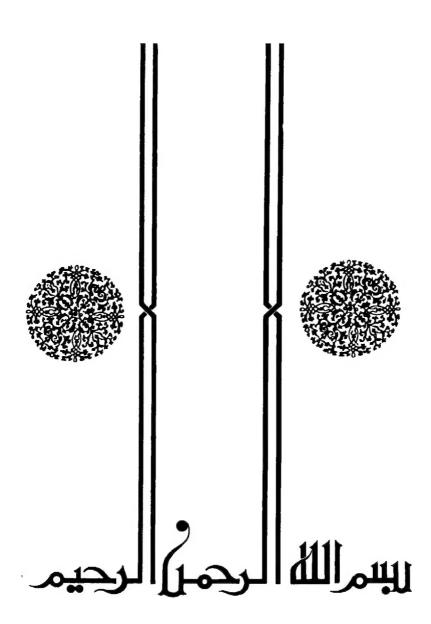
۲۳ شانع قصر الشيسل - ص.ب ۱۵۹ ت ۱۹۸۱/۷۱۲۹۸ و ۱۹۵۳ برقيا (كتامصر)

TELEX: 92336

ATT:134 KT.MCAIRO

BEIRUT

الطبعة الثانية ١٩٨٥م -١٩٨٥م



بسته التدالرحم فالرحيم

عرّف دونالدولبر مؤلف هذا الكتاب إيران ماضيها وحاضرها به بإيران منذ أقدم ماعرف عنها إلى عام ١٩٥٠م حين نشر الكتاب في عصر الشاه محمد رضا بهلوى آخر ممثلي النظام الملكي في إيران ، وقمت بترجمة الكتاب لما تضمنه من معلومات صحيحة مفيدة للدارسين والمثقفين في عام ١٩٥٨ بعد بضع سنوات من صدوره بالإنجليزية ، وصدرت ثلاث طبعات أخرى للكتاب في أثناء حكم الشاه نفسه مع تكلة لبعض المعلومات في الهوامش ، دون زيادة على نص الكتاب نفسه .

غير أن الأحداث تلاحقت في إبران في عام ١٩٧٨ بما يشير إلى اهتزاز النظام الملكى وتداعيه ، فاشتدت المعارضة للنظام الملكى –الذى يمثله الشاه – وكثرت المطالبة بالقضاء عليه وإسقاطه ، وركب رجال الدين وعلماء المذهب الشيعى – بزعامة آية الله الخميني – موجة الأحداث ، ونادى الخميني من منفاه بباريس بفرنسا بضرورة إقامة حكومة إسلامية في ظل نظام جمهورى في إيران يحل محل الملكية المنهارة – حينذاك – ولم تلبث الثورة الإسلامية أن حققت نجاحا باهرا في أوائل عام ١٩٧٩م ، فأسقطت النظام الملكى بعد عودة الخميني إلى إيران ، ودخولها دخول الظافرين ، فأسدل بذلك الستار على النظام الملكى الذي ظل قائما في إيران أكثر من خمسة وعشرين قرنا من الزمان .

واستقر المطاف بالشاه فى القاهرة بجمهورية مصر العربية ، ولم يلبث أن توفى ودفن فيها ، صحيح أن ابنه رضا الثانى قد أعلن نفسه ملكا بعد ذلك ، لكن هذا لا يعنى عودة النظام الملكى إلى ايران لأنه شئ شكلى على الورق ، لا يقض مضجع الثورة الإسلامية القائمة فى إيران فى الوقت الحاضر ، ولا يؤثر فى سير الأحداث فيها فى قليل أو كثير.

وأصبحت الثورة الإسلامية فى إيران منذ قيامها حتى هذه اللحظة - شغل العالم بعامة ، والدول الإسلامية والعربية بخاصة ، وكثرت الكتابات عنها من مؤيديها ومخالفيها على السواء خاصة بعد اشتعال نيران الحرب فى الحليج بين العراق وإيران ، وهى حرب دخلت عامها الرابع أى الجزء الأكبر من عمر الثورة الإسلامية نفسها ، منذ قيامها حتى الآن .

ولهذا وجدت من الضرورى والمفيد أن أضيف إلى هذا الكتاب جزءا جديدا أتابع فيه سير الأحداث في إيران في العصر الحاضر حتى أصل إلى قيام الثورة الإسلامية حتى تكتمل ملامح صورة إيران في حاضرها كها اكتملت في ماضيها . وكنت في الحقيقة – منذ نجاح ثورة الخميني – أتردد في الكتابة عنها ، والتعريف بها ، حتى تتضح صورتها ، وكنت أنوى القيام بزيارة لإيران في ظل هذه الثورة ، حتى تكون دراستي على الطبيعة والواقع ، ولكن تطور سير الأحداث في إيران بعد نجاح الثورة ، ثم قيام الحرب بينها وبين العراق حالا بيني وبين إخراج تلك النية إلى حيز التنفيذ ، فاضطررت إلى الكتابة عنها في القسم الأخير الذي أضفته إلى هذا الكتاب تأليفا ، تحت عنوان «إيران في حاضرها » وأعنى بهذا إيران في ظل ثورة الخميني .

وقد اجتهدت - قدر المستطاع - أن أكون موضوعيا فلا أتعصب لثورة الخميني ، كما لا أتحامل عليها وأتعصب ضدها لأن التعصب يفسد العلم ويحجب الباحث عن رؤية الحقيقة ، كما أن التعصب ليس صفة محمودة في الباحث ، أيا كانت جنسيته وعقيدته .

ولهذا حاولت - فى القسم الذى أضفته - أن أعرض الأحداث التى سبقت قيام الثورة الخمينية ومهدت لظهورها واشتعال نيرانها - كها وقعت - دون تعليق عليها ، تاركا للقارئ حرية فهمها - دون توجيه لها - والاشتراك معى فى فهم الحقيقة التى تبدو من ثنايا هذه الأحداث .

وقد ساعدت سیاسة الشاه محمد رضا بهلوی علی إشعال نیران الثورة ضد النظام الملکی الذی بمثله ، واعترف بنفسه بعد خروجه من إیران واستقراره فی القاهرة – بعد نجاح ثورة الخمینی – أنه کان یدور فی فلك الغرب ، ویرسم مستقبل بلاده بمفرده ، فقال بالحرف الواحد (۱) «إن هناك إرادة ماشاءت أن أخرج من إیران ، أرادوا أن أخرج لأنی کنت مستقلا فی تفکیری وتدبیری ورسم مستقبل بلادی ، ولعلی کنت مستقلا أکثر مما یجب ، إننی الآن أری کل شئ بوضوح ، أری کل أخطائی ، ومن بین أخطائی المیتة أننی صدقت الغرب کالأعمی وأننی أخذت قضیة صداقة الغرب شیئا مسلما به ، لقد کنت أعمی ، وبعد أن أخذت قضیة صداقة ، ذهبت بسرعة إلى ماتمنیته لبلادی أعطیت بلادی أخطیت بلادی أخش وأکبر مما تقدر علی هضمه » .

والواقع أن الشاه محمد رضا بعد إسقاطه حكومة محمد مصدق الوطنية بمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية ، وعودته إلى إيران بعد فراره منها ، انتهج سياسة موالية للغرب باعترافه ، وصار يمثل دور شرطى الغرب فى منطقة الخليج ، ثم أنشأ جهاز السافاك (٢) للبطش بمخالفيه ، فشاع الحوف والرعب بين طوائف الشعب الإيراني ونني الزعيم الديني آية الله العظمى روح الله الخميني من إيران إلى العراق فى عام ١٩٦٤ ثم أوعز إلى العراق أن يخرجه من أراضيه ، فخرج الخميني إلى أن تركيا ثم إلى فرنسا حيث استقر به المطاف فى العاصمة الفرنسية باريس إلى أن عاد إلى إيران منتصرا وانتقم من الشاه بإسقاط نظامه الملكي وإعلان الجمهورية الإسلامية فى إيران .

وقد حاول الشاه أن يقوم بإصلاحات فحاول تطوير الزراعة والصناعة

 ⁽۱) جاء هذا فی حدیث صحنی أجراه معه أنیس منصور ونشر بالقاهرة فی مجلة ۲ أكتوبر العدد
 ۱۹۲ الصادر فی ۲۹ یولیة من عام ۱۹۸۰ .

عرفت بجهاز السافاك في القسم الأخير الذي أضفته إلى الكتاب.

وفرنجة المجتمع الإيرانى ، فقام على حد تعبيره بثورة بيضاء فى عام ١٩٦١ ولكنه فشل باعترافه فشلا ذريعا لأنه حاول أن يفعل فى بلاده أكثر وأكبر مما تقدر على هضمه وكانت النتيجة أن تردت الأوضاع فى إيران ، وأخذت تسير من سئ إلى أسوأ وفشل حزب الشاه الحاكم فى إصلاح الأوضاع الاقتصادية والحد من التضخم ، ومعالجة المشاكل الاجتماعية ، والتخفيف من سخط الشعب الإيرانى على الشاه ونظامه ، فتمكن أعداء النظام الملكى من تنظيم صفوفهم وتعاونت القوى الثورية على اختلاف منواهبها ومشاربها على إحراج النظام الحاكم ، ثم زلزلة أركانه وهدم بنيانه .

وقد عرضت الأحداث التي أدت إلى إسقاط النظام الملكى في إيران ، وإبداله بالنظام الجمهورى الإسلامي وفقا لمبادئ المذهب الشيعي الاثني عشرى - كما حدثت - دون تلوين لها أو تغيير في ملاعها - كما ذكرت اظهرت الأحداث أن الخميني لم يكن المخطط الحقيقي للثورة التي عصفت بالنظام الملكي في أوائل عام ١٩٧٩، وإنما المخطط الحقيقي لهذه الثورة هو الدكتور أبو الحسن بني صدر أول رئيس لجمهورية إيران الإسلامية بعد نجاح الثورة ، وهو مقيم حاليا في باريس بعد عزله وهروبه من إيران.

أما الخميني فقد ركب موجة الأحداث ووجد فيه الثوار رمزا يلتّفون حوله ، وتتجمع صفوفهم حول رايته ، وبعد نجاح الثورة أمسك أعوانه بزمام الأمور في إيران ، وكانت الموجة عارمة ، فلم يتمكن الخميني نفسه من السيطرة عليها ، لأن الرغبة في الانتقام من أعداء الثورة ، غلبت على الرغبة في التصدى لحل المشاكل التي قامت الثورة من أجل التصدى لها وحلها ، فتفجرت المشاكل الداخلية وفي مقدمتها مشكلة الأقليات الدينية والعنصرية كمشكلة الأكراد ، كها تفجرت المشاكل الخارجية ، وفي مقدمتها مشكلة الحدود المشتركة بين إيران والعراق في منطقة الخليج وهي المشكلة التي أشعلت نيران حرب ضروس بين الدولتين مازالت مشتعلة إلى هذه اللحظة ، وهي حرب نهدد أمن الخليج والعالم كله ، ولا يعلم إلا

الله نتائجها الخطيرة ، بعد أن فشلت – حتى الآن – جهود الوساطة التى بذلت لوضع حد لها ، وإنقاذ الدولتين المتحاربتين والعالم من ويلاتها . وأرجو أن تكتمل بالقسم الأخير – الذى أضفته إلى هذا الكتاب – ملامح صورة إيران فى ماضيها وحاضرها على السواء .

وما توفيتي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

القاهرة فى ١٧ ربيع الثانى من عام ١٤٠٤ هـ الموافق ٢٠ يناير من عام ١٩٨٤ م

عبد النعيم محمد حسنين

ايران في حاضرها

تمهيد:

تغيرا جذريا ، فتغير أسلوب حياتها السياسية والاجتاعية والاقتصادية والفنية ، تغيرا جذريا ، فتغير أسلوب حياتها السياسية والاجتاعية والاقتصادية والفنية ، وظهر ذلك بوضوح فى مظاهر النشاط البشرى المختلفة فى هذه البلاد ذات الحضارة العريقة التى تغوص جذورها فى أعاق الزمن إلى مسافات بعيدة ، كا تغيرت صبغة الحضارة فيها ، فقد كان النظام الملكى سائدا فيها قبل شروق شمس الإسلام عليها ، وظل سائدا بعد أن دخلت إيران تحت راية الإسلام ، واستظلت بظله ، فسقط هذا النظام الملكى بعد أن ظل قائما أكثر من خمسة وعشرين قرنا من الزمان ، واستبدلته ثورة الخميني بالنظام الجمهورى ، وتغير كذلك أسلوب الحياة فى إيران المعاصرة فى جميع جوانبها ، وفى مختلف ميادينها بحيث أصبح لزاما على الدارس لحضارة إيران فى ماضيها وحاضرها أن يدرس ثورة الخميني دراسة علمية وموضوعية لا تتحيز لها ولا تتحامل عليها ، لأن التعصب للشي أو عليه يحجب عن الدارس الرؤية الصحيحة للأشياء على حقيقها ويحول بينه وبين الحكم الصحيح على الأحدات ، ينتنى بذلك العلم الصحيح بها ، لأن العلم لا يفسده شي بقدر ما يفسده التعصب سواء كان للشي موضع الدراسة أو كان يفسده شي بقدر ما يفسده التعصب سواء كان للشي موضع الدراسة أو كان

وسأحاول في هذا القسم الأخير من كتاب « إيران ماضيها وحاضرها » وهو القسم الذي أعددته أنا – تأليفا – بعد أن كان ما سبقه ترجمة عن الانجليزية لما كتبه المستشرق الأمريكي دونالد ولبر. . أقول سأحاول في هذا القسم أن أدرس ثورة الخميني دراسة موضوعية غير متعصبة لها أو عليها وأن أتبين آثارها في إيران في حاضرها الجديد الذي يختلف اختلافا جوهريا عن ماضيها التليد حتى تكتمل ملامح صورة إيران في ماضيها وحاضرها ، وفي حياتها المعاصرة ، وبالله التوفيق ، وهو جل شأنه وحده المستعان وعليه التكلان .

* * *

ثورة الخميني

مقدمات الثورة:

إن الشئ الذى لا شك فيه هو أن ثورة الخمينى لم تقم بين عشية وضحاها بل سبقتها أحداث كثيرة تلاحقت على مدى ربع قرن من الزمان بعد سقوط محمد مصدق وفشل حركته المناوثة للنفوذ الأجنبى فى إيران ، وبعد أن أخذ الشاه (١) محمد رضا بهلوى آخر ملوك إيران يدور فى فلك الولايات المتحدة الأمريكية ، ويمثل دور شرطى الغرب فى منطقة الخليج .

ولأن ظهرت ثورة الخميني في صورة ثورة شعبية ، فإن مسببات ظهورها تكن في تطور العلاقات بين السلطة الحاكمة ممثلة في الشاه محمد رضا وأعوانه ، وبين الشعب بمختلف طوائفه وأحزابه وإن الدارس للأحداث التي سبقت قيام الثورة ليستطيع أن يتبين في سهولة ويسر أن تغير أسلوب معاملة الشاه محمد رضا للشعب الإيراني ساعد على تقوية الاتجاه إلى الثورة عليه ، ومكن الخميني من العودة من المنفي واقتلاع جذور الملكية من إيران .

ويمكن تلخيص أهم الأحداث التي مهدت لقيام الثورة فيا يلي :

أولا: تغيير النظام الحزبي :

كانت فى إيران أحزاب متعددة ، توالى ظهورها بعد قيام الحياة النيابية ، وكثرة ارتفاع الأصوات المطالبة بجعل النظام الديمقراطى هو النظام السائد فى هذه البلاد ، غير أن الشاه أصدر أمرا بتوحيد الأحزاب الايرانية القائمة فى حزب واحد أطلق عليه اسم «حزب رستاخيز إيران » ومعناه بالعربية «حزب نهضة إيران » وأصبح هذا الحزب الجديد حزب الشاه الذى يأتمر بأوامره ، بينا أوقف الشاه نشاط الأحزاب المعادية له ، بحجة توحيد القوى السياسية وتوجيهها إلى اتجاه واحد ، وهى فكرة مستوحاة من النظم الاشتراكية .

⁽١) و الشاه و كلمة فارسية معناها و الملك و .

وقد ظل « حزب نهضة إيران » ممسكا بزمام الأمور فى إيران طوال المدة التى تولى فيها أمير عباس هويدا منصب الأمين العام للحزب مع بقائه رئيسا للوزراء ، فقد استطاع هويدا أن يخمد صوت المعارضة غير أن الشاه لم يلبث أن خشى من ازدياد نفوذ هويدا ، فعزله من رئاسة الوزارة ومن الأمانة العامة للحزب كذلك وعينه وزيراً للبلاط ، وأسند رئاسة الوزارة إلى جمشيد آموزكار الذى لم يلبث أن انتخب أمينا عاما للحزب .

ولم ينحج نظام الحزب الواحد ، فأخذت ريح التغيير تهب في الميدان السياسي وظهرت حركة انشقاق في صفوف الحزب نفسه ويبدو أن الشاه اختلف مع قادة حزب « نهضة إيران » الحاكم فسمح للصحف بانتقاد تصرفات الحزب والمطالبة بتأليف أحزاب أخرى معارضة ، ولاحت في الأتي السياسي في إيران ملامح تحول إيران من نظام الحزب الواحد إلى نظام تعدد الأحزاب مرة أخرى (۱).

ثانيا: ظهور معارضة قوية:

كان فساد نظام الحزب الواحد فى إيران فى أواخر عهد الشاه محمد رضا سببا فى ظهور معارضة قوية فى مجلس النواب الإيرانى، وإن الدارس لما كتبته الصحف الإيرانية الصادرة فى صيف عام ١٩٧٨ م ليدرك وجود هذه المعارضة القوية لنظام الحزب الواحد؛ فقد شهد مجلس النواب الإيرانى فى جلسته التى انعقدت يوم لنظام الحزب الواحد؛ فقد شهد مجلس النواب الإيرانى فى جلسته التى انعقدت يوم ٢١ يونيو ١٩٧٨ حربا كلامية عنيفة بين أنصار الحزب الحاكم ومعارضيه حتى اضطر رئيس المجلس إلى مغادرة القاعة (٢)، مما يشير إلى اضطراب الأوضاع السياسية فى إيران فى ذلك الوقت.

⁽١) صحيفة كيهان العدد ١٠٤٩٥ الصادر في ٣١ حداد ماه من عام ٢٥٣٧ ملكي.

⁽۲) ارجع إلى صحيفة اطلاعات في عددها رقم ١٠٤٩٥ الصادر في أول تيرماه عام ٢٥٣٧ ملكي

وحاولت الحكومة تهدئة الأوضاع فاعلنت ترحيبها بالنقد الموجه لها ، وسمحت بعودة المواطنين الذين كانوا يعارضون النظام وغادروا البلاد خوفا من بطش الحكومة، وأكدت سماحها لهم بحرية النقد والعمل السياسي، وسارعت بإجراء تعديلات في قيادات الحزب، وبدأ الحزب عقد ندوات لمناقشة قضية الحرية وتعدد الأحزاب ، وعبرت الحكومة عن رغبتها في الإصلاح فزادت عدد الطلاب المقبولين في الجامعات ، كها زادت عدد المواطنين المسموح لهم بأداء فريضة الحج ، كها أصدرت عددا من القرارات للتخفيف من أزمة الإسكان وأصدرت كذلك قرارا بتغيير مدير شركة البترول الوطنية كها أعلنت العزم على حل المشكلات الاقتصادية التي تشكو منها البلاد (۱)

ثالثا: تشقق تحالف السلطة (٢):

ومما زاد الطين بلة أن تحالف السلطة لم يلبث أن تشقق بعد ظهور المعارضة القوية في مجلس النواب الإيراني واضطراب الأوضاع السياسية في البلاد ، وفجر هو شنك النهاوندي أحد كبار المنشقين في حزب نهضة إيران الحاكم الموقف حين نشر تقرير لجنة تقصى الحقائق التي شكلها الشاه برئاسته ، مقد كشف التقرير فشل الحكومة في معالجة المشاكل الاقتصادية ومكافحة التضخم ، وعدم انسجام القوانين المالية والضريبية مع التغيرات الاقتصادية ، و ساد الأجهزة الحكومية ، و فقدان التخطيط في الشئون الاقتصادية والعمرانية ، خاصة بعد سنة ١٩٧٤م كما أن الزيادة في دخل البترول ، مع ظهور الفساد في الأجهزة التنفيذية .

جعل كل شئ يمكن شراؤه بالمال مما أدى إلى اضطرابات اقتصادية واجتماعية

⁽۱) ارجع إلى صحيفة اطلاعات في عددها رقم ١٠٩٥٤ الصادر في أول تيرماه عام ٢٥٣٧ ملكي .

⁽٣) ارجع إلى كتاب مسألة الثورة الإيرانية للدكتور محمد السعيد عبد المؤمن لمزيد من المعلومات في هذه المسألة .

وقد اقترح التقرير عدة حلول وطالب بتنفيذها على الفور^(١) كما هاجم التقرير سلطتين قويتين في البلاد هما الحكومة والاتحادات النقابية.

وكان طبيعيا أن يثير هذا التقرير موجات من ردود الفعل من جانب الحكومة والاتحادات النقابية ، أما الحكومة فقد استجابت لما جاء فى التقرير فأباحت المظاهرات السياسية والاجتاعية تحت رقابة القانون ، ولم تتدخل فى انتخابات نقابة المحامين القوية مما سمح بنجاح شخصيات قوية معروفة بميولها الثوريه فاختير حسن نزيه نقيبا للمحامين وعبد الكريم الأنوارى وهدايت الله متين دوترى نائبين للنقيب .

وأما الاتحادات النقابية فقد استنكرت ما جاء في التقرير فازداد تشقق تحالف السلطة مما أدى إلى ازدياد الاضطراب السياسي ، واختلال الأوضاع بعامة في إيران ، وأخذت نقابة المحامين بعد تحررها تساهم في توجيه الأحداث السياسية في إيران ، وطالب مجلس إدارتها بالدفاع عن المتهمين السياسيين في المحاكم المدنية والعسكرية ، كما طالب بإعادة محاكمة المعتقلين السياسيين (١) وتفكك الحزب الحاكم إلى أجنحة مختلفة المشارب والمناهج ، وهكذا ازداد التشقق في اتحاد الساسية السلطة ، وازدادت الأحوال في إيران اضطرابا وكسترت التيارات السياسية المتعارضة المتضاربة ، وصار الجو مشحونا بالنذر ، مليئا بالمتفجرات ، وباتت الليالي من الأيام حبالي ، وقد يلدن كل عجيب .

أما الجامعات الإيرانية فقد ظلت طوال سنوات حكم الشاه خصما عنيدا للنظام ، لأنها كانت مشحونة بالأفكار التحررية المتباينة من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار ، وأما الشاه فقد سلك أساليب متعددة في التعامل مع الجامعات

 ⁽۱) نص التقرير منشور فى كتاب مسألة الثورة الإيرانية للدكتور محمد السعيد عبد المؤمن ص ٤٧ ٤٩ نقلا عن جريدة اطلاعات العدد ١٥٦٥١ الصادر فى ١٩ تيرمن عام ٢٥٣٧ ملكى .

⁽٢) جريدة آيندكان العدد ٣١٦٧ الصادر في ٢٤ تيمن عام ٢٥٣٧ ملكي.

تتراوح بين الاسترضاء والقهر، فحاول إسكات الأصوات المعارضة لنظامه عن طريق إبعاد الأساتذة أو اعتقالهم أو فصلهم أو منع ترقيتهم أو تهديدهم فى أنفسهم وعائلاتهم، مع تعيين الموالين لنظامه فى الوظائف الحساسة بالجامعات وإغداق المزايا والهبات عليهم، كما حاول كذلك استرضاء الأساتذة بزيادة مرتباتهم ومكافآتهم زيادة كبيرة، وإغراقهم بمزايا مادية لم يكن لهم سابق عهد بمثلها، فسكت بعض الأساتذة وآثروا السلامة، وظل البعض الآخر تعلو أصواتهم بمعارضة النظام بين الحين والحين.

وأما طلاب الجامعات فكانوا شغل النظام الشاغل ، فقد اعتنقت طائفة منهم المبادئ الشيوعية ، بينا وجد حاة المذهب الشيعى في الجامعات تربة مناسبة لنشر مبادئ التشيع ، فاعتنقتها طائفة أخرى من طلاب الجامعات لتصمد في وجه الشيوعيين الملحدين ، ولم يفكر النظام الحاكم في قهر الجاعة الإسلامية ليستفيد منها في مواجهة الشيوعيين.

وقد استعمل الشاه مختلف الأساليب لإسكات صوت الطلبة المتمردين على نظامه ، وتنوعت هذه الأساليب بين القهر والتعذيب والسجن والحرمان من استكال الدراسة ، ونشر الجواسيس بينهم لإثارة الرعب في نفوسهم فكان الطلاب يتحينون الفرصة للعمل ضد الحكومة والنظام ، وهكذا تلاقت مطالب الأساتذة مع مطالب طلابهم حين اجتمعوا في جامعة طهران ، واتفقوا على مطالبة الحكومة بضهان حرية القول والبيان والفكر وإلغاء الحرس الجامعي ، ومنح الاستقلال الكامل للجامعات ومعاهد التعليم العالى ، وإعادة الجامعيين طردوا من الجامعات لأسباب واهية أو استقالوا بسبب مضايقات النظام لم ، وتوفير المناخ الملائم للطلاب للدراسة وإحياء النشاط الاجتاعي ، وإعادة الطلاب الذين طردوا من الجامعات بسبب نشاطهم السياسي (۱) .

⁽١) جريدة كيبان، العدد ١٠٥٩١ الصادر في ٢٩ من عام ١٣٥٧ هـ. شمسي.

وهكذا أخذت مظاهر الاعتراض على الحكومة تتخذ شكلا أكثر عنفا فكثرت مظاهرات الطلاب ، وازداد العنف ، وكثر اعتقال الأحرار وتقديمهم للمحاكمة ، وبات حدوث ثورة مضادة للنظام الحاكم أمرا وشيك الحدوث . رابعاً : فشل الشاه في احتواء الأوضاع الجديدة :

ولقد حاول الشاه احتواء الأوضاع الجديدة ، وامتصاص غضب المتمردين من الطلاب وغيرهم من طبقات الشعب المختلفة ، ولكنه فشل فى ذلك فشلا ذريعا ، وتوالى قيام المظاهرات ، وظهور أعمال العنف وعمت الفوضى ربوع البلاد ، وكثر إحراق دور السينا ، وأصبح الشاه وحكومته فى وضع قلق مهزوز ، وبدا أن سقوط نظام الشاه بات وشيك الحدوث .

خامسا: تشكيل حكومة جديدة:

وشعر الشاه بأن نظامه الملكى يسرع إلى الزوال ففكر فى تشكيل حكومة جديدة ، لعله بذلك يرضى الرأى العام ، خاصة بعد أن أدرك أن أعداء النظام يحاولون إثارة المشاعر الدينية ضده ، فعين شريف إمامى رئيس مجلس الشيوخ رئيسا للوزارة بدلا من آموزكار وقام شريف إمامى بتشكيل وزارة من عناصر معتدلة لتكون وزارة مصالحة وطنية ، ولم تلبث الوزارة الجديدة أن أعلنت برنامجها الذى يقضى بتنفيذ القوانين الإسلامية وتطبيق المبادئ الديمقراطية وعاربة الفساد، وضهان حرية الانتخابات وحرية نشاط الأحزاب وحرية السلطة القضائية والاهتام بالشباب والجامعات والعناية بالزراعة وبالإنتاج الوطنى بعامة وتوفير المياه والكهرباء والحدمات الطبية ، وإصلاح الطرق وتعقب المتهربين من دفع الضرائب المستحقة عليهم وإصلاح الجهاز الإدارى ومعاقبة المسئولين المخالفين وتدعيم السلطة التشريعية .

وكان هذا البرنامج كافيا لتهدئة جهاهير الشعب الإيرانى الساخطة على نظام الشاه وبادرت الحكومة كذلك ، بإلغاء التقويم الملكى والعودة إلى العمل بالتقويم المهجرى الشمسى ، وكان الشاه قد أمر بالعمل بالتقويم الملكى بعد الاحتفال بمرور

خمسة وعشرين قرنا على تأسيس الملكية فى الأمبراطورية الإيرانية كوسيلة للتعبير عن أصالتها وعراقتها ، ولبيان عظمة الحضارة الإيرانية ، ولربط الشعب الإيرانى بالنظام الملكى ، كما قامت الحكومة الجديدة بإغلاق نوادى القهار والحانات وما شابهها (۱) ، وأعلنت أنها ستتصل بكبار رجال الدين ورؤساء الجهاعات الدينية والسياسية المختلفة للتشاور معهم من أجل إيجاد حلول سريعة للمشاكل التى يعانى منها الشعب الإيرانى ، وبادرت كذلك بالاعتراف بوجود ثلاثة عشر حزبا وجهاعة سياسية وبحرية هذه الأحزاب فى الحركة والنشاط .

غير أن شريف إمامى رئيس الوزارة الجديدة كان معروفا بتأييده لنظام الشاه وميله إلى الغرب ، فكان اختياره رئيسا للوزارة محاولة من الشاه للاستفادة من خبرة شريف إمامى السياسية فى تهدئة الموقف المتوتر وإرضاء رجال الدين لأن شريف إمامى نفسه ينتمى إلى أسرة كبراؤها من رجال الدين.

وحاول شريف إمامى الاتصال برجال الدين ولكنه لم يجد ترحيبا منهم بالتعاون معه ، كما فشل فى امتصاص غضب الشعب الإيرانى الذى يعرف ولاء شريف إمامى الشديد للشاه ونظامه ، فلم تلبث المظاهرات أن اندلعت من جديد فى العاصمة وغيرها من المدن الكبرى فازداد الوضع توترا ، وأخذت الشخصيات الدينية فى الظهور على المسرح السياسي فى إيران ، فظهر آية الله العظمى شر يعتمدارى وأخذ يدعو الجاهير الغاضبة إلى الهدوء حفاظا على العظمى شر يعتمدارى وأخذ يدعو الجاهير الغاضبة إلى الهدوء حفاظا على مصالح البلاد كما قامت الحكومة باطلاق سراح عدد من رجال الدين المعتقلين وراجت إشاعة عن موافقة الحكومة على عودة آية الله العظمى الخميني من منفاه بالعراق (۱) ، كما أعلنت الحكومة أن كل مواطن له الحق فى التعبير عن رأيه بحرية بالعراق (۱)

⁽۱) جريدة رستاخيز: العدد ١٠٠٠ الصادر في يوم ٦ شهور من عام ١٣٥٧ هـ. شمسي. (٢) كان الشاه قد نفي الخميني إلى العراق فبقي فيه خمسة عشر عاما ثم أخرجه العراق بايعاز من الشاه درحل إلى تركيا ثم إلى درنسا قبل أن يعود إلى إيران ويسقط النظام الملكي.

تامة في إطار القانون ، وأن الدراسة في الجامعات لن تعطل مرة أخرى (١) .

غير أن محاولات الحكومة الجديدة لتهدئة الأحوال ذهبت أدراج الرياح ، فلم تُجد شيئا ، وظلت المظاهرات المعادية للنظام تزداد شدة يوما بعد يوم ، وتنتشر في سائر أنحاء إيران ، ونشط كبار رجال الدين في مطالبة الحكومة بالإفراج عن رجال الدين المسجونين من أمثال آية الله منتظرى وآية الله طالقاني والساح بعودة آية الله العظمى طباطبائي وآية الله العظمى الخميني إلى إيران وكان شريعتمدارى يتزعم رجال الدين حينداك ويقود حركتهم ضد الحكومة ويعطيها مهلة لا تتعدى ثلاثة أشهر للاستجابة لمظالب رجال الدين .

كما عاودت الجبهة الوطنية الظهور على المسرح السياسي بعد تنظيم صفوفها واختيار كريم سنجابي أمينا عاما لها ، ودعت إلى عودة العناصر الوطنية المقيمة بالخارج للمشاركة في العمل الوطني ، كما دعا سنجابي إلى السهاح للشيوعيين بمارسة العمل السياسي وإعطائهم حرية التعبير عن آرائهم ، فاستطاع حزب تودى المنحل معاودة الظهور من جديد من خلال هذه الأحداث ، ودعا الأحزاب المختلفة إلى تشكيل جبهة واحدة ضد الحكومة تعمل على إسقاطها وتأميم صناعة البترول وإنهاء الأحلاف العسكرية وتشكيل حكومة ائتلامية تقوم بتغيير النظام الحاكم ومحاكمة المستولين فيه وإلغاء القوانين المخالفة للدستور وإطلاق الحريات وطرد المستشارين العسكريين الأمريكيين.

وهكذا ازدادت حركة المعارضة ضد حكومة شريف إمامى التي قامت بدورها بإعلان الأحكام العرفية وتعيين حكام عسكريين على طهران والمدن الكبيرة الأخرى بينا ألغى الشاه زيارته التي كان يعتزم القيام بها لأوربا الشرقية وأقال أمير عباس هويدا من وزارة البلاط (٢).

⁽۱) جريدة كيهان : العدد ١٠٥٥٢ الصادر في ٨ شهر يور من عام ١٣٥٧ هـ . شدسي . (٢) جريدة كيهان العدد ١٠٥٥٩ الصادر في ١٦ شهر يور من عام ١٣٥٧ . هـ شمسي .

وحاول شريف إمامى الخروج بالبلاد من الأزمة التى تمر بها فقدم برنامجا جديدا لحكومته إلى مجلس النواب يقوم على إقرار الأمن وحفظ النظام وإجراء انتخابات حرة تشترك فيها الأحزاب الشرعية مع ضهان الحقوق والحريات الفردية والاجتاعية وترقية جميع العاملين فى الدولة درجة مالية ، وتطهير الجهاز الإدارى ومنع استغلال النفوذ، وضهان استقلال القضاء، وإعفاء المنتجات الزراعية والحيوانية وتربية الماشية من كل أنواع الضرائب، وتسهيل زيارة الأماكن المقدسة لجميع الراغبين فى زيارتها (١).

والدارس لبرنامج الحكومة يستطيع أن يجد فيه مفاسد نظام الشاه وعيوبه التى ثار الشعب بسبب وجودها وطالب بالإصلاح ثم باسقاط النظام نفسه ، فلم تستطع حكومة شريف إمامى أن تهدئ من ثورة الشعب الإيرانى ، فاستمر اندلاع المظاهرات فى مختلف أنحاء إيران برغم الأحكام العرفية ، ثم بدأت المعارضة للحكومة والنظام تتخذ شكلا مسلحا منذ أكتوبر من عام ١٩٧٨ م وبدأت تهاجم رجال الأمن بالأسلحة المختلفة ، وأخذ القتلى والجرحى يتساقطون من الجانبين .

وحاولت الحكومة تهدئه الموقف باطلاق سراح بعض المعتقلين السياسيين وإنقاص مدة سريان الأحكام العرفية والقبض على عدد من الوزراء السابقين والمسئولين في الوزارات السابقة بتهمة الفساد والوعد بالقيام باصلاحات شاملة (٢) كما أعلنت الحكومة سماحها للذين فروا بعد إعلان الأحكام العرفية بالعودة إلى إيران مع تأمين حريتهم ، كما أطلقت سراح مهدئ بازركان زعيم الجمعية الإيرانية للدفاع عن حقوق الإنسان ، غير أن هذا كله لم يخمد نيران الثورة المتأججة ضد الشاه ونظامه .

⁽١) جريدة كيهان العدد ١٠٥٦٠ الصادر في ١٨ شهر يور من عام ١٣٥٧ هـ. شمسي .

⁽٢) جريدة اطلاعات العدد ١٥٧١٣ الصادر في ٢٦ شهر يور من عام ١٣٥٧ هـ شمسي.

سادسا: تعديل نظام السافاك:

السافاك هو الكلمة التي تطلق على هيئة الأمن والمعلومات التي أنشاها تيمور بختيار الحاكم العسكرى في ١٩٥٦م (١٣٣٥ هـ. ش) لإنهاء حالة الطوارئ بعد أن سادت البلاد موجة من الاغتيالات السياسية استمرت ثلاث سنوات على أيدى أعضاء حزب توده الشيوعي، وكان عمل هذه الهيئة هو تعقب الشيوعيين والقبض عليهم وسجنهم وقد قامت السافاك بمهام الحكم العسكرى بعد إلغائه – واستطاع تيمور بختيار بواسطة السافاك طوال الخمس السنوات التالية لإنشاء الهيئة المذكورة ، أن يعتقل المناهضين للنظام على اختلاف مذاهبهم وأن يقدم الكثيرين منهم إلى فرقة الإعدام ، غير أن بختيار نفسه سقط في عام يقدم الكثيرين منهم إلى فرقة الإعدام ، غير أن بختيار نفسه سقط في عام الحرية لا وجود لها في إيران (١).

وخلف حسن پاكروان تيمور بختيار في رئاسة السافاك لمدة ثلاث سنوات وكان آخر عمل قام به بأمر من الشاه هو نبي آية الله الخميني في ٤ أكتوبر ١٩٦٤ م (١٣٤٣ هـ. ش) بتهمة التحريض على الثورة ضد النظام الحاكم ، والعمل ضد أمن البلاد واستقلالها ، ثم تولى بعده نعمة الله نصيرى رئاسة السافاك لمدة أربعة عشر عاما قاسي الإيرانيون في خلالها ، أنواعا من الرعب لا مثيل لها، فقد كان المعتقلون يعذبون حتى الموت ويعتقلون لأتفه الأسباب، ولما اضطربت الأحوال في إيران في أواخر حكم الشاه أثارت المعارضة قضية جهاز السافاك ، فاضطر الشاه إلى عزل نصيرى رئيس الجهاز وتعديل نظامه ، وجعل السافاك ، فاضطر الشاه إلى عزل نصيرى رئيس الجهاز وتعديل نظامه ، وجعل عمله قاصرا على مطاردة المخربين من الذين يعملون في داخل البلاد أو من القادمين من خارجها، حتى يغير السافاك صورته المخيفة ، ويصير عمله مشروعا، فيه خدمة للوطن .

⁽١) جريدة كيهان : العدد ١٠٥٩٩ الصادر في ١٨ بانماه من عام ٧ ، ١٣ هـ ش .

غير أن التعديل الذى أدخله الشاه على نظام السافاك لم يطفئ غضب الشعب ، فطالب بالقبض على نصيرى ومحاكته واستجاب المسئولون لما طالب به الشعب ، فتم القبض على نصيرى وتقديمه للمحاكمة (١) .

سابعا: عجز الحكومة عن الصمود أمام ضغط المعارضة:

بلغت الأوضاع في إيران درجة من الاضطراب في أواخر عام ١٩٧٨ م بحيث عجزت الحكومة عجزا تاما عن الصمود أمام ضغط المعارضة الشديد المتزايد يوما بعد يوم، حتى طالبت المعارضة الحكومة بالكشف عن المفسدين والمختلسين من كبار رجال الله واعتقالهم وتقديمهم للمحاكمة ، كما أثارت المعارضة قضية المعتقلين السياسيين بشكل جاد وطالبت باطلاق سراح المسجونين من الوطنيين ، ووقف التعذيب في المعتقلات ، واطلاق حرية الصحافة ، ورفع الرقابة عن الصحف والمطبوعات .

وحاولت الحكومة مهادنة المعارضة فأعلنت وقف مساعداتها المالية لحزب نهضة إيران تمهيدا لحله وإلغائه، ثم قامت بحل الحزب فعلا وتسليم أمواله ومبانيه ومنقولاته للحكومة ، وأمر الشاه بمنع أعضاء الأسرة المالكة من التدخل فى الشئون الحكومية أو استخدام النفوذ للحصول على منفعة شخصية لهم أو لأفراد آخرين ، وأنشأ رئيس الوزراء لجنة لتعقب المنحرفين والمفسدين في كافة الأجهزة الحكومية والوزارات وشركات القطاع العام وزادت مرتبات الموظفين لحايتهم من الانحراف .

غير أن الحكومة لم تستطع مع هذا توعير الأمن والاستقرار في إيران فظلت جاهير الشعب ثائرة ، وكثر الحديث عن المستقبل السياسي لإيران ، وارتفعت الأصوات مطالبة بتغيير النظام لإنقاذ البلاد من أخطار حرب أهلية يكتوى الجميع بنارها.

⁽١) ارجع إلى كتاب الثورة الإيرانية للدكتور محمد السعيد عبد المؤمن ص ٧٣٠٧٧ للحصول على مريد من المعلومات حول هذه المسألة .

ثامنا: ظهور رجال الدين على مسرح الأحداث:

واستطاع رجال الدين بزعامة آية الله العظمى شريعتمدارى أن يستفيدوا من حالة الغليان الموجودة بين أفراد الشعب الإيرانى فى توجيه الثائرين بما لهم من نفوذ روحى عليهم ، وحاول شريف إمامى رئيس الوزراء أن يسترضى الجاهير الثائرة فأفرج عن الزعماء الدينين المعتقلين – كها ذكرنا – ووعد بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية وكان آية الله العظمى شريعتمدارى بطبيعته رجلا معتدلا ، فقدر ظروف الحكومة وموقفها الحرج ، ودعا الجاهير الثائرة إلى الهدوء والتزام النظام ، وإعطاء الحكومة فرصة لإثبات حسن نواياها ، فلم يعجب هذا التوجيه الجاهير الثائرة ، فاتجهت جبهات المعارضة الوطنية إلى آية الله العظمى الخميني لقيادة الثورة .

وكان الخميني حينذاك في باريس بعد أن غادر العراق في الخامس من أكتوبر من عام ١٩٧٨ (١٣٥٧ هـ. ش)، ويعد هذا التاريخ بداية للعمل السياسي المنظم من جانب الخميني ضد النظام الملكي الحاكم في إيران، بعد أن سمحت الحكومة الفرنسية له بمارسة نشاطه السياسي واستقبال أصدقائه وأتباعه، فبدأت تصريحاته السياسية تخرج من العاصمة الفرنسية منذ ذلك الوقت، فشجعت هذه التصريحات أقطاب المعارضة في البرلمان على إثارة قضية إخراج الزعم الديني من البلاد واستجواب الحكومة حول أسباب إخراجه ومطالبتها بإعادته إلى البلاد. •

ثم التقى الخميني فى باريس بمهدى بازركان رئيس لجنة الدفاع عن حقوق الإنسان ، فاتفقا على تشكيل جبهة بزعامة الخميني مهمتها مناوأة النظام الحاكم والعمل على إسقاطه (١) بالتعاون مع جميع أجنحة الثورة السياسية المخالفة للنظام داخل إيران وخارجها.

⁽١) جريدة اطلاعات: العدد ١٥٧٣٩ الصادر في ٢٥ فهرمان ١٣٥٧ هـ. ش.

ونجحت خطة الخميني فانضمت – إلى جبهته – جبهة إيران الوطنية بزعامة كريم سنجابي الذي طار إلى باريس والتقي بالخميني ثم أعلن أن الجبهة الوطنية ستلتزم بالعمل بتوجيهات الخميني ، كما تصاعد نشاط رجال الدين في إيران على ضوء تصريحات الخميني ، وصار مطلبهم الوحيد – الذي أعلنوه صراحة – هو إقامة حكومة إسلامية بعد إسقاط النظام الملكي ، وصار هذا المطلب مقبولا لدى جميع القوى الوطنية المعارضة لنظام الحكم فراحت تؤيدة بكل طاقاتها . ثم أعلن الخميني أن إيران ينبغي أن تصير جمهورية إسلامية , فأقدمت الحكومة على تحديد إقامة شريعتمداري – الزعيم الديني المعتدل – وكان هذا العمل من أفظع أخطائها التي زادت الثورة ضد النظام اشتعالا وضراوة ، خاصة العمل من أفظع أخطائها التي زادت الثورة ضد النظام اشتعالا وضراوة ، خاصة بعد أن أعلن الخميني أن كل من يتصل بالنظام أو يتفاوض معه يعد عدوا للحركة الإسلامية .

وحاول الشاه دفع الفوضى السياسية عن البلاد ، فأخذ يبحث عن رئيس وزراء قوى يستطيع الإمساك بزمام الأمور وإقرار الأوضاع المضطربة فى إيران ، ثم وقع اختياره فى النهاية على شابور بختيار الرجل الثانى فى الجبهة الوطنية لتولى رئاسة وزارة تخلف وزارة شريف إمامى ، ولكن الخرق كان قد اتسع على الراقع فقد كان النظام الملكى حينذاك فى حالة احتضار.

تاسعا: بداية نهاية النظام الملكى:

كان النظام الملكى فى إيران – فى أواخر عام ١٩٧٨ مه (١٣٥٧ هـ. ش) فى حالة احتضار يوشك أن يلفظ أنفاسه الأخيرة ، وكانت الأحداث تتلاحق ، وتضيق الحناق على الشاه ، بحيث وجد نفسه مضطرا إلى التعاون مع الجبهة الوطنية ، دون زعيمها سنجابى الواقع تحت تأثير الخمينى ، فاتصل بالرجل الثانى فى الجبهة شابور بختيار وعرض عليه تولى رئاسة وزارة تخلف وزارة شريف

إمامى ، وقبل بختيار على أن يعين الشاه مجلس وصاية ينوب عنه بعد مغادرته البلاد في عطلة يقضيها في الخارج (١) .

وفشل بختيار منذ البداية في معالجة الموقف ، وثارت عليه جميع الحركات المعادية لنظام الشاه ، وطردته الجبهة الوطنية من صفوفها ، كما طرده الخميني من الحركة الإسلامية ، ورفضت الأحزاب المعارضة التعاون معه بينما أعلن بختيار تعهده بالقيام بالإصلاحات التي يطالب الشعب بها ، من خلال الدستور ، واتفق مع الشاه على مغادرة البلاد في إجازة حتى تستقر الأوضاع ثم يعود بعدها ملكا يملك ولا يحكم .

ولكن بختيار فشل فشلا ذريعا ، لأنه كان يجهل ما خططه الخميني بمساعدة أنصاره في داخل إيران وخارجها ، فحاول الاستعانة بالجيش للسيطرة على الموقف ، فنزلت وحدات من القوات المسلحة إلى الشوارع ، وكان معني هذا تصعيد الصراع إلى ذروته ، فقد عُدَّ نزول الجيش إلى الشوارع عملا عدائيا ضد الشعب واستفزازا صريحا له ، فأعلن رجال الدين الثورة الشعبية ، ودعوا جهاير الشعب إلى النزول إلى الشوارع تصديا للاستبداد ، فأخذت الجهاير تتدفق على الشوارع والميادين بتحريض من قيادات المعارضة ، وحاول الجيش إبعاد الناس الشوارع والميادين بتحريض من قيادات المعارضة ، وحاول الجيش إبعاد الناس وتفريق جمعهم واضطر في النهاية إلى الانسحاب إلى ثكناته وترك جهاير الشعب تتصرف كما تشاء ، فكان هذا إيذانا بانتهاء النظام الملكي وسقوطه ، ونجاح ثورة الخميني وأنصاره .

عاشرا : عودة - الخميني وَإعلان الثورة الإسلامية :

تهيأت الظروف لعودة الخميني إلى إيران بعد فشل بختيار في السيطرة على الموقف بمساعدة الجيش ، واضطر بختيار في النهاية إلى الرضوخ للأمر الواقع والموافقة على عودة الخميني .

⁽١) جريدة الشرق الأوسط ، العدد الصادر في ١٩٨٠/١٢/٢٤ وفيه مذكرات الشاه.

ووصل الخميني إلى إيران فاستقبل استقبال الأبطال الفاتحين المنتصرين والتف الناس حوله فأصبح سيد الموقف ، واضطر بختيار إلى مغادرة البلاد , والذهاب إلى باريس فبدأت بذلك مرحلة جديدة من تاريخ إيران هي مرحلة الثورة الإسلامية بزعامة الخميني والمجلس الثوري الإسلامي الذي يبدو أنه شكل قبل عودة الخميني إلى إيران .

وقد عين الخميني فور عودته مهدى بازر كان رئيسا لحكومة مؤقتة تدير دفة الأمور في البلاد ، وحاول إرضاء جميع القوى الوطنية التي شاركت في الثورة ، فكانت الحكومة في الحقيقة حكومة زعامات أكثر منها حكومة إسلامية متجانسة ، واضطر الخميني إلى الإبقاء على المجلس الثورى ليحكم البلاد عن طريقه بمساعدة الحرس الثورى الذي يكفل له السيطرة على الموقف .

وأعلنت الحكومة أن مهمتها هي إجراء استفتاء في البلاد على نظام الحكم واختيار رئيس للجمهورية ، ومضت في الإعداد لهذا الاستفتاء الشعبي ، الذي باركته كافة الجهاعات السياسية ، حتى حزب توده الشيوعي أعلن أنه سوف يصوت لصالح الجمهورية الإسلامية ويؤيدها (۱) .

وهكذا سقط النظام الملكى فى إيران بعد أن ظل قائما أكثر من خمسة وعشرين قرنا من الزمان ، وكان يعد أعرق النظم الملكية ، وأطولها عمرا ، وأعمقها تأثيرا فى النظم الملكية المختلفة القائمة فى أنحاء العالم ، وتلك سنة الله فى خلقه ، وهو وحده – جل شأنه – مالك الملك ، وهو سبحانه القائل : «قل اللهم ممالك الملك ، تؤتى الملك من تشاء ، وتنزع الملك من تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير ، إنك على كل شئ قدير (٢) » صدق الله العظيم .

⁽١) جريدة كيهان: العدد ١٠٦٩٤ الصادر في ٢٤ اسفند من عام ١٣٥٧ ه. ش.

⁽٢) سورة آل عمران : آية ٢٦ .

إيران المعاصرة في ظل ثورة الخميني:

ليس من الأمور السهلة على الدارس أن يقوِّم ثورة الخميني ، ويبين آثارها في إيران استنادا إلى ما تكتبه الصحف المختلفة أو ما تذيعه أجهزة الإعلام المتنوعة ، سواء منها المؤيد للثورة أو المعادى لها فالمعلومات المستقاة من المؤيدين للثورة أو من المعارضين لها لا تصلح مادة علمية صحيحة يعتمد عليها في الدراسة والتقويم وإصدار الأحكام العلمية الصحيحة أو القريبة من الصحة ، ولذلك فقد ترددت كثيرا في الكتابة عن ثورة الخميني وآثارها في إيران المعاصرة ، وكنت أنتظر فرصة مواتية لزيارة إيران وهي في ظل ثورة الخميني ، كما زرتها من قبل مرات عديدة في ظل النظام الملكي ، حتى تكون دراستي واقعية على الطبيعة ولكن الزيارة لم تتيسر لي – حتى الآن – ووجدت من الضروري والمفيد أن أكمل كتاب إيران ماضيها وحاضرها حتى لا يصدركما صدر قبل ثورة الخميني منتها عند عهد الشاه محمد رضا بهلوى ، ففضلت أن أضيف إليه هذا الجزء الأخير عن ثورة الخميني في إيران ، وقد استقيت أكثر معلوماتي عن الصحف الإيرانية التي يتيسر الحصول عليها وبخاصة الصحف التي صدرت قبيل الثورة ومن كتب الخميني وقادة الثورة أنفسهم وحاولت أن أكون موضوعيا – بقدر المستطاع – فأعرض الأحداث كما وقعت دون تفسير موجه لها ، فكثيرا ما تكون الحقيقة كامنة في ثنايا الأحداث بحيث يستطيع الدارس والقارئ استخلاصها يقينا أو ترجيحا والله الموفق للصواب والهادى إلى سواء السبيل.

والشئ الذي لا شك فيه بين الدارسين أن الزعيم الديني الإيراني آية الله العظمي روح الله الحميني هو الذي خطط لقيام ثورة في إيران ضد نظام الشاه محمد رضا بهلوى الذي أخرجه من إيران في عام ١٩٦٤ ونفاه إلى العراق وهو الذي أطلق على ثورته اسم الثورة الإسلامية ولكن الأحداث تثبت غير ذلك والخميني — كما هو معروف—عالم ديني وزعيم شيعي، جاوز الثمانين من عمره حتى

الآن ، ومازال يشترك في توجيه سير الأحداث في إيران ، ويحاول أن تكون له الكلمة الأولى في كل الأمور.

والخميني كغيره من علماء الشيعة الإمامية قد درس علوم القرآن والحديث والفقه من وجهة النظر الشيعية ، وحاول الاستفادة من تجارب ثوار الشيعة السالفين مع السلطات الحاكمة ، وهو يعتقد أن الإصلاح لا يتم إلا على يد حكومة إسلامية بالمفهوم الشيعي لهذه الحكومة ، فهو يعتقد أن انحراف العالم يكن أن يؤدي إلى انحراف أمة ، فسئولية العلماء تختلف عن سائر الناس في حجمها وثقلها ، ولهذا كان التركيز على العلماء في توجيه دفة الحكم في إيران بعد الثورة، والمقصود بهم علماء المذهب الشيعي الذين يلقب الواحد منهم بآية الله ، ويلقب الواحد من كبارهم بآية الله العظمي .

والعلماء بمبادئ الدين الإسلامي وأصول المذهب الشيعي الإمامي (١) هم أجدر الناس بإقامة الحكومة الإسلامية ، وتولى أمور المسلمين ، لأن العلماء هم ورثة الأنبياء ، وقد عين الرسول صلى الله عليه وسلم — خليفة (٢) يتولى أمور المسلمين بعد التحاقه بالرفيق الأعلى ، ثم تعاقب الأثمة من نشل على كرم الله وجهه بعد استشهاده إلى الإمام الثاني عشر محمد المهدى — رضى الله عنه — وهو الإمام الغائب ، الذي غاب غيبة كبرى في ١٥ شعبان من عام ٢٦٠ هـ وسيكون ظهوره إيذانا بقيام الساعة ، فينبغي أن يكون هناك وكيل للإمام أو نائب عنه يتولى أمور المسلمين ويرعى حرمات الله ، ويطبق مبادئ الإسلام ، والعلماء هم يتولى أمور المسلمين ويرعى حرمات الله ، ويطبق مبادئ الإسلام ، والعلماء هم

⁽۱) الشيعة الإمامية أو الاثنا عشرية أو الجعفرية هم الذين تقوم لهم دولة فى إيران منذ العصر الصفوى ابتداء من عام ٩٠٦ هـ أى منذ خمسة قرون تقريبا ، وسموا إمامية لاعتقادهم بضرورة وجود إمام يتولى أمور المسلمين ، وسموا اتى عشرية لاعتقادهم فى اثنى عشر إماما أولهم على بن أبى طالب وآخرهم محمد بن الحسن العسكرى المهدى الغائب، وسموا جعفرية نسبة إلى الإمام السادس جعفر الصادق الذى قس المدهب الشيعى .

⁽٢) يرى الشيعة أن الرسول (ص) عين عليا خليفة له فى أثناء عودته من حجة الوداع.

أجدر الناس بتولى هذه المهمة نيابة عن الإمام الغائب فهم أولى الناس بإقامة الحكومة الإسلامية والإمساك بزمام الأمور في بلاد المسلمين (١).

وعلى أساس هذا الفكر الشيعى قام الخمينى بثورته ، وأطلق عليها اسم «الثورة الإسلامية » ، وطالب بإقامة حكومة إسلامية ، وتقدم علماء الشيعة وفقهاؤهم للإمساك بزمام الأمور في إيران بعد نجاح الثورة – واصبح لهم سلطان قوى في إيران المعاصرة .

وقد بين الخميني في كتبه التي ألفها عن الحكومة الإسلامية وعن الجهاد الأكبر ضرورة إصلاح المجامع الدينية والعلمية وفقا لبرنامج تعليمي وتثقيني وإعلامي ، لتحقيق إصلاح فكرى وأخلاق وعو الآثار الفكرية والنفسية الناتجة عن دعايات الأجانب وسياسات الحكومات الخائنة الفاسدة (٢) ، كما دعا العلماء إلى التحلي بالفضائل واجتناب الرذائل حتى يكونوا أهلا لقيادة أمة من العلماء إلى التحلي بالفضائل واجتناب الرذائل حتى يكونوا أهلا لقيادة أمة من الناس ، وتوجيهها الوجهة الصحيحة ، والاستانة في الدفاع عن الإسلام ، وأكد الخميني ضرورة أن يقوم العلماء بإصلاح أنفسهم قبل الخروج للناس وتولى أمورهم (٣).

وقد وضع الخميني تخطيطا للأجهزة والمؤسسات التي تدير دفة الأمور في إيران في ظل الحكومة الإسلامية ، كما اشترط أن يكون الحاكم فاضلا عالما بالأحكام والقوانين ، عادلا في تنفيذها ، فيكون الحكم بهذه الصورة واجبا خطيرا ، وتكليفا لا تشريفا ، كما اشترط أن يكون الحكم شورى – كما قررت مبادىء الإسلام – فلا يكون الفقيه وليا مطلقا بل ينبغي أن يشكل الفقهاء مجتمعين

⁽۱) الخميني : حكومت اسلامي ، ص ۲۳ – ۲۶ .

⁽٢) الخميني: حكومت إسلامي، ص ١٦٤.

⁽٣) الخميني: الجهاد الأكبر، ص ٤٤ من الترجمة العربية.

حكومة شرعية لتنفيذ الحدود وحفظ الثغور والنظام ، كما لا ينبغى أن يكون الوالى بخيلا أو جاهلا أو مرتشيا أو ظالما (١).

وبين الخميني أن الحكومة الإسلامية لا تتنافى مع التقدم والرقى السائدين فى عالم اليوم ، لأن الدين الإسلامي هو المنقذ للبشرية ، وتعاليمه تدفع الإنسان إلى الرقى والتقدم نحو الكمال ، والاستفادة من التقدم العلمي والاكتشافات العظيمة والوسائل الحديثة ومن أحدث الأساليب العلمية ، مع التمسك بمكارم الأخلاق التي جاء بها الإسلام الذي رضيه الله دينا لعباده.

والدارس لما كتبه الخميني وأعلنه عن الحكومة الإسلامية يجد أنه قدم أفكارا عامة ، تتعلق بالنظرية وطريقة تطبيقها ، ولم يقدم برنامجا زمنيا يمكن أن يوضع موضع التنفيذ لأن التطور السريع للأحداث في إيران قبيل عودة الخميني إليها من المنني لم يتح له الفرصة ، لسكى يطرح برنامجا تنفيذيا على الشعب ، ولم يشر هو نفسه في تصريحاته قبل نجاح الثورة وبعد نجاحها إلى أنه وضع مثل هذا البرنامج ، كما تدل الأحداث - التي ذكرناها بإيجاز - على أنه لم يكن المخطط الحقيقي للثورة ، وأن جهير الشعب الإيراني الثائر على النظام الملكي هي التي رفعته إلى قمة الزعامة فصار رمزا لوحدة القوى الثورية .

حقيقة أن الخميني قبل الزعامة ، ولكنه لم يستطع السيطرة على الأحداث سيطرة تامة ، وصحيح أن نظريته لإقامة حكومة إسلامية كانت دليل علماء الدين الذين اشتركوا في الثورة ، وأن حزب الجمهورية الإسلامية قد قام على أساسها ، واختار الخميني صاحب النظرية زعيا وأبا روحيا للحزب ، وأن الخميني قد قبل زعامة هذا الحزب حين رأى الحزب يحمل أفكاره غير أنه لم يستطع بعد ذلك السيطرة على الحزب نفسه ، فلم يطبقوا نظرية الخميني تطبيقا صحيحا ، ومالوا إلى العنف ، والتطرف في البطش بخصومهم تحت بصر الخميني

⁽۱) الحنميني : حكومت إسلامي ، ص ٥٧ – ٦٣ .

وسمعه ، نقد رأى الخميني في وجودهم في الحكم تدعياً لوحوده ، وفي بقائبهم في السلطة بقاء لزعامته .

تطور الأحداث بعد نجاح الثورة:

تولى مهدى بازركان رئاسة الحكومة المؤقتة بعد نجاح ثورة إيران الإسلامية بزعامة الخمينى، وكان بازركان زعيم جمعية الدفاع عن الحرية وحقوق الإنسان، كإكان ثائرا مصلحا، واقعى النظرة، معتدل الأفكار يعشق الحرية والإصلاح الاجتماعي إلى جانب تدينه، فحظى بثقة الخميني وكان صوتا عاقلا يكره التطرف والانتقام السريع من أنصار النظام الملكى، ولذلك لم يؤيد هؤلاء الأنصار في رغبتهم في إجراء محاكمات سريعة لاعتقاده بأن هذا الأمريسي إلى سمعة الثورة الإسلامية، لأن الإسلام دين تسامح لا دين حقد وعداوة وانتقام.

غير أن اعتدال بازركان لم يجد شيئا أمام عاصفة الأحداث الهوجاء التى كانت تجتاج إيران بعد نجاج الثورة ، والرغبة العارمة فى الانتقام والبطش بأنصار النظام الملكى بعد زواله ، وذهبت حكومة بأزركان بعد انتخاب أعضاء مجلس النواب ، وتلتها حكومة محمد على رجائى وانتقل بازركان بثقله السياسى من مقاعد الحكم إلى مقاعد المعارضة ومعه كثير من أعضاء حكومته الانتقالية ، وثار بعضهم على النظام الجديد ، فتعرض للاعتقال والسجن أو أضطر إلى الفرار خارج البلاد أو التحق بمعارضى النظام الملكى فى باريس وباقى دول أوروبا .

وإن دل هذا على شئ فإنه يدل على أن موجة التطرف طغت على سير الأحداث في إيران-في ظل ثورة الحميني-حتى بدأ الصراع بين القوى الثورية نفسها ، فاختلف حزب آية الله طالقاني ، وهو من علماء الدين المتطرفين ، مع حزب الخميني ، وقام أنصار الخميني باعتقال أبناء طالقاني وإيداعهم السجن ، وكاد الطرفان يقتتلان لولا وساطة علماء الدين المعتدلين بزعامة آية الله شريعتمداري - وانتهى الأمر بإطلاق سراح أبناء طالقاني ، ولكن نفوس الطرفين ظلت طافحة بالغيظ والحقد .

وقد عارض ظالقانى فكرة إحلال جيش شعبى على الجيش النظامى ، وهى الفكرة التى نادى بها حزب الخمينى ونفذها فعلاكا طالب طالقانى بنزع السلاح من أيدى الأفراد غير المسئولين وإبقائه فى أيدى المسئولين دون غيرهم (۱) ولكن حراس ثورة الخمينى من أعضاء حزبه ركبوا رؤوسهم ، ولم يستمعوا إلى نصائح شركائهم فى الثورة , مما يدل على مدى تصدع القوى الثورية نفسها بعد نجاح الثورة ، حتى إن آية الله طالقانى نفسه أعلن قبل موته أنه ليس من الصلاح أن يمسك رجال الدين بزمام المسئوليات الحكومية وطالب بعودتهم إلى المسجد والتنحى (۲) عن تحمل المسئولية بعد إيجاد حكومة مركزية لأن المسجد مهمتهم الأصلية .

والواقع أن موت ظالقانى أوجد فراغا فى ساحة السياسة الإيرانية ، لأن وجوده على رأس حزب قوى كان فيه نوع من التوازن الذى كان لازما للحد من النزاع بين الزعامات الثورية فى إيران ، لعدم وجود حكومة حقيقية تسيطر على الأوضاع السياسية ، وتقف فى وجه عاصفة الأحداث الهوجاء التى اجتاحت إيران بعد عودة الحميني ونجاح ثورته .

وكما وقع خلاف بين آية الله طالقانى وحزب الخمينى ، وقع خلاف بين الحزب وبين أحدكبار أنصاره ألا وهو الدكتور أبو الحسن بنى صدر الذى ساعده الحنمينى نفسه فى تولى رئاسة الجمهورية وكان أبو الحسن بنى صدر من أقرب المقربين إلى الحنمينى قبل قيام الثورة ، وفى أثناء وجوده فى باريس ، بل إن الكتب التى ألفها مثل كتاب « إيران:غربة السياسة والثروة » وكتاب «قواعد الحكم الإسلامى وضوابطه » لتدل على أنه المخطط الحقيقى للثورة فقد أكد بنى صدر - مرارا - فى كتاباته أن لديه برنامجا عمليا لإقامة حكومة إسلامية ، وأن

⁽١) جريدة كيهان العدد ١٠٦٤١ الصادر في ٣٠ بهمن ١٣٥٧ هـ. ولزيد من المعلومات يمكن الرجوع إلى كتاب مسألة الثورة الإيرانية للدكتور محمد السعيد عبد المؤمن ص ١٠٩ وما بعدها. (٢) وجه طالقاني هذه النصيحة في حديث إذاعي تليفزنوني له في ١٣ جزاء ١٣٥٨ هـ ش.

هذا البرنامج فيه من الأسس والضوابط ما يكفل لستمرار هذه الحكومة وتحقيق أهدافها .

وكان بنى صدر كذلك بجانب الخمينى فى باريس قبل قيام الثورة ، وفى طهران بعد قيامها ، ثم رئيس المجلس الثورة السرى ، ثم مستشارا اقتصاديا لحكومة بازركان المؤقتة ، وصاحب فكرة وجود الحرس الثورى ولجانه ، وإيجاد جسش شعبى ، وإعلان إمامة الخمينى ، وقطع خطوط العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية ، والوقوف فى وجه استيلاء رجال الدين على السلطة بعد حصول الحزب الجمهورى على الأغلبية فى البرلمان ، وإعطاء الأجيال الشابة فرصة الاشتراك فى إدارة دفة الأمور فى إيران .

ولكن عاصفة الأحداث الهوجاء فى إيران بعد نجاح الثورة أطاحت ببنى صدر وعزلته من منصب رئاسة الجمهورية واضطرته إلى الهرب إلى باريس حيث هاجم الاتجاه إلى العنف الذى غلب على المسكين بزمام الأمور فى إيران.

وكان عزل بنى صدر دليلا على عجز الخمينى عن السيطرة على الموقف فى إيران ، لأنه هو الذى ساعد بنى صدر من قبل على الوصول إلى منصب رئاسة الجمهورية ، لأن سلطان رجال الدين المسكين بزمام الأموركان أقوى من قبضة الخمينى على هذا الزمام .

وفى غمرة الأحداث العاصفة ، وذروة التنازع على السلطة فى إيران بعد نجاح ثورة الخمينى ، طفت على سطح الأحداث مشاكل داخلية وأخرى خارجية ، أصبحت شغل الثورة الشاغل ، فأهملت التصدى لسائر المشاكل الاقتصادية والاجتاعية والسياسية التى قامت الثورة من أجل التصدى لها وحلها ، وانشغلت الثورة منذ منتصف عام ١٩٨٠م إلى يومنا هذا بالتصدى لهذه المشكلات الأساسية القائمة فى إيران .

وكانت أهم المشاكل الداخلية التي طفت على سطح الأحداث مشكلة الأقليات المذهبية والعنصرية ، وقد فشلت الحكومة في إقامة حوار مع الأكراد ، فلجأوا إلى الكفاح المسلح وأخذت الحروب الداخلية تندلع بين حين وآخر بين

أنصار الثورة ومجاهدى الأكراد ، ولازالت المشكلة الكردية تطل برأسها في إيران وتهدد استقرارها ووحدتها حتى يومنا هذا .

وقد أسرف أنصار الخميني المسكين بزمام الأمور في إيران في محاكمة مخالفيهم وإعدامهم حتى بلغ عدد من نفذ فيهم حكم الإعدام بضعة آلاف، وقوبل هذا التصرف من جانب أنصار الثورة برد فعل من أعداثها، وفي مقدمتهم أعضاء منظمة مجاهدي خلق فقاموا باغتيال العديد من أنصار الثورة وكبار المسئولين فيها مثل حجة الإسلام محمد بهشتي سكرتير عام حزب الجمهورية الإسلامية ومحمد على رجائي رئيس الجمهورية، ومحمد جواد باهنر رئيس الوزراء، ورئيس الأركان وعدد كبير من الوزراء وأعضاء البرلمان وكبار الشخصيات في حزب الجمهورية الاسلامية الحاكم.

وأما أهم المشاكل الخارجية التي طفت على سطح الأحداث في إيران بعد ثورة الخميني فقيام الحرب بين العراق وإيران بسبب اختلاف الدولتين على بعض مناطق الحدود بينهم في الخليج ، وكانت الدولتان قد عقدتا اتفاقا بينها في عام ١٩٧٥ لتسوية الخلافات القائمة حول هذه المناطق ولكن دولة العراق كانت تشعر بأن الاتفاق ليس في صالحها ، فقامت قواتها في سبتمبر من عام ١٩٨٠ بغزو المناطق المختلف عليها ، ومازالت الحرب قائمة بين الدولتين منذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا .

وقد دخلت الحرب العراقية الإيرانية عامها الرابع برغم الوساطات المتعددة التي قامت بها مختلف الدول من إسلامية وعربية وغيرها لوضع حد للحرب الدائرة بين الدولتين الجارتين المسلمتين بسبب تشدد حكومة الثورة الإسلامية في إيران ورفضها لجميع الوساطات التي بذلت وتبذل لوضع حد لهذه الحرب التي راح ضحيتها عشرات الآلاف من شباب الدولتين ، وأثرت تأثيرا واضحا في اقتصادهما لكثرة ما أنفق فيها من أموال ، وهي مشكلة ذات أثر خطير على أمن منطقة الخليج بخاصة وعلى سلام العالم واقتصاده بعامة ، وليس لها من دون الله منطقة الخليج بخاصة وعلى سلام العالم واقتصاده بعامة ، وليس لها من دون الله كاشفة .

هذا عرض سريع للأحداث التي اجتاحت إيران في إلسنوات الست الأخيرة ، استعرضت فيه الأحداث التي مهدت لقيام الثورة وساعدت على إشعال نارها ، وهيأت للزعيم الديني أية الله العظمي روح الله الخميني .. وهو في منفاه في باريس – أن يركب موجة الأحداث ، ويعبر الزعيم الروحي للثورة ، ثم مكنته من العودة إلى إيران بعد خمسة عشر عاما من خروجه منها وإقامته في منفاه في العراق وفرنسا ، وصيرته قائدا وموجها للثورة عقب نجاحها ، وإسقاطها للنظام الملكي بعد أن ظل قائما في إيران أكثر من خمسة وعشرين قرنا ، فأصبح الخميني الإمام النائب عن الإمام الغائب وفقا لتعاليم المذهب الشيعي الإمامي وصار أتباعه ولاة الأمور في إيران تطبيقا لنظرية الشيعة في الحكم .

وقد حاولت فى هذا العرض أن أكون موضوعيا فلا أتعصب لثورة الخمينى أوعليها ، حتى لايفسد التعصب البحث العلمى ، بل تركت الأحداث تفصح عن الحقيقة بقدر الإمكان ، وقد بينت الأحداث أن الخمينى لم يكن الخطط الحقيقى للثورة ، ولكنه ركب موجتها ، وأن شدة اندفاع القائمين بالثورة ، ورغبتهم العارمة فى الانتقام من معارضيها ، حال بين الخمينى – زعيمها الروحى – وبين السيطرة على الموقف ، وكبح جماح الثوار ، و لم يمكنه – حتى الآن – من تطبيق نظريته فى كيفية إقامة حكومة إسلامية فى إيران ، فبعد البون بين النظرية والتطبيق .

كا أن اندفاع أعضاء حزب الجمهورية الإسلامية – الذى يتزعمه الحمينى – فى تنفيذ سياسة البطش الشديد بمخالفيهم يسبب فى تفتت القوى الثورية نفسها ، واحتدام الصراع بينها ، وساعد على تفجر المشاكل الداخلية وفى مقدمتها مشكلة الأقليات الدينية والعنصرية كمشكلة الأكراد وظهور مشاكل خارجية كمشكلة رسم الحدود بين إيران والعراق وهى المشكلة التى تسببت فى قيام حرب ضروس بين الدولتين منذ أكثر من ثلاث سنوات ، مازالت رحاها دائرة حتى هذه اللحظة ، ولا يعلم إلا الله متى تضع هذه الحرب اللعينة أو زارها .

وقد أدت هذه الأحداث جميعها إلى شغل ثورة الخميني عن التصدى لمعالجة الأوضاع التي من أجلها قامت الثورة وأسقطت النظام الملكي لتوفر للشعب الإيراني حياة أفضل.

وأرجو أن يكون هذا العرض كافيا لتوضيح ملامح صورة إيران المعاصرة فى ظل ثورة الخميني بعد خمسة أعوام من نجاحها .

والله أسأل أن يأخذ بيد عالمنا الإسلامي إلى ما فيه خير الشعوب الإسلامية وتحقيق الأمن والاستقرار والرفاهية لها ، حتى تنتصر على أعدائها .

وهو نعم المولى ونعم النصير

لاجدال فى أن منطقة الشرق الأوسط من أهم مناطق العالم ، لما لها من أهمية اقتصادية واستراتيجية ، مما جعل الدارسين فى مختلف ميادين الدراسة يهتمون بدراسة هذه المنطقة ، ويعنون بدراسة دولها وشعوبها للإلمام بمختلف شئونها .

وقد ازداد اهتمام المستشرقين بمنطقة الشرق الأوسط وحرصهم على دراسة دولها وشعوبها فى الخمسين سنة الأخيرة زيادة كبيرة وأصبحت دراساتهم تخدم أغراضا سياسية واقتصادية وحربية إلى جانب الأغراض العلمية.

والواقع أن دراسات المستشرقين لدول منطقة الشرق الأوسط وشعوبها مهمة ومفيدة ، غير أنها لاتخلو من الهوى فى كثير من الأحيان ، الأمر الذى يجعل أحكامهم غير دقيقة ، لما يشوبها من تعصب يعمى الدارس عن رؤية الحقيقة رؤية صحيحة وإثباتها دون تغيير ، كما تقضى طبيعة البحث العلمى الصحيح .

وطبيعى أن يوجد عدد من المستشرقين يبتعدون فى دراساتهم عن الهوى ، ويجعلون إثبات الحقيقة العلمية غايتهم المنشودة ، فيحرصون على تحريها ، ويعملون على إدراكها بمختلف الوسائل المكنة .

ومن الإنصاف أن أقر أن « دونالدويلبر » كما يبدو فى كتابه « إيران ماضيها وحاضرها » من المستشرقين الأمريكيين الذين ابتعدوا عن التعصب والهوى فى الدراسات التي قاموا بها .

وقد قام « دونالد ويلبر » برحلات عديدة إلى منطقة الشرق الأوسط ، وأقام في بعض دولها مددا متفاوتة ، منقبا عن الآثار الموجودة فيها ،ودراستها لها وكانت إيران إحدى دول الشرق الأوسط التي زارها مرات عديدة ، وأقام فيها بضع سنوات في إحدى هذه المرات (من ١٩٤٦ الى١٩٤٦) ثم ألف كتابه هذا ، ليعرف بها منذ أقدم عصورها التاريخية الى العصر الحاضر.

وهذا الكتاب - الذى يسرنى أن أقدمه مترجا إلى العربية للمشتغلين بالدراسات المتصلة بالشرق الأوسط فى الوطن العربي من الكتب العظيمة الفائدة رغم صغر حجمه ، فهو يعرف بإيران من النواحى الجغرافية والتاريخية والسياسية والعمرانية والثقافية والاجتماعية والفنية ، ويعرض مختلف مظاهر النشاط البشرى فى هذه البلاد ، بطريقة تفيد القارئ ، كما تفيد الدارس المتخصص .

وقد عالج المؤلف موضوعات مختلفة فى صفحات قليلة وحاول أن يبين الأسس التى قامت عليها الحضارة الإيرانية فى عصورها المختلفة وأعطى اهتماماً خاصاً لإيران الحديثة ، فعرف بها تعريفا شاملاً يدل على إحاطته التامة بكل ما يتعلق بهذه البلاد فى شتى النواحى .

ومن الحق أن أقرر أن المؤلف صور إيران الحديثة تصويرا صادقاً أمينا ليعطى بنى قومه فكرة صحيحة عنها وكان دقيقا فى التصوير ، بعيدا عن الهوى ، يعرض الأشياء كما هى دون زيادة أو نقصان ، وأن كل من عاش فى إيران واطلع على مظاهر النشاط البشرى فيها ليقرر أن الصورة التى عرضها دونالدويلبر لإيران فى كتابه صحيحة ودقيقة .

وقد تيسر لى أن أزور إيران فى أوائل عام ١٩٤٩ وأن أعيش فيها عامين ، وأن أزور مناطق مختلفة فيها ، فلم اطلعت على كتاب دونالدويلبر لمست جانب الصدق فيه ، فرأيت نقله إلى اللغة العربية حتى تتيسر الاستفادة منه لكل من يعرف العربية ، ولا يتسنى له الاطلاع عليه باللغة الإنجليزية التى ألف بها : ومما لاشك فيه أن المؤلف وفق فى عرض جوانب الحضارة الفارسية التى تغوص جدورها فى أعاق الزمن - كما وفق فى وصل حضارة إيران القديمة

بحضارتها الإسلامية. بحضارتها الإسلامية.

وبديهى أن الشعوب العربية يهمها أن تلم بجوانب الحضارة الإيرانية المختلفة لأنها تعلم أن الأمة الفارسية أمة ذات حضارة عريقة ، وأنها ارتبطت بصلات وثيقة بالأمة العربية منذ أقدم العصور ، فقد اتصل الفرس بالعرب قبل

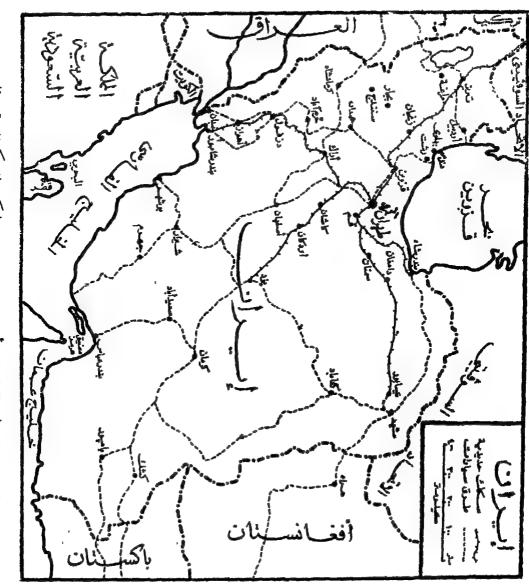
الإسلام ، وتبادل الطرفان التأثير والتأثر ، ثم ازدادت الصلات بينها توثقا بعد الإسلام ، فقد ساهمت الأمة الفارسية المسلمة بنصيب وافر فى بناء صرح الحضارة الإسلامية الخالدة وكان لها نشاط ملموس فى مختلف الميادين العلمية والأدبية والفنية .

وأن كل من يعرف اللغة الفارسية ليدرك ما أحدثه الإسلام من تقارب بين الأمتين العربية والفارسية ، فإن هذه اللغة مكتوبة بالخط العربي وفيها كثير من العناصر العربية عما ييسر دراستها لأهل العربية .

وقد ظلت الصلات بين الشعب الإيرانى والشعوب العربية قوية على مر العصور، ومازالت وطيدة الى العصر الحاضر، لأن الشعوب الإسلامية بعامة يوجد بينها الجهاد من أجل تدعيم استقلالها السياسى والاقتصادى والاجتاعى والثقافى لتوطيد عزتها وكرامتها وتحقيق الرقى والمجد والرفاهية لأبنائها والانتصار على أعداء الحرية والسلام.

ولهذا كله تبدو فائدة الإلمام بمظاهر النشاط البشرى فى إيران فى مختلف عصور تاريخها بعامة وفى العصر الحديث بخاصة بالنسبة للشعوب العربية التى يعد الشعب المصرى رائداها دون منازع ، الأمر الذى يظهر أهمية ترجمة كتاب المستشرق الأمريكي دونالدويلبر الأستاذ بجامعة برنستون الأمريكية «وإيران ماضيها وحاضرها» إلى اللغة العربية .

وأنى أسال الله أن يحقق الهدف الذى أقدمت من أجله على ترجمة هذا الكتاب إنه سميع بحيب , وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب . عبد النعيم محمد حسنين



قام برسم هذه الحريطة الزميل الأستاذ محمد صبحى عبد الحسكيم فله شكرنا وتقديرنا

مقدمة المؤلفني

« إيران » و « فارس » اسمان استعملا للدلالة على قطر واحد ، ولكنهما ليسا مترادفين تماما ، فلما هاجرت الأقوام الآرية من موطنها الاصلى جنوبى بحر الآرال إلى الهضبة المرتفعة الواقعة أسفل بحر قزوين ، سموا الموطن الجديد « إيران » ومعناها « موطن الآريين » .

وكان موقع القصور الملكية التي شيدها ملوك الدولة الأكمينية، التي حكمت اصلا — في الإقليم الواقع شمال شرقي رأس الخليج الفارسي، يسمى و بارسا، وقد نقلت هذه الكلمة في عهد الاسكندر الأكبر — إلى اليونانية وأصبحت و برسبوليس، (Persepolis) .

وكانت امبراطورية الأكينيين القوية تسمى د إيران ، ولكن اسم الإقليم الذى قامت فيه قصورهم ما لبث أن أطلق على الولاية كلها فصارت د پارس ، أو د فارس ، ومن ثم أخذ الناس — فى كثير من الدول الآخرى — يطلقون على الدولة اسم د فارس ، .

والاسم الرسمي للدولة الإيرانية في عصر الساسانيين هو . ايرانشهر . .

وفى (عام ١٩٣٥ م)، (١٣٥٤ هـ) طلبت الحكومة الإيرانية من الدول الاجنبية مراعاة للتناسق والتوحيد أن تطلق على البلاد رسميا اسم و إيران ، فظفرت هذه التسمية ذات الدلالة الصحيحة بالاستعمال العام، ولكن لغة البلاد — من ناحية أخرى — تسمى اللغة الفارسية ، أو دفارسي ، كما يقول الإهالى ، لأنها لغة إقليم و يارسا ، القديم ، وهى تكتب يحروف عربية .

والإيرانيون أكثر إلماما بالولايات المتحدة وبالأمريكيين من الأمريكيين بإيران . وقد تبلورت في أذهانهم فكرة تتضمن كثيرا من المدح

والاطراء للولايات المتحدة باعتبارها بلاد الحرية والمساواة وتكافؤ الفرص، والتقدم المــادى .

ومنذ أكثر من قرن من الزمان ، ورجال الارساليات الأمريكية يعملون باخلاص ــ فى إيران ، وقد استطاعوا أن يتصلوا بألوف من الإيرانيين ــ من مختلف الطوائف ــ عن طريق مستشفياتهم ومدارسهم .

وقد استمدت الحركة الدستورية — فى عام (١٩٠٦ م ، ١٣٢٤ هـ) كثيرا من حماسها الملحوظ إلى النظم الديمقراطية ، من الدراسات التى قام بها زعماء ذلك العصر عن نظم الحكم فى أمريكا ، وبعدعام (١٩٠٦م ، ١٣٢٤ هـ) ذهب كثير من الشباب إلى الولايات المتحدة للدراسة ، فدرسوا فى السكليات ، وقاموا بدور عملى فى الحياة الأمريكية ، ثم رجعوا إلى إيران ليلقوا الأحاديث عن أمريكا ، أو ليكتبوا المقالات عنها .

وترجمت إلى اللغة الفارسية — كتب لمؤلفين أمريكيين ، ونشرت في طهران ، وقد فضلت الكتب القيمة الخاصة بالتعليم والطب والعلوم الاجتماعية ، ولكن ترجمت كذلك بعض القصص الخيالية وقد بيعت آلاف النسخ من الترجمة الفارسية للكتاب الذي أصدره ديل كارنيجي بعنوان دكيف تكسب الاصدقاء ، وتؤثر في الناس ؟ » .(١)

وفى السنوات القليلة الآخيرة ، وصلت المجلات الأمريكية إلى إيران مأعداد متزايدة ولا زالت الطمعات الحالمة لمجلات :

The Reader's Digest, The Saturday Evening Post, Collier's, Time, Life, Vogue,

وغيرها تطلب باستمرار، ولا يقتصر طلبها على الجمهور بل إن محررى صحف طهران يهتمون بها وينشرون منها تراجم فارسية لأهم المقالات عن الولايات المتحدة ودورها في الشؤون العالمية.

⁽¹⁾ Dale Carnegie: How to win friends and influence People.

والسيارات الأمريكية وعربات النقل هي الوسائل العادية للسفر والنقل في إيران ، وقد أوجدت الخدمات الصادقة التي تؤديها السيارات الأمريكية ، فوق طرق إيران الخشنة ، وسهولة الحصول على قطع غيار لها بثمن معقول ، ثقة تامة في الصناعة الأمريكية .

وتعرض الأفلام الأمريكية — مع تذييل لها بالفارسية — فى دور العرض المحلية بكثرة تفوق الأفلام المنتجة فى روسيا أو انجلترا أو فرنسا أو مصر ، رغمأن الأفلام تكون قديمة — نوعا ما — فى الوقت الذى تصل فيه إلى طهران ، والأفلام الهزلية الموسيقية منتشرة جداً ، وكان العرض الأول لفيلم « ذهب مع الربح ، Oone wite the wind من المناسبات الاجتماعية الواضحة .

وتحتوى محلات بيع أدوات الكتابة على بحمو عات كبيرة جذابة من صور نجوم هو ليود . كما أن بعض المجلات الاسبوعية تفسح مجالا كبيرا فيها للصور السينهائية ، ورغم وجود دور العرض السينهائية فى المدن الكبيرة فقط ، فان الاخبار المتناقلة عن الافلام تصل إلى عدد كبير من الناس ، فيأخذون _ عن طريقها _ فكرة واضحة عن كيفية حياة الامريكيين وأعمالهم .

والذين يعرفون الفارسية فى الولايات المتحدة قليلون جدا ومتفرقون ، أما فى إيران ، فيوجد بين كل ألف وخمسائة من الأهالى واحد على الأقل يجيد الإنجليزية إلى حد ما ، لأن الإنجليزية كانت تدرس فى المدارس الأمريكية بصفة أصلية ، وتدرس فى مدارس البلاد بصفة اختيارية وقد جذبت الفصول التى فتحت لتعليم الإنجليزية فى طهران وغيرها من المدن الكبيرة ... فى السنوات للقليلة الأخيرة ... أعدادا كبيرة من الشباب والشيوخ على السواء .

وقت ألفت كتب كثيرة عن إيران فى السنوات الآخيرة ، وكان بعضها من تأليف مؤلفين أمريكيين ؛ ولكن هذه البلاد ظلت مع ذلك غير معروفة كثيرا فى الولايات المتحدة .

ويعرف الأمريكيون - عادة - شيئا عن تاريخ إيران القديم: عن الملك

قورش ، وايستر (۱) ومردخاى (۲) ، وعن إعادة بناء المعبد فى القدس سمن نصوص العهد القديم — وعن النبى ذردشت ، وعن الدولة الآكينية فى عهد قورش ودارا واكررسيس (خشايثيا) وعن نهاية هذه الدولة — آخر الآمر — على يد الإسكندر ، وعن هجات قبائل المغول المدمرة بقيادة جنكيزخان ، ولكن إلمام الشعب الآمريكي — بصفة عامة — بالحضارة الإيرانية يكاد ينحصر فى السجاد والابسطة الإيرانية التي تعد الولايات المنحدة أكثر الدول شراء لها ، وفى المثل الذي يقول: جنة فارسية (Persian Garden) رمزا المجال الحيالى ؛ وفى المثل الذي يقول: جنة فارسية (الكيف عن الحيال الحيالى ؛ وفى المثل الذي لا يقل من حيث السكم والكيف عن أدب من آداب الآمم الآخرى .

وقد ساعدت الحرب العالمية الثانية على تركيز الاهتمام العام حول إيران، فقد جاء ما يقرب من ثلاثين ألف جندى إلى هذه البلاد. ليعجلوا حركة الإمدادات الحربية على طول خط تموين طويل، كان يمتد عبر المحيطات إلى رأس الخليج الفارسي، ثم يواصل سيره — بعد ذلك — بالسكك الحديدية، وبالطريق الرئيسي — عبر حدود إيران الطبيعية مع روسيا — إلى الجبة الروسية.

وفى ديسمبر من عام (١٩٤٣ م ، ١٣٦٣ ه)، سمع العالم كله عن الاجتماع التاريخى بين روز فلت وستالين وتشرشل فى مؤتمر طهران، وهو الاجتماع الذى أدى إلى كتابة مقالات كثيرة عن إيران.

وأغلب الكتب الحديثة المتعلقة بإيران تتناول نواحى ضيقة من حياتها السياسية والافتصادية والاجتماعية .

ويهدف هذا الكتاب إلى إعطاء معلومات محددة عن ماضى هذه البلاد القسديمة وحاضرها، وتقديم صورة صادقة عن هذه الدولة بصفة عامة، ولا تدخل — فى نطاقه — تفاصيل الموضوعات التى تختلف فيها الآراء،

⁽١) استير البهودية التي نزوجها ملك الفرس والتي عملت على مساعدة اليهود (المراجع) .

⁽٢) ذكر فى كتاب استير وهو ابن عمها الذى أنقذ اليهود من الهلاك الذى دبره لهم هامال... (المراجع) « عن العهد القديم » .

مثل العلاقات بين إيران والدول التي تجاورها، وقد حاول المؤلف بقدر ما يستطيع أى كاتب أجنبي، أن يقدم إيران من وجهة النظر الإيرانية، وعندما ذكر أوجه النقص الملحوظة في بنائها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي فإنه حاول أن يتجنب الاحكام المبنية على أسس غربية أجنبية.

وقد ذكرت المصادر فى آخر الكتاب ، وفضلا عن هذا فإنى أعبر عن تقديرى وامتنانى للدكتور عيسى صادق ، والدكتور حسين بيرنيا ، وعلى باشا صالح ،والدكتور آرثر . س . بويس (Dr Arther C. Boyce)، ويوسف م . أبتون (Joseph M. Upton) زملائى فى دجمعية العلاقات الإيرانية الامريكية ، أبتون (Iran - America Relations Society) بطهر ان، فقد أمدتنى مقالاتهم المنشورة فى بجلة د إيران والولايات المتحدة الامريكية ، المجلة الشهرية للجمعية ، بمادة موثوق فيها عن الحالة الاقتصادية ، ونظم التعليم ، والثقافة ، والمدنية ، والآثار القديمة ، فى إيران .

واتبعت فى كتابة أسماء الاشخاص ، والاماكن الجغرافية السابقة على الإسلام ، والاسماء العربية والفارسية طريقة كتاب و دراسة شاملة للفن الإيرانى ، (A Survey of Persian Art) بيد أن حروف المدالطويلة لم تنميز ، ولم ترسم علامات التشكيل للتمييز بين الحروف العربية الساكنة — ذات النبرات المتشابمة ، وقد اخترت — فى حالة قليل من أسماء الاشخاص والاماكن — الصورة المألوفة التى راجت فى الاستعال وفضلتها على الهجاء الصحيح لهذه الاسماء ؟

بعد أن طبع هذا الكتاب طبعته الآولى ، قام الشاه محمد رضا بهلوى بريارة رسمية للولايات المتحدة ، وطاف بالبلاد من الغرب إلى الشرق ، وقد ساعدت الحديثة العديدة ، والمقالات التى نشرتها الصحف - فى أثناء زيارته - على زيادة اهتمام الأمريكيين بإيران ، فانتهز المؤلف فرصة إعادة طبع الكتاب فأعاد النظر فيه مرات عديدة ، هادفا بذلك إلى جعل الكتاب يتناول الموضوع إلى آخر لحظة عكنة ، ويشتمل على فصل بعنوان « مستقبل إيران ، م

د . د ، وابر

مارس ۱۹۵۰

تراث إحيان

الفضِّ لالأولّ

المميزات الطبيعيية

المــوقع:

إن موقع إيران الجغرافي قد جعلها معبرا للمواصلات البرية بين منطقة الشرق الأقصى في آسيا ، ومناطق البحر الأبيض المتوسط وأوروبا ، وقد حمت كهو فها قبل فجر التاريخ المدون الصيادين الذين كانوا من أقدم من انساحوا جنوبا نحو السهول الواطئة ليستقروا في القرى ، وليزرعوا الحبوب ، وليربوا الحيوانات الآليفة ، كما أنها تعترض خطوط هجرات قبائل وسط آسيا مما أدى إلى استقرار كثير من هذه القبائل فها .

وبسط حكامها نفوذهم — فى العصور التاريخية — شرقى الهضبة الإيرانية وغربيها، وأسسوا أول المبراطورية كبيرة فى العالم؛ وظلت طرق التجارة الرئيسية بين الشرق الأقصى والغرب تمر بشمالى إيران مشات السنين، وحينها أصبح للطرق البحرية — فيها بعد — نفس الأهمية التى للطرق البرية، وجدت إلى جانبها طرق برية تصل بين الثغور الواقعة على الخليج الفارسي والمراكز التجارية الرئيسية، سواء الواقعة منها داخل حدود الدولة أو وراء حدودها.

وقدأصبح الدور الرئيسي الذي كانت تلعبه طرق التجارة البرية عبر إيران محصورا جدا بعد شق قناة السويس ، وكان أفول إيران كممر للتجارة بداية لفترة من ضعفها السياسي والحربي، وفي الوقت نفسه فإن موقعها الاستراتيجي جعلها مجالا للتنازع بين القوى الكبيرة التي تعارضت مصالحهافيها تعارضا تاما .

وكانت حدودها الحالية ــ التي عينت في القرن التاسع عشر نتيجة لسلسلة من الحروب عجزت فيها عن حفظ نفسها أمام جيران أكثر منها قوة .

وتشغل إيران الآن مساحة قدرها ٣٣٨,٠٠٠ ميل مربع ، أى ما يقرب من مساحة الجزء الذى يقع شرقى نهر المسيسي من الولايات المتحدة باستثناء

نبو انجلند New England وهي مساحة أقل كثيرا من مساحتها في أى وقت من تاريخها ؛ لأن حدودها فيها مضى كانت أبعد امتدادا إلى الشرق من حدودها الحالية ، وكانت مطابقة على وجه التقريب لحدودها الغربية في الوقت الحاضر؛ وكان التوسع صوب الشرق نتيجة لاعتدال التربة في ذلك الاتجاه ، ونتيجة أيضا للترابط الوثيق لغويا وقوميا بين شعوب المنطقة وأهل الهضبة الإيرانية . ورغم مساحتها المحدودة في الوقت الحاضر ، فإن الدولة ما زالت تسمى الامبراطورية الإيرانية ، وحاكمها هو دالشاهنشاه ، أى : «ملك الملوك » ؛ وهو لقب استعمل في إيران — لاول مرة — منذ أكثر من ألني سنة .

وتقع إيران بين بحر قزوين والخليج الفارسى ، ولها حدود مشتركة مع العراق وروسيا السوفيتية وأفغانستان وپاكستان ، ويسكن نطاقها أقوام لهم لغات مختلفة أو من أجناس بشرية متباينة ، تتعدى مواطن سكناهم أو تحركاتهم القبلية الحدود الفعلية للبلاد .

الجيولوجيا والطبوغرافيا :

درست جيولوجية إيران جيداً ، بواسطة المتخصصين في هذه الدراسة من الإيرانيين والأوروبيين — ولكن دراستهم لم تكن في صورة منظمة — ونشرت خرائط جيولوجية لإيران على نطاق ضيق ، ولكن دراسات أكثر تفصيلا قد تمت فيها يتعلق بمناطق معينة ، لارتباطها بالبحث عن حقول البترول وغيره من مصادر الثروة المعدنية .

والمسافر العادى الذى يشق طريقه فى إيران يلم بتاريخها الجيولوجى عن طريق قمها المرتفعة ، وسلاسل جبالها المتعرجة ـ التى تثب فجأة من السهول المستوية ـ وعن طريق التلوين الزاهى لكثير من التكوينات الجيولوجية ، وتكدس صخورها ، وتعقدها بشكل يلفت النظر .

والمسافر بالطائرة الذى يدخل إيران ـ عادة ـ من الغرب أو من الجنوب الغربي يطل على مجموعة من السلاسل تشبه السطح المتموج المدرج ، فتأخذ قم الجبال في الارتفاع بالتدريج ، بحيث تكون كل قة أعلى من التي تسبقها ،

حتى يبلغ ارتفاع الهضية الإيرانية مداه، وهنا أيضاً ترتفع الجبال من كل جانب، وإذا نظر الناظر من هذا الارتفاع إلى القرى والحقول المحروثة فإنه يجدها قد فقدت معالمها، و تبدو له البلاد جميعها، في صــورة صحراء قاحلة خالية من الحياة.

ويبلغ ارتفاع جبال زاجروس وألبرز ١١٥٠٠٠ قدم ، وقد تمكونت في العصور الجيولوجية التي تقع بين العصرين الباليوزيكي (Paleozic) والبليوسيني (Pliocene) وهي بالنسبة للجبال حديثة العهد كما يعرف ذلك من صورة جوانبها الحادة المتكسرة .

ويبدو أن التكوين العام لهذه السلاسل الجبلية . وللهضبة الايرانية ، كان نتيجة ضغط متواصل على منطقة إيران من بجموعة الجبال الروسية فى الشمال ، وبجموعة الجبال الإفريقية فى الجنوب ، وبما يثبت حقيقة أن الضغط الجنوبى كان أقوى ، نشوز منحدرات ألبرز وحدتها إذا ما قيست بطيات زاجروس وبسطتها ، وكانت طريقة تكوين الجبال معقدة بسبب التحركات العمودية ، وامتداد حركة التصدع .

والطابع السائد في المناظر الطبيعية بمعظم الولايات الايرانية هو المخروطات البارزة التي تخلفت عن البراكين الثائرة . والقمم البركانية الرئيسية هي : دماوند أعلى قم الجبال في إيران وقد انعكست صورتها في كثير من القصص القديمة المتعلقة بالابطال والجن؛ ويبلغ ارتفاعها ٢٠٠٠ وهي في الشمال؛ و وسبلان، وارتفاعها ٢٠٠٠ وهي في الشمال والجن؛ ويبلغ ارتفاعها ١٤٥٨ والكن أرارات في الشمال الغربي (أرارات الصغرى تقع داخل حدود إيران ، ولكن أرارات الكبرى تقع عارج حدودها مباشرة) ، وبزمان ، و « جهلشن ، و ويبلغ ارتفاعهما عارج حدودها مباشرة) ، وبزمان ، و « جهلشن ، و ويبلغ ارتفاعهما يظهران بعض النشاط البركاني، وقد لاحظمتسلقو الجبال الذين صعدوا إلى قة يظهران بعض النشاط البركاني، وقد لاحظمتسلقو الجبال الذين صعدوا إلى قة دماوند وجود غازات كبريتية تنبعث منها ، كا أن ذيلا من الغاز الكبريتي ينبعث من قة جهلتن فيكللها .

و تقع حقول البترول ــ فى الجنوب ــ فى إقليم من القباب الجيرية البيضاوية، بينها المنطقة الواقعة إلى الجنوب من طهران مغطاة بطبقة كثيفة من الملح، وهو التكوين الجيولوجى الذى يصاحب عادة آبار البترول.

ويمكن أن توصف إيران بصفة عامة — بأنهـا هضبة مرتفعة — يبلغ ارتفاعهاحوالى . . . ووجد فيها أربع مناطق طبوغرافية هامة ، كل منها واضحة فى بميزاتها، وانبساطها إلى ماوراء الحدود الإيرانية ، وهى الآتية :

ا ــ سلاسل جبال زاجروس وألبرز الضخمة ، وهى تشبه حرف «٧٠» كبيرة منقوشة على سطح البلاد ، وتقع رأس الـ «٧٠» فى شمال غربى لميران ، وتمتد داخل حدود تركيا ، وفى القوقاز الروسية ، وتمثل سلسلة زاجروس — التى تندفع نحو الجنوب الشرقى — الذراع الجنوبي لهذا الحرف ، وهى توازى الحدود العراقية وساحل الخليج الفارسي موازاة شديدة ، فى حين أن الذراع العلوى ــ وهو سلسلة ألبرز ــ يبدو كحائط عبر شمالي البلاد ، وهو يتكسر إلى سلاسل أخرى تندفع إلى أفغانستان وتركستان .

٢ ــ المنطقة التي دآخل الـ ٧ ، و تبدأ ــ كالهضبة العليا ــ بسلاسل جبالها الفرعية ، ثم تنبسط تدريجيا حتى تصير الصحراء الخالية التي تستمر في الامتداد جنوبي أفغانستان و ياكستان .

٣ ـــ اقليم خوزستان ـــ تحت الدراع الاسفل للحرف « ٧ » ـــ وهو
 امتداد للسهل المتخفض الموجود في العراق .

٤ - ساحل بحر قزوين - فوق الذراع العلوى للـ ٧٠ - وهو أقل
 ار تفاعا من سطح البحر ، ويكون منطقة مناخية مستقلة .

حقيقة أن كل هـذه التكوينات الطبوغرافية تمتد إلى ما وراء خدود إيران، ولكن ليس معنى ذلك أن البلاد سهلة الدخول، لأن حدودها الحالية تحرسها حواجز طبيعية هائلة ؛ فالحدود الغربية كلها، والبلاد الداخلية التي يحتضنها الخليج الفارسي ـ محمية بحواجز مرتفعة من الصنحور، حيث تعمل

الممرات المرتفعة إلى ارتفاع يزيد على ٥٠٠٠و قدم فوق سطح البحر ، ثم تنحدر ثانية إلى مستوى الهضبة ؛ وبمثل هذه الحال تعزل الممرات المنيعة السهل الساحلي لبحر قزوين عن باقى إيران ، أما الحدود الشمالية الشرقية ، والشرقية فإن النفوذ إليها يكون في أرض ذات تلال أو عبر مساحات واسعة من الصحراء الحالية .

الرى والصرف :

توجد فى إيران أربعة أحواض للصرف مطابقة — تماما — للمناطق الطبوغرافية الأربع ، وهى : أحواض قزوين ، وبحيرة رضائية ، والخليج الفارسي ، والصحراء الهائلة .

ويغذى حوض الخليج الفارسي بثلاث وسائل مستقلة هي :

النهيرات الصغيرة التى توجد فى الشهال الغربى من إيران ، وتصب فى النهاية ــ فى نهر دجلة ، ونهر قارون وفروعه ، وهو يصب فى رأس الخليج الفارسى ، والقنوات العديدة التى تقطع الساحل الطويل ــ المذى يبلغ طوله ألف ميل ــ للخليج الفارسى .

ولا تصب معظم أنهار ايران ونهيراتها فى المستودعات المائية الثلاثة المذكورة، بل فى الصحارى الداخلية الواسعة حيث توجد ثلاث مساحات للصرف تنفصل كل منها عن الآخرى بواسطة خطوط من التلال، ولكنها تؤدى وظيفة الحوض الواحد، وللمصارف الداخلية علاقة وثيقة بالحياة الاقتصادية فى اران.

و تعيش الغالبية العظمى المسكان على طول خطى الحرف ٧٠ الذى ترسمه سلاسل الجبال الرئيسية ، وتمتد الجبال فى صفوف متوازية تضم فيها بينها أودية ضيقة طويلة ، محاطة فى نهاية كل منها بحواجز جبلية متقاطعة . والنموذج العام للجبال والوديان يمكن أن يشبه بعدد من درجات السلم ، كل درجة موضوعة بحيث تكون موازية للآخرى تقريبا ؛ فالآجزاء العمودية فى السلم تمثل خطوط الجبال ، والدرجات تمثل الحواجز التى توجد فى نهاية كل واد .

ويبلغ متوسط اتساع الوادى حوالى ٨ أميال عرضا، ومن ٢٥ إلى ٤٠ ميلا طولا، وهو مسطح فى قاعه حافات تعلو وتنصل اتصالا مباشرا مستقيما بالجبال التى ترتفع فوقه، وتتجمع القرى وتتقارب جدا على هذه الحافات أكثر منها فى الخط الأوسط، حيث يوجد عادة طريق رئيسى، يجتاز فى الوقت الحاضر عددا قليلا من آلاف الجبال التى تعترض الوديان.

و تقضى القبائل الرحل الصيف فى المناطق المرتفعة، وهى المناطق التي تسودها فى الشتاء الثلوج الكثيفة والبرد الشديد اللذان يجعلان الحياة القروية المستقرة فيها مستحيلة؛ وتتكاثر الجماعات الزراعية فى الوديان؛ حيث تكون الارض السهلة، أكثر ملاءمة للزراعة. وقد عاش الفلاحون قرونا عديدة معيشة منعزلة يسدون حاجاتهم بأنفسهم وساعدت الحواجز التى تفصل بينهم وبين العالم الخارجي على دوامهم التاريخي، ومحافظتهم على سلالاتهم البشرية وسلامتهم نسبيا، واستقلالهم فى أوقات الغزو الاجنبى.

الأنهار

أهم الآنهار التي تصب في بحر قزوين هي من الغرب إلى الشرق: نهر « أرس » (Araxes) ونهر سفيد رود وفرعه الطويل قزل أوزون ، ونهر جالوس، ونهر هراز، ونهر لار، ونهر جرجان، ونهر أثرك، ولا يحمل واحد منها مقدارا هائلا من المياه إلا في الربيع.

وتصلح نهاياتها لتوألد الأسماك، خاصة الآسماك الكبيرة الموجودة فى بحر قزوين ـــ المعروفة بالآيل ــ وهى التى يؤخذ منها الـكافيار الرائع، وتعد هذه الآنهار مستودعات لقوى مائية كبيرة لم ينتفع بها حتى الآن.

وأكبر الآنهار التى تصب فى الخليج الفارسى هو نهر قارون^(۱) ـــ ويعد مجراه الاسفل ملتقى لمجراه الاعلى مع نهر آب دز . ونهر قارون صالح للملاحة تخترقه البواخر الصغيرة ، حتى الاهواز ، أى إلى مسافة ٧٠ ميلا من مصبه ،

⁽١) المراجع : يكتب أيضاً في السكت الفارسية «كارون » .

وتستطيع القوارب الصغيرة أن تنقدم فيه وتشق طريقها فى تياراته الشديدة إلى ما بعد الأهواز، وقيد أقيم عليه عندها معبر جميل مرتفع من الصلب، ومعبر للسكة الحديدية.

والأنهار التى تصب داخل البلاد هى «زاينده رود» الذى يجتاز أصفهان، و حاجرود» و «كرج» و «كن» بالقرب من طهران، وقره صو بالقرب من همدان وهابله شرقى كاشان و قم — و هو يجرى بالقرب من مدينة بنفس الاسم — و نهر «كر» و هو يمر بالمدينة القديمة پرسبوليس، ويوجد — فى أقصى الشرق — نهر هلند الذى تساق مياهه المختزنة فى قنوات لرى جزء من إقليم الشرق — نهر هلند الذى تساق مياهه المختزنة فى قنوات لرى جزء من إقليم سجستان، رغم أن الجزء الاكبر من بجراه يقع فى أفغانستان.

وهذه الأنهار هي أهم مجارى الأنهار الدائمة ؛ وأغلب الأنهار الأخرى تجرى ثم تجف في أواسط الصيف ، وأكبر مثل للأنهار الكبيرة التي تجرى بهذه الصورة نهر زاينده رود الذي تغذى مياهه إصفهان وكثيرا من المحلات الزراعية القريبة منها ، ويبلغ اتساعه عند إصفهان ... في فصل الرح ... أكثر من مائة ياردة ويبلغ عمقه ستة أقدام ، وليست عليه خزانات أو قناطر لتنظيم صرف المياه ، ولذلك فإن مياهه المتدفقة تصب في المناطق الصحراوية وتغور في الأراضي الخالية المتعطشة ، وفي أواخر الربيع ، تسحب المحلات الزراعية الواقعة في أعلى الهر من ناحية أصفهان ... مياهه إلى الحقول لزراعة الآرز ، وينتج عن هذا أن يتحول النهر في أواسط الصيف إلى مجرى ضحل في محاذاة أصفهان ... يكني لحاجات المنطقة ، بينها تظل القرى البعيدة الواقعة في أسفل النهر محرومة غالما من أى ماء على الإطلاق .

البحار والبحيرات:

يقع بحر قزوين — وهو أكبركمية محبوسة من المياه فى العالم — على بعد هم قدما تحت سطح البحر ، وهو ضحل نسبيا ، وحجمه ينكمش تدريجيا منذ عدة قرون ، وما يحتوى عليه من الملح أقل كثيرا بما تحتوى عليه مياه المحيطات ، ورغم أن الأسماك كثيرة فيه ، فإن شو اطئه المائلة لا تصلح مرافى

طبيعية حسنة ، كما أن العواصف العنيفة المفاجئة تجعلها خطرة على القوارب الصغيرة .

وتبلغ بحيرة رضائية ـ التى كانت تسمى قديما بحيرة أورميا ـ ٨٠ ميلا طولا و٣٥ ميلا عرضا، وهى تقرب من مساحة بحيرة أوتاه الكبيرة (utah). ومتوسط عمقها خس أو ست ياردات وأقصى عمق لها إحدى عشرة ياردة. وتصب فى هذه البحيرة نهيرات صغيرة قليلة ، مما أدى إلى انكماش مستمر فى مساحتها وإلى زيادة كبيرة فى نسبة الملوحة بها بحيث لا تستطيع سمكة أن تعيش فيها، وتصل نسبة الملوحة فيها إلى ٢٣٪ وهى مكونة من الاملاح، وسلفات المغنسيوم والكاسيوم والصوديوم والبوتاسيوم.

وأغلب الخرائط تظهر جزيرة كبيرة — باسم شاهى — بارزة فى منتصف هذه البحيرة، ولكن المياه انحسرت فى خلال السنوات الآخيرة، بحيث يمكن السير — فى أثناء أشهر الصيف — من الارض اليابسة إلى شواطىء هذه الجزيرة مباشرة.

وتوجد عدة مستنقعات على طول الحدود بين إيران وأفغانستان ، تتسع و تنكمش تبعا لفصول السنة ، وأكبرها همامون صبارى ، وهى زاخرة بالطيور المتوحشة . أما البحيرات ذات المياه العذبة فنادرة للغاية فى إيران ، ومن المحتمل أنها لا تتجاوز عشر بحيرات فى جميع أرجا ، البلاد ، وجميعها آسنة ، وأغلبها لا يزيد فى مساحته على حجم البرك .

الصحاري:

تمتد الأقاليم الصحراوية الواسعة فى إيران عبر الهضبة من الشهال الغربى — بالقرب من طهران وقم — إلى مستافة ٨٠٠ ميل تقريباً ، إلى الجنوب الشرقى مجتازة الحدود؛ وما يقرب سدس مساحة إيران صحراً قاحلة .

وأكبر صحراوين تعرفان باسم : دشت لوت ، ودشت كوير ، وكلمة دشت معناها الصحراء ، ولوت معناها الخالية ، وكوير معناها الصحراء الملحة ، وهذه المساحات الصحراوية تتداخل بعضها في البعض ، ولو أن كلا من الصحراوين له دلالة محلية معينة ، وبعض أجزا. الصحارى تشتمل على بحيرات ملحة تبتلعها في الربيع سيول الأنهار الداخلية الجارفة كل عام فإذا حل الصيف اختفت تحت قشرة صلبة من الملح . وهناك مساحات أخرى من الأراضي الصخرية البور، ومساحات شاسعة من التربة الملحة أو الصحارى المكدسة بأكوام الزمال ، وجميعها ـــ تقريبا ـــ تتخللها سلاسل من التلال . وتوجد في أماكن قليلة متباعدة عيون غزيرة تنبع من الأرض العراء ، فنخلق واحات خصبة مثل قرية دطبس، الجذابة الواقعة في وسط الحداثق الغنا. والبساتين وأشجار النخيل. وقد راج القول بأن صحراوى دشت لوت ، ودشت كوير لا تعبران إلا بطريق واحد يمتد من يزد إلى فردوس، ولكن عربات النقل الثقيلة والمركبات الحربية قطعت في خلال السنوات الأخيرة –مسافات كبيرة من هاتين الصحراوين و إن بقايا خيام القوافل والقرى التي وجدت هناك لدليل واضح على أن هاتين الصحراوين كانتا ــ منذ زمن ليس بالبعيد ــ صالحتين لحياة الإنسان، كما وجدت بعض آثار فراش خشن من صنع الإنسان ؛ حيث كانت القوافل فى القرون الأولى تسلك هذه الممرات الصحراوية ؛ ومع ذلك ، فمن الثابت أن الكوارث كانت تحل بالقوافل، فيخسر كثير منها ضحايا لنفاد إمدادات الماء في الصيف أو لأمطار الشتاء المفاجئة التي تحول سطح الارض إلى مستنقعات زلقة ، وتعرض القافلة إذا ضلت طريقها إلى أن ينساق رجالها وجالها إلى القشرة الملحة ، فإذا هم ينفذون منها إلى الوحل الذى تحتهـا فيأسرهم فلا يستطمعون منه خلاصا .

المناخ:

يكاد سقوط المطر فى إيران ينحصر فى أشهر الشناء فقط ... من نو فمبر إلى أو ائل أبريل ... وهو نتيجة لانخفاضات جوية تتحرك شرقا من منطقة البحر الأبيض المتوسط، أما العواصف الرعدية الصيفية ... المألوفة لنا ... فنادرة تماما ، كما تنحصر الأمطار التي تحدث ... أحيانا فى وسط الصيف ، فى رذاذ خفف .

ومتوسط سقوط الأمطار على أغلب أجزاء الهضبة الإيرانية أقل من ١٢ بوصة ، أو ما يقارب مستوى الأمطار في ولاية نيفادا Nevada وتستقبل الاقاليم الصحراوية الواسعة والركن الجنوبي الشرقي للبلاد أقل من ٥ بوصات من المطر سنويا ، ويستفيد الركن الشهالي الغربي بـ ١٥ إلى ٣٥ بوصة ، وتزرع هناك النباتات والمحصولات التي لا تحتاج إلى رى كثير على نطاق واسع ومع ذلك يزرع الفلاحون قدرا محدودا من القمح الشتوى في المناطق التي تستقبل أقل كمية من الأمطار أملا في أن يجلب الشتاء ثلاثة أو أربعة أمطار طيبة تنتج لهم محصولا يستحق الحصاد ، وتحدث السبول الغامرة أحيانا ، وتتدفق هذه السيول بشدة من الجبال فتغمر الطرق ، وتخرب القرى و تقضى على المحصولات .

ويمثل ساحل بحر قزوين صورة تختلف تماما عن الصورة السابقة لأن متوسط سقوط الأمطار هناك يتراوح بين ٤٠ و٣٠ بوصة ، وتسقط الأمطار فيه طوال السام ، فتوجد هنالك المستنقعات الواسعة ، والغابات المملوءة بالأوراق الرطبة ، التي تساعد على انتشار الحيات التي يشتهر بها هذا الإقليم .

ويقابل نزول الأمطار في الوديان نزول الثلوج على الجبال العالية ، وكثير من قم الجبال العالية تظل متوجة بتيجان من الثلوج إلى أواخر الصيف ، أما سقوط الثلوج الشديدة — في سهول الوديان فيادر تقريبا ، وتذوب الثلوج — عادة — في مدن مثل طهران واصفهان وكرمانشاه في خلال أيام قليلة ، ولا يسقط الثلج عادة — جنوبي خط يربط بين انديمشك وشيراز ويزد وقاين ، ويسقط — نادرا — على ساحل بحر قزوين . ولكن الممرات العالية التي تعترض الطرق الجبلية الرئيسية قد تسد أياما — أو حتى أسابيع — افي أواخر الشتاء . ويقفل طريق جالوس الذي يبدأ من طهران إلى بحر قزوين — عادة — ثلاثة أشهر في السنة .

و تتحكم كمية الثلوج الموجودة فوق الجبال العالية ... فى الهجرات الربيعية للقبائل الرحل ، إذ أن قطعانها لا تستطيع أن تخترق بعض الممرات حتى شهر مايو فى كثير من الاحيان .

وتتمتع الهضبة الإيرانية بشتاء معتدل تماما؛ وصيف حار، فمثلا قد تصل درجة الحرارة في طهران في فترة تمتد أياما كثيرة متوالية في وسط الصيف إلى ١٠٠ درجة ، ولكن الليالي تبكون معتدلة نسبيا ، ونسبة الرطوبة في الصيف تبلغ ٢٠٪ تقريبا ، ولا تصل درجة الحرارة في الشتاء إلى صفر إلا نادرا ، وهي — دائما — فوق درجة التجمد في وسط النهار ، وإقليها خراسان وآذربيجان أكثر اعتدالا في الصيف ، وأشد برودة في الشتاء . وتسود بعض الظروف الجوية الإقل احتمالا منطقة رأس الخليج الفارسي ، والمنطقة الواقعة على امتداد شو اطئه ، وفي الاقاليم الصحر اوية التي في الجنوب الشرق .

ومن المسائل المختلف فيها : هل الجو في عبدان (آبادان) وخرمشهر والأهواز أشد حرارة أم الجو في الصحارى ١٢. فقد وصل متوسط درجة الحرارة في المنطقة بن الله ١٣٠ درجة ، ولكن تمتاز المنطقة الواقعة في رأس الخليج الفارسي بأنها موبوءة بالرطوبة الشديدة . ويتدرج ساحل بحر قزوين من الدف إلى الحرارة في أثناء السنة ، ويبلغ فصل المطر أقصاه في شهر يناير ، وتصل نسبة الرطوبة إلى ٩٠٪ ، بينها هي ٧٥٪ في شهر يولية . وبكون الانتقال من فصل إلى فصل في إيران مفاجئا تماما .

وأول يوم من السنة الإيرانية هو ٢١ مارس، وفيه تمتلى أشجار الفاكهة بالبراعم، وتتغطى الحقول بنبات القمح الاخضر الجيل، ثم تأخذ البساتين في الازدهار، وتتغطى سفوح الجبال بالزهور البرية. فإذا أقبل الصيف أخذت حرارته تحرق الازهار وتميتها، أما الحريف فلا تدل عليه الالوان الزاهية ولا الضباب الحقيف المعروف في صيف الهند، بل يحدث فيه انتقال سريع من الصيف إلى الشتاء.

والقاعدة الغالبة فى إيران هى صفاء السهاء فى أكثر الآيام ، فالسهاء نظل غير ملبدة بالغيوم مدة تزيد على نصف السنة ، ويوجد حوالى خسين يوما فقط ــ فى كل سنة ــ تسود فيها العواصف الشديدة المظلمة ، وتهب الرياح القوية فى فترات معينة ، وهى تملا الجو ــ غالبا ــ بسحب من الغبار ، وتهب الرياح الصيفية بانتظام ــ فى جنوب شرقى إيران ــ فى فترة تمتد بضعة أسابيع ،

و تتجاوز سرعتها ستين ميلا فى الساعة ، و تستغل قوتها فى إدارة طو احين الخواء، لطحن محصول القمح المحلى .

ويخاف الإيرانيون برد الشتاء أكثر من حر الصيف، لأن السفر والنقل قد يتوقفان تماما ، ولأن الفلاح يضطر إلى الاحتفاظ بتموينه الغذائى المحدود ، يضاف إلى ذلك سبب أكثر أهمية وهو أن البرد لا يمكن أن يعالج بنظام ثابت للندفئة . و تتجه جميع المنازل بمختلف أحجامها — نحو الجنوب حتى تشرق شمس الشناء المحببة — التي قد تكون أحيانا دافئة جدا — في الحجرات الرئيسية من المنزل .

وأنواع الوقود تارة باهظة الثمن ، ولا توجد فى القرى والمدن أية وسيلة لتدفئة المنزلكله ، ولذلك تستدفئ الاسر باستعال «كرسى » وهو عبارة عن موقد فيه فحم نباتى يشنعل ببطه ، يوضع فوق الأرض تحت منضدة دائرية أو إطار يرتمع عنه حوالى قدمين ، وتفرش ألحفة العائلة فوق المنضدة بحيث تكون دائرة يبلغ اتساعها حوالى ثلاث أو أربع ياردات حول الموقد .

ويضطجع أفراد العائلة فى أثناء النهار ، وينامون أثناء الليل تحت هذه الالحفة ، مادين أجسامهم نحو موقد النار فى صورة دائرة ، تاركين رؤوسهم غير مغطاة لتتعرض وحدها لهواء الحجرة البارد .

الفصلالىشاىنى **الىسسارىسىسىخ**

إيران في عصر ما قبل التاريخ:

إن تقدم الإنسان منذ ظهوره كنوع من الكائنات منذ أقدم الازمنة حتى الوقت الحاضر يمكن أن يوضح على مقياس رسم طوله خسون بوصة تمثل كل بوصة منها معنى النقطة المقياس ، أصبح الإنسان زارعا عند النقطة التى تشير إلى إ٤٤ بوصة ، وتعلم الكتابة عند نقطة ٤٩٤ بوصة وبلغ الثقافة والحضارة التى بلغهما أيام الدولة الاكينية عند نقط ٤٩٤ بوصة وأغلب الثقافة والحضارة التى بلغهما أيام الدولة الاكينية عند نقط ٤٩٤ بوصة وأغلب المادة التى سنذكرها في هذا الفصل تتعلق بالربع بوصة الاخير على هذا المقياس ، وبجهاد الإنسان الطويل ضد نفسه ، وضد زملائه ، وضد الطبيعة . ولحكن ينبغى أن نذكر شيئا عن فترة ما قبل التاريخ الساحرة ، وهي الفترة التى سبقت التسجيل والتدوين .

كان الرجال فى فترة ما قبل التاريخ ــ فى العصر الحجرى(١) ــ صيادين ، فصنعوا أسلحة وآلات خشنة ، ومارسوا الصيد الذى تعتمد عليه حياتهم ، واحتموا بالكهوف ، وكان سكان أية رقعة قليلين ، فسكان عددهم يتناسب مع عدد الحيوانات الموجودة فى تلك الرقعة ، وكاد الموت يتهددهم جوعا على الدوام .

ومن المحتمل أن بعض الجماعات البشرية تحركت داخل مناطق محدودة ، ولكن ضغط الجوع أدى بهم إلى هجرات أوسع ، ويبدو أنه حدث اختلاط كبير فى الاقاليم الواسعة منذ عصور قديمة جدا ، وكان التطور فى الشرق الاوسط _ فى أثناء العصر الحجرى _ أسرع وأسبق منه فى أوربا .

⁽١) يسمى هذا النصر The Paleothic or Stone Age (المترجم)

وقد أدت ثلاثة اكتشافات حيوية إلى تغير ملحوظ فى أسلوب الحياة ، وربما فى النظم الاجتماعية أيضاً ، وهذه الاكتشافات هى : إدخال الزراعة ، واستمال المعادن ، والتعايش الجماعى — ومن المرجح أن أفراد الشعوب البدائية ظلوا مدة طويلة يجمعون النباتات البرية كالارز ، والقمح ، وجذور النباتات ، ولكن الخطوة الحاسمة التى خطوها بعد ذلك كانت ، حينها جمعوا النباتات ، ولكن الخطوة الحاسمة التى خطوها بعد ذلك كانت ، حينها جمعوا الحبوب بعد حصادها فى الحريف ، واختزنوها — لاول مرة — ثم زرعوها فى الربيع التالى .

وقد أدت هذه السيطرة على وسائل الحياة ، إلى تحركات المجموعات البشرية من الحبال الآكثر ارتفاعا ، إلى السهول المستوية _ في أسفلها _ حيث يصلح السطح المستوى للزراعة ، وهو تغيير عظيم خلقت الطبو غرافيا كلامن وسائله وبواعثه . وكانت الحبوب البرية مثل الحب الوحشى الذي تولد منه القمح _ والذي _ لا يزال يزرع في إيران من المزروعات المألوقة لا في أحواض الأنهار الكبيرة في الشرق الآدني ، بل في منحدرات الحبال ، وكذلك أخواض الإنسان صد الظروف المحيطة به ، واستجابة الظروف لهذا النصال ، أقوى في التلال الباردة منه في السهول الحارة . فلم تلبث الحقول المزروعة أن أحاطت بالمستعمرات المسكونة ، ولم يلبث السكان أن استأنسوا الحيو انات في نطاقها ، ولم يلبث هذا الإسلوب الجديد الخياة الجماعية أن أدى إلى تغيرات في الصلات الاجتماعية بين الآفر اد وبين الجماعات .

ومعلوماتنا قليلة عن سكان إيران الأولين — في عصر مَا قبل التاريخ — وقد سمو احينذاك القروينيين أو القوقازيين ، وبميزاتهم الجسمية والجنسية ليست واضحة تماما رغم أن بين أيدينا مادة دقيقة تتمثل في شواهد قائمة ؛ هي النقوش البارزة المنحوتة في الصخر في كورانجون في جنوب غربي إيران ، والتي يرجع تاريخها إلى حوالي ٢٥٠٠ ق . م . وهي تشتمل على نحوت واضحة لوجوه أربعين شخصا تقريبا من هؤلاء السكان .

ويظن أن القزوينيين اكتشفوا الزراعة قبل عام ٥٠٠٠ ق.م. وأنهم ي بدأوا يزرعون الارض التي سميت إيران فيها بعد. وقد أنتجت الزراعة طعاما أمكن الاعتباد عليه أكثر فى التموين وتيسير العيش ، ولابد أن السكان قد زادوا تبعا لذلك ، وانهم انساحوا فى الأرض وانتشروا فى مناطق فسيحة منها .

وقرب نهاية العصر الحجرى الحديث - عصر الآلات الحجرية المصقولة (١) - تناثرت القرى الكبيرة فوق السهول المنبسطة وكانت كل مستعمرة سكنية مملوءة ببيوت مزدحة متقاربة ، ولم يكن هناك نظام منسق للشوارع والطرق .

ومن المرجع أن الأسلحة والأدوات البرونزية والأدوات الأخرى قد صنعت بكميات كبيرة بعــد عام ٣٠٠٠ ق . م . نظرا لـكمية البرونز التى استخرجت من الاكتشافات الآثرية .

ويقوم بالاكتشافات الآثرية للأماكن القديمة في إيران علماء الآثار الفرنسيون في سوس ونهاوند، وسريل، وأسد آباد، وبالقرب من كا شان، والبعثة السويدية في جرجان والمعهد الشرقي لجامعة شيكاغو بالقرب من يرسبوليس ومتحف جامعة فيلاد لفيا، ومتحف كانساس سيتي (Kansas City) في دامغان، والمعهد الإيراني في جرجان وفي لورستان، وقد تمت أعمال قيمة في دامغان، والمعهد الإيراني في جرجان وفي لورستان، وقد تمت أعمال قيمة في ميادين التنقيب والاكتشاف، وفسر ارنست هر تسفلد (Ernest Herzfeld) وسير أورل شتين (Sir Aurel Stein) الكتابات المتعلقة بعصر ما قبل التاريخ.

وتظهر مواقع المستعمرات القديمة كائم اربى بارزة، يبلغ ارتفاع بعضها حوالى ١٠٠ قدم، وتوجد منها آلاف كثيرة فى إيران . وقد تأسست هذه المستعمرات الاصلية على السهول المنبسطة أو على ارتفاع طبيعى يسير . وسقطت البيوت المبنية من الطين بفعل الامطار الغزيرة، وبنيت على انقاضها — بعد تسويتها — منازل جديدة، وألق فائض الانقاض فى الطرق الضيقة، وبذلك ارتفع مسطح هذه الطرق، وهكذا أخذ ارتفاع المستعرات عن الوديان يزدان تدريجيا على مرالقرون، وكان استيطان أى مكان ينتهى متى صارت المساحة

⁽١) يسمى هذا المصر Neolithic period (المترجم) .

التي على قمة رابية اصطناعية صغيرة جدا ، أو إذا هلك سكانه في الحروب ، أو بسبب الكوارث الطبيعية ، ثم تهب الرياح حاملة التراب والرمال ، فوق المحكان المهجور ، فتعلوه الحضرة وتغطى آثار سكنى البشر . ولكن ما زالت الامطار الغزيرة تكشف باستمرار عن قطع الخزف والخواتم ، والاشياء الصغيرة الاخرى إلى أسفل الرابية لنبين مدى وجود هذه المستعمرة القديمة ، وتاريخ كيانها بالتقريب .

ويبدأ التنقيب في المكان الذي يقع عليه الاختيار عند قة الرابية ، حيث يستكشف جزء محدود منها ، أو تستكشف المساحة كلها بالتدريج ، ونظام الحفر شبيه بقطع بحموعة من الشرائح الأفقية ، ثم يسجل عن كل شريحة الوضع العمودي ، والتصميم المحلي لكل بناه — أو أى شيء آخر ليكون من المتيسر أن تلاحظ التغيرات الواضحة في البناء ، وفي نماذج الفخار والأشياء الأخرى ، ويمكن أن يعبر عن المسطحات الأفقية الواضحة بحرف أو رقم متميز ، ويساعد تشابه المسطحات في الأماكن المختلفة على إثبات وجود نظم حضارية عامة أو على بيان التأثيرات التي انتقلت من منطقة إلى أخرى ، كما يسمح هذا الأسلوب الخاص بالمقارنة بين المسطحات بتقدير تواريخ العصور السابقة على الأسلوب الحاص بالمقارنة بين المسطحات بتقدير تواريخ العصور السابقة على تواريخ السجلات المكتوبة .

وتشتمل الأشياء الموجودة فى أى موقع قديم على آلات وأدوات للزراعة والنسيج ، وأختام وتعاويذ ، ولعب للأطفال ، وقطع من الفخار .

ويمدنا الفخار الموجود بكميات كبيرة ــ فى كلموضعــبمعلومات حاسمة، و تقدم لنا رسومه وأشكاله حقلا خصيبا للتأمل والدراسة.

وكان أقدم فحار مصنوعا باليد ، ولكن عجلة الفخار استعملت بعد ذلك ، ويوجد اختلاف كبير – فى الحجم والشكل – بين الأوانى المستخرجة ؛ وقد وجدت فى القبور قطع من الفخار كان كثير منها من الرقة وسهو لة الكسر بحيث تتعذر ملاءمتها للاستعمال اليومى ، مما يرجح أنها انما صنعت لمجرد سد حاجات الميت فى القبر وفى الدار الآخرة ، وقد زينت الأوانى المطلية باللون الأحر

أو الاسود بنماذج هندسية ، وبصور حيوانات رشيقة ، وفي أحيان نادرة بصور كائنات بشرية ، وقد صورت الحيوانات المنتشرة في الإقليم بمهارة مدهشة ، ومن الطريف حقا ، أن نلاحظ أن فناني القرية استطاعوا أن يرسموا أحيانا صورا طبيعية لهذه الحيوانات بطريقة فنية بديعة ، تصور فيها هذه الدواب بوجوهها الجانبية فتبدو أشبه بالصورة التي أبدعها الحالق ، أكثر ما تبدو كنسخة مستمدة منها .

ومن الممكن أن نقول إن كل النماذج الهندسية المستعملة على الحزف كان لها معنى رمزى فى أذهان الفنانين والناس الذين عاشوا فى العصر الذى صنعت فيه وأنها تمثل بجهودات الانسان لإدراك معنى العالم، وشغفه بما حوله، وخوفه من الطبيعة، ولما كان الإنسان يعتمد على الجو الملائم للحصول على الغلات التي يقتات بها، فقد رمزت كثير من رسوماته إلى القوى الطبيعية الممثلة للجو، أو كانت تحويرا الرمز إلى مايشبه صورة الحيوان، فمثلا: القمر مقترنا بالمطرير برمز له بهلال، ويمثل الهلال بقرون الوعل المنحنية، وقد صورت رموز أخرى تمثل الشمس والمطر الهاطل، وبركة كبيرة، وشجرة نضيرة فوق قة جبل، وبينت الرموز — أيضا — العقائد الدينية المنتشرة، والخرافات والأساطير التي استقرت في أذهان الناس تماما بحيث توارثتها الأجيال، وسجلتها في النهاية عن طريق الكتابة.

إيران قبل الأكمينيين :

هاجرت طائفة واحدة — على الأقل — من الطوائف التى سكنت طويلا في الهضبة الإيرانية من موطنها القديم إلى موطن آخر ، فقد انتقل السكاز (Kassites) من إقليم لورستان في غربي إيران إلى بابل في القرن السابع عشر قبل الميلاد ، وحكموا هذه البلاد ستمائة سنة ، وقد بدأت فترة حكمهم بالانتقال من استعمال البرونز إلى استعمال الحديد ، وقامت إمارات ودول مركزية في إقليم مان (Man) في الركن الشمالي الفربي من الهضبة ، وفي سوس مركز العيلاميين الذين حكموا فترة وجيزة بعد هزيمة الكاز، ويرجع تاريخ أقدم كتابات للعيلاميين

إلى القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد، ثم قامت مملكة أرارتو (Urartu) في الإقليم الذي عرف أخيرا باسم أرمينية ، وإذا كانت المواطن المرتفعة هي التي سبقت إلى تطوير الزراعة ، والحياة الجماعية فإن سكان السهول فيما بين النهرين قد ارتفع شأنهم باختراع الكتابة ، وتنظيم القوانين ، وإنشاء الآبنية الآثرية .

وظهرت فى هذه المنطقة الإقليمية بعد ذلك سلالة جنسية أخرى هى الآريون الذين قدموا إليها فى موجات منلاحقة ، فجاء – أولا – الآريون الهنديون الذين تحركوا حوالى عام ١٥٠٠ ق . م . من إقليم نهرى سيحون وجيحون إلى جنوبى الهضبة الإيرانية وغربيها ، ثم أقاموا فى أقصى الغرب حيث تغلبوا على مملكة ميتانى (Mittani) .

ثم جاء الإيرانيون في حوالي . . . وقد عاش هؤلاء القوم أولا في جماعات مستقرة ، ثم أخذوا في حياة البداوة والتجوال واستمروا فيما فترة طويلة حتى انتهى بهم الأمر إلى تأسيس القرى في إيران ، واتخذوها موطنا لهم وكانوا يتحدثون لهجة هندية أوروبية (Indo-European) ؛ ولكن المعروف عن خصائصهم الجنسية قليل ، ومن المظنون أنهم حلوا تماما محل الساكنين الأولين للهضبة الإيرانية ؛ ولكن هناك احتمالا يسيرا في أن بعض القبائل البدوية الموجودة في إيران حاليا ، إنما تفرعت من السكان الأصليين الذين كانوا يعيشون فيها .

واشتمل الإيرانيون على طوائف الميديين والفرس والبارثبين والباكتريين (Bactrian) (أهل بلخ) والسغديين و «الساكا» والسيذيين (Scythians) وقد استقر الميديون في غربي ايران، وأصبحوا هم والفرس في الجنوب خاضعين. — في البداية — للدولة الآشورية، ولذلك فإن معلوماتنا عنهم تستمد جميعها من الكتابات الآشورية، وسرعان ما اشتد ساعدهم، وأثبتوا استقلالهم ثم قهروا آشور، ولكن تفاصيل هذه الاحداث غير موجودة لأنها لم تدخل ضي السجلات الآشورية.

وكانت اكباتانا — همدان الحالية — عاصمة الميـديين ، وقد حطم سياكزارس (Cyaxares) ملك ميديا من ٦٢٥ إلى ٥٨٥ ق . م . قوة آشور تماما ، ووسع ملـكه حتى شمل جزءاكبيرا من آسيا الصغرى .

ويوجد وصف جذاب لاكباتانا عاصمة الميديين ولقصورها الخرافية في كتب المؤرخين الاغريقيين هيرودوت وبوليبيوس، ولكن قلة النصب الأثرية القائمة الباقية من هذه الفترة تجعل من الضرورى التأمل في بناء المدن والمعابد والمنازل، وفي متناول أيدينا مصدران نستمد منهما هذه المعلومات: أولا: توجد صور واضحة منحوتة لمدن وأبنية، قدت في البروزات الحجرية التي كانت أصلا في قصر سارجون (٢٥٠ هـ) في خورس آباد (Khorsabad) وتساعد المعلومات المكتوبة عن الحلة الثامنة لسارجون ملك آشور التي وجهت ضد الشيال الغربي من ايران في ٧١٤ق. م. على فهم هذه النقوش وجهت ضد الشيال الغربي من ايران في ٧١٤ق. م. على فهم هذه النقوش البارزة، ومن بينها القرى المحصنة بالخنادق، والأسوار الشامخة، وقد صور معبد خالديا (Khaldia) في قرية موساسر (Musasir) بواجهة مكونة من ستة أعمدة وسقف مثلث، و تعرض مدينة أخرى أبنية مستطيلة بنيت من الأحجار السوداء والبيضاء على التعاقب.

والمصدر الثانى للمعلومات هو القبور المنحوتة فى الصخر الخاصة بالعصر الميدى، وفن البناء فى هذه المقابر يتمثل فى دهليز من الاعمدة كما هو مشاهد فى المقابر الموجودة فى سربل الذى يسمى دكان داود، والقبر الذى فى فخريقا (Fakhriqa) والقبر المسمى ده ودختر.

ونموذج البناء فى هذه المقابر هو فعلا نسخة من صور المنازل، غير أن الأجزاء والعناصر المألوف اتخاذها من الحشب قد أخذت فيها من الحجارة. وهناك شواهد أقل تأكيدا — ترجح أن المنزل الذى يشبه البرجكان معروفا فى أثناء ذلك العصر.

وأكثر الآثار الفنية شهرة مما خلفته هذه القرون الطويلة آثار لورستان البرونزية التى سميت كذلك لنسبتها إلى هذا الإقليم الجبلى فى غربى إيران، وقد استزعت اهتمام العالم منذ ١٩٢٩ ــ واستخرجت بعد ذلك بكمية كبيرة من القبور القديمة ، وهى تعرض فى كل متحف مهم تقريباً.

وكانت القطع القديمة مصنوعة من النحاس الآحر المطروق في صور تشبه صور الفخار المحروق ، ويرجع تاريخها إلى حوالى ٢١٥٠ ق . م . عندما كان الحكاز يعيشون في هذه المنطقة ، وتعد القطع المتأخرة أمثلة رائعة لفن سبك البرونز وصبه في قوالب ، وقد كُرر إنتاجها في المدة ما بين ١٤٠٠ و ١٠٠٠ ق . م واستمر حتى العصر الأكميني . وتشتمل نماذج البرونز على فؤوس ويختاجر ، ومسنات ، ومقابض ، وزينات للخيل — خصوصا لقمة اللجام وخواتمه — وحيوانات صغيرة ، وأساور ، وأقراط ، ودبابيس للملابس ، والتعاويذ . وتعرض جميع القطع تقريبا صور الحيوانات إما في بروز أو تجسيم ، وتبدو وتعرض جميع القطع تقريبا صور الحيوانات إما في بروز أو تجسيم ، وتبدو فيها مسحة صادقة من الحقيقة والحيوية . والأسلحة مزينة تزيينا بديعا ولها فيها مسحة صادقة من الحقيقة والحيوية . والأسلحة مزينة تزيينا بديعا ولها فيها مسحة كذلك لتستعمل في بعض الطقوس والمراسم .

العصر الأكميني (١) :

استقرت طائفة أخرى كانت وثيقة الصلة بالميدبين فى اقليم فارس، وانتشر أفرادها في سهول عيلام باعتبارهم حكاما من قبل الميديين، وأصبح رؤساء هذه الطائفة التى تعرف باسم الأكينيين السادة المسيطرين على هذا الإقليم الذى كان يعرف باسم وأنشان، (٢) أو فارس. وفي عام ٥٥٣ ق.م. ثار قورش (١) نائب الملك فى پارس أو پرسيس، وأسقط الحاكم الميدى أستياجس (Astyages) ثم أعقب ذلك اتحاد وثيق بين الميديين والفرس، وسرعان ما استخدم جيشا أعقب ذلك اتحاد وثيق بين الميديين والفرس، وسرعان ما استخدم جيشا مكونا من هذه الجماعات القبلية الناهضة فى سلسلة من الغزوات الناجحة التي مكونا من هذه الجماعات القبلية الناهضة فى العالم.

وقد تقدم قورش إلى آسيا الصغرى حيث هزم الملك الليدى كروزوس (Croesus) ذا الثروة الخيالية ، وسيطر ـــ فىحو الى ٥٤٦ ق . م . ـــ على أرمينية

⁽١) المراجع : يعرف الأكينيون في المصطلح الفارسي باسم « هخامانشيان » أو « شاهان «خامنفي » .

⁽٢) المراجع : يكتب في الفارسية ﴿ الزَّانِ ﴾ .

⁽٣) المراجع : يعرف في الفارسية باسم «كوروش » .

وآسيا الصغرى والمستعمرات اليونانية التى على ساحل البحر الآبيض المتوسط، ثم رجع إلى اكباتانا حددان الحالية حدالمركز التجارى للدولة الأكمينية الجديدة، ثم قاد جيشا إلى الشرق ليغزو الأقاليم التى هناك مثل بارثيا (Parthia)، وفوروزوميا (خوارزم) (Chorasmia) وباكتريا (بلخ) (Bactria)، وفي ٥٣٥ ق. م . حاصر بابل العظيمة ، واستولى عليها في النهاية بو اسطة تحويل مجرى نهر الفرات ، وأرسل بعض اليهود والمحبوسين هناك حفي المنني حيل فلسطين .

ولم يكن قورش المتوفى فى عام ٢٩٥ ق . م . بطلا عالميا ومنظما إداريا ماهرا فحسب، بلكان ــ أيضا ــ أول من أظهر روح التسامح، وهى صورة نموذجية للخلق الإيراني .

وغزا ابنه قبيز (۱) مصر ، ثم جن فى النهاية ، وانتحر بالقرب من اكباتانا فى أثناء ثورة قام بها موبْذ اسمه جو ماتا (Gaumata) واعتلى جو ماتا وقد ادعى كذبا أنه أخو قبيز — العرش مدة وجيزة ، ثم قتله رؤساء الاسر النبيلة .. ثم عين دارا (۲) قائد جيش المنتقمين — الذى نبت من فرع آخر من الاسرة الاكينية — ملكا فى ٥٢١ ق . م .

وقد أخمد _ أولا _ موجة من العصيان كانت قد سادت فى الدولة ، ثم عبر البوسفور فى ٥١٧ ق . م . واستولى على تراقيا (Thrace) ، ثم عبر الدانوب ولكنه انسحب قبل تدعيم هذه المغانم ، لأن المساعدات التى قدمت من الولايات اليونانية الأصلية فى اليونان للمستعمر الت اليونانية الثائرة فى آسيا الصغرى دفعته إلى الحرب من جديد ، فقام بحملتين على بلاد اليونان فى ٩٢ و و و و و و انسحاب الجيش الفارسي إلى آسيا الصغرى .

وخلف اكزرسيس^(٣) الأول (Xerxes) أباه دارا في عام ٨٥٤ ق . م .

⁽١) المراجع : يعرف في السكتب الفارسية باسم (كمبوجيه) .

⁽۲) و و و و (داريوش) .

⁽٣) « « « القديمة باسم « خشيارشا » .

فقاد حملة ثالثة ضد اليونان مكونة من ٠٠٠٠، ٩٠٠ جندى يساعدها أسطول ضخم بلغت هدفها بالاستيلاء على أثينا وحرقها فى ٤٨٠ ق . م . ولكنه انسحب إلى آسيا الصغرى بعد هزيمة الاسطول الفارسي فى موقعة سالاميس (Salamis) وهزيمته فى موقعة بلاتيا (Platea) وقد استمرت العمليات الحربية بعض الوقت ، ولكن الاكينين أقاموا مع ذلك علاقات أكثر ودا مع الولايات والمستعمرات اليونانية .

وخلف أرتاكزرسيس^(۱) الأول أباه في ٢٥٥ ق م. وحكم حتى ٢٧٤ ق.م. وظهرت بو ادر الاختلال الداخلي للدولة في الثورات التي اشتعلت في مصر والأقاليم الأخرى، وظلت كذلك حتى مدة حكم أرتاكزرسيس الثالث، الذي حكم من ٣٥٩ — ٣٣٨ق.م. واستطاع أن يعيد حدود الدولة إلى حالتها الأولى لمدة وجيزة، ثم دالت الدولة في النهاية في عصر الملك الجبان دارا الثالث.

وأغلب معلوما تناعن تاريخ ايران فى العصر الأكمينى ، وعن تفصيلات النظم السياسية ، والجيش ، وحياة الناس ، مأخوذ عن المؤرخين اليونانيين ، خصوصا عن هيرودوت (٢).

وقد قسمت الدولة إلى عشرين ولاية ــ أو محافظة ــ كل واحدة منها تحت حكم وال أومرزبان ، وكان الولاة ينحدرون من الاسر الفارسية النبيلة ، وكانت وظيفتهم أقرب إلى أن تكون وراثية ، وقد استمر النظام الذى أسس فى ذلك العصر سائدا فى إيران حتى نهاية القرن التاسع عشر . وهو يقوم على أساس حاكم مطلق نخضع له جماعة من الحكام شبه المستقلين .

وكان الجيش مقسما إلى ست فرق ، تضم كل فرقة منها . ٠٠و٠٠ جندى ، وتتكون كل فرقة من ست كتائب ، كل كتيبة منها . ٠٠و٠٠ جندى ـ وكان الفرسان يركبون خيو لا مرباة فى ميديا ، ويتسلحون بالقوس والنشابة .

⁽١) المراجع : يسرف فى الغارسية النديمة باسم « ارث خشتر » وفى السكتب الغارسية باسم « أردشير أول » .

 ⁽ ۲) لم يخل ما كتبه هيرودوت من البالغة والقدح في الإيرانيين ، لأنه كان يكرحهم كنيره
 من اليونانيين لحرقهم أثينا (المترجم)

وكان حرس الملك الخاص يتكون من ١٠,٠٠٠ جندى يعرفون باسم وكان حرس الملك الخاص يتكون من ١٠,٠٠٠ جندى يعرفون باسم و الخالدين ، لأنهم كانوا من فسل الأسر الحاكمة في ولاية فارس الأصلية . وكانت الولايات متصلة بواسطة الطرق التي كان أهمها الطريق الملكي(١)، الممتد من السوس إلى مدينة سرديس عبر ما بين النهرين وآسيا الصغرى، وهي مسافة تبلغ ٥٠٠و ميل؛ وكان الرسل والمسافرون يستعملون طريقة البريد، فيركبون حيولاة وية يستبدلونها بخيول جديدة في محطات كثيرة على طول الطرق.

وقد ازدهرت الزراعة ، وطبقت العدالة بدقة ، وسمح للجهاعات البشرية المقيمة داخل حدود الدولة بالاحتفاظ بدياناتها الاصلية غالباكما سمح لاسرها الحاكمة بالاستمر ارفى حكمها .

أما الضرائب فقد انتقلت من صورتها النوعية التي كانت معروفة في العصور القديمة إلى قوانين منظمة مع توحيد الدفع بالدريق الذهبي (Daric) ، وكانت سوس وبابل وإكباتانا أهم المراكز الحكومية ، ومقر القصور الملكية ، بينها كانت يرسبوليس العاصمة الروحية للدولة .

ويبدو أن الطبقة الارستقراطية الحاكمة قد حافظت على روحها الحربية ، ولكن سرعان ما حلت الاساليب الشرقية فى الحياة والفكر ، وهى التي اقتبسوها من إقليم ما بين النهرين المتحضر جدا ؛ محل عاداتها القبلية القديمة . وقد لاحظ هير ودوت هذا الميل من الفرس نحو اقتباس الاساليب الاجنبية والتأثر بها حينها كتب يقول : دولا يوجد شعب يقبل العادات الاجنبية باستعداد تام مثل الفرس ، وهم إذا سمعوا بأى نوع مر أنواع الترف فإنهم يجعلونه سه فى الحال حاصا بهم ، .

والعقيدة السائدة — فى الوقت الحاضر — وهى أن الأكمينيين الفرس كانوا برابرة إذا ما قورنوا بالإغريق المتحضرين عقيدة خاطئة ، لأننا نعلم ان قورشكان يحتقر أخلاق اليونانيين التجارية ، كما أنه من الواضح أن ولايات الأكمينيين تفوقت على المدن اليونانية كثيرا فى ميادين الإدارة العامة ، والنظم السياسية ، واستقرار الحكم والتسامح فيما يتصل بالجنس والعقيدة .

⁽١) المراجع : أي الطريق الرئيسي ويعرف في الفارسية باسم « شاه راه »

وقدكتبت وثائق الأكمينيين المنحوتة فى الصخور، أو المثبتة على القوالب الطينية بثلاث لغات كانت مستعملة فى عصرهم هى : الفارسية القديمة ، واليابلية .

وترجح الأبحاث الحديثة أن الوثائق الرسمية كانت مسجلة بلغة فارسية قديمة مكنوبة بخط آرامى، في حين أن اللغة الفارسية القديمة ـ التي سجلت بها النقوش التي على الصخور ـ كتبت بحروف مستعارة مكونة من رموز مسمارية، وقد كانت اللغة الفارسية القديمة ـ في أبسط صورها ـ عضوا في الشعبة الهندية لأسرة اللغات الهندوأوروبية الكبيرة، وكانت لغة الزند أو لغة الافستا ـ وهي لغة النصوص الزردشتية القديمة ـ وثيقة الصلة بها.

وقد اقتصرت الكتابات الملكية على تسجيل سلسلة نسب الملك ومذهبه الديني وأسماء الولايات، وإخماد الثورات، وبيانات مفصلة عن بناء القصور الملكية، ويمكن أن نعلم شيئا عن خصائصها من هذه الفقرة المنقولة من نقش دارا الطويل ذى اللغات الثلاث المحفور على وجه صخرة بجبل بيستون، وهو: وأنا دارا بن هستاسيس الأكيني الفارسي ابن الفارسي، الآرى المنحدر من أصل آرى، الملك العظيم، ملك الملوك، وملك البلاد المسكونة بجميع الاجناس، ملك الملوك المنبسطة منذ مدة طويلة،

وقد شاهد العصر الآكيني ظهور ديانة تهدف إلى إبدال الآلهة الوثنيين الذين يحسمون القوى الطبيعية والعواطف البشرية بنظام شامل يقوم على أساس الصراع الدائم بين الحير والشر، وكانت هذه الديانة التي بشر بها زار تسترا(۱) (Zorathushtra) الذي يسمى حديثا باسم زردشت . وقد ولد في ميديا، وأغلب الظن أنه عاش في القرن السادس قبل الميلاد، وعقيدته هي العقيدة التي صارت الديانة الرسمية لدارا وأكزرسيس وأرتكزرسيس الآول، وتؤمن الديانة الجديدة بآهور امزرا — على أنه إله الخير وتسمى نسبة إليه

⁽۱) المراجع : يكنب هذا الاسم على جملة صور بالفارسية لعل من أكثرها قبولا « زردشت » . أو « زرتشت » .

بالديانة المزدية ـــ ويقترن الخير فيه بالصدق والنور أيضا ، وهو الذى قرر خلود الروح ، والحساب في يوم القيامة .

وكانت هذه العقائد بجردة جدا ؛ فلم تستطع أن تبقى بدون تغيير ، فلم تلبث أن تغييرت باتحادها مع آلهة الإيرانيين القدماء من ناحية ، وباختلاطها بالطقوس الدينية لطائفة المجوس الميدية من ناحية أخرى ؛ وقد أصبح رجال هذه الطائفة يتوارثون وظيفة الكهنة في هذا الدين الجديد المنتشر .

وتوجد — بين الآثار العديدة المتبقية عن الفترة الأكمينية — القبور السبعة المنحوتة فى الصخور فى پرسبوليس^(۱) ، وفى نقش رستم القريبة منها ، وهى منحوتة فى واجهة صخرة عمودية مرتفعة ، وتشتمل على واجهات خارجية عالية ، تضم صفا من الاعمدة المبنية فى صورة جدول ، على أساس هندسى ، وخلفها حجرة أو أكثر ، وفكرة البناء فائمة على أساس واجهة منحوتة فى الصخر ، وتوجد نماذج قديمة لهذا النوع من البناء فى إيران وآسيا الصغرى . ويوجد قبر قورش فى بازارجاده (۱) — فى سهل كثير الماء ، وهو بناء أثرى من الحجر مرفوع فوق إفريز من الارض ، يشبه المنزل المستطيل ذا السقف من الحجر مرفوع فوق إفريز من الارض ، يشبه المنزل المستطيل ذا السقف لمنتدى (جملون) ، وتوجد هناك — أيضاً — آثار عدة قصور ملكية منتثرة فى مكان كان فى الاصل حديقة مليئة بالاشجار ، وهذه الآثار مقسمة إلى وحدات ، كل وحدة منها تتكون من ساحة كبيرة مستطيلة ذات أروقة على جانب أو أكثر من جوانب البناء ، وحجرات صغيرة مربعة فى الاركان ، جانب أو أكثر من جوانب البناء ، وحجرات صغيرة مربعة فى الاركان ،

وموقع الآثار فى پرسبوليس هو خير ما عرف عن هذا العصر ، وإذا نظرنا إليه وجدناه ساحة مستطيلة تعتمد على جدر مبنية تبرز من الصخور ، وتشرف على سهل واسع خصيب ـــ وقد بدأ دارا بنا. هذه المساحة وأتمها اكزرسيس وارتاكزرسيس الثالث ـــ ووجدنا بجموعة كبيرة من الدرجات الحجرية المؤدوجة

⁽١) المراجع: تعرف في الفارسية باسم « تمنت جمشيد » .

⁽٢) المراجع : تعرف ق الفارسية باسم « تخت مادر سليمان » وتسكتب أحيانًا « باساركاد» .

تقود إلى الشرفة ، وبعد نهاية الدرجات تقف بوابة سائر البلاد التى بناها اكزرسيس؛ وهى مربعة فى شكلها تضم فى داخلها أربعة صفوف من الاعمدة ، وأربعة أبواب تقوم على جو انها ثيران مجنحة ذات رؤوس آدمية ، وإلى شرقى الباب وفوق مستوى الشرفة ببضع ياردات ، توجد «الايادانا» (Apadana) الباب وفوق مستوى الشرفة ببضع ياردات ، توجد «الايادانا» (الكبيرة أو وصالة الاستقبال» ويوصل إليها بسلم مزدوج تحيط به على الجانبين و محبو البناء ، إحداهما تمثل موكبا طويلا من رعايا الشعوب الخاضعة ، يحضرون الجزية التى يقدمونها موكبا طويلا من رعايا الشعوب الخاضعة ، يحضرون الجزية التى يقدمونها بمناسبة عيد الربيع الذى يقام سنويا فى پرسبوليس ، وتمثل الاخرى أفراد بمناسبة عيد الربيع الذى يقام سنويا فى پرسبوليس ، وكان يوجد قبل ذلك على كل جانب من جو انب الصالة الرئيسية باب كبير ذو صفين من الاعمدة على كل جانب من جو انب الصالة الداخلية الواسعة التى يبلغ انساعها يتكون كل صف منها من ستة أعمدة ، وقد بنيت فى كل ركن حجرة مربعة أكثر متانة واستحكاما، وتشتمل الصالة الداخلية الواسعة التى يبلغ انساعها أعمدة ، ارتفاع كل منها ه وقد من كل ناحية على ستة صفوف من الاعمدة ، فى كل صف ستة أعمدة ، ارتفاع كل منها ه وقدما .

وإلى شرقى الأبادانا تماما ، توجد الساحة الشهيرة ذات المائة عمود ، التى أحرقها الإسكندر الأكبر ، وتصميمها مثل تصميم الأبادانا ، غير أن الصالة الكبيرة ذات عشرة صفوف من الأعمدة ، فى كل صف عشرة أعمدة ، والنقوش البارزة على الجوانب الحجرية للأبواب ، تمثل الملك — وأغلب الظن أنه اكزرسيس — يعقد استقبالا ملكيا ، أو فى صراع مظفر ضد الوحوش الخرافية التى تمثل قوى الشر .

ومن الآبنية المهمة فوق الافريز ــقصر شتوى صغير لدارا يسمى دتاجارا، (Tachara) وكان محل إقامة الحريم، فأقامت فيه، زوجات دارا واكزرسيس، وقد أصلحه في العصر الحديث المكتشفون الذين اكتشفوا هذا الموقع، كما توجد الخزانة الملكية، وقصر اكزرسيس المسمى دهادج، (Hadich)، وقصر ارتاكزرسيس الثالث، وبناء غير معروف، من الجائز أنه كان قصر الملسكة الذي شيده دارا.

وتتكون الأبنية التي على الإفريز من ثلاث بحموعات رئيسية هي: الأبواب، وصالات الاستقبال والمساكن الخاصة ، وقد بنيت أغلب الآبنية قريبة من بعضها البعض مع مراعاة يسيرة لشكلها الظاهرى العام ، وكانوا يجلبون العيال ومواد البناء — إلى هذه الناحية — من جميع أرجاء الدولة ، وكانت التصميمات المعارية ، والنقوش البارزة خليطاً من الفن المصرى ، والفن البابلي ، وفن آسيا الصغرى .

وكشف التنقيب فى السوس عن آثار قصر كبير بدأ دارا بناءه ، وأتمه خلفاؤه ، وهذا القصر يشبه إلى حدكبير ــ بقاعاته الداخلية ، وحجر آته الضيقة وبعض أجزائه الآخرى ــ النماذج الآشورية والبابلية الأصلية .

وقد انعكس امتزاج الفن الأكيني بالفنون المجاورة وميله إلى التحرر في الصور المنحوتة في الحجرات للحيوانات، وفي رؤوس الآدميين المصنوعة من البرونز، وفي التماثيل الصغيرة المصنوعة من الذهب والفضة، لرجال يلبسون الملابس الإيرانية، وفي التماثيل الصغيرة لحيوانات مصنوعة من البرونز وغيره من المعادن الثمينة. وقد استعملت أشكال الحيوانات في أوضاع رائعة كأياد لأواني الشراب والكؤوس، وهي تدل على القوة والحيال، وتوجد أيضاً سلاطين من الذهب والفضة محلاة بالورد، وبراعم الملوتس (النيلوفر)، والازهار. وحلى هذا العصر عبارة عن الأساور والقلائد والحلقان وقد بقيت لنا منها كميات كثيرة ممثلة بوضوح في المجموعة الشهيرة باسم (Oxus Treasury) والخطوط الزرقاء الجموعة من المجوهرات الذهبية والفضية المحلاة بالمؤلؤ، والخطوط الزرقاء الجميلة، والأحجار الملونة، وأكثرها موجود الآن في المتحف البريطاني.

وقد بقى كذلك كثير من الأختام الأكمينية الاسطوانية ، والاحجار التي تستعمل فى الاختام؛ وأكثرها قد نقشت عليه مواكب العبادات الدينية ، أو مناظر لطراد الحيوانات المفترسة وتوجد ــ أيضاً ــ نقود ذهبية وفضية أصدرها الملوك فى المدة التى وقعت بين حكم دارا الاول ودارا الثانى ، وتحمل

كل منها صورة الملك ، ويكون مسلحا ـــ دائماً ـــ بقوس ، ويحمل فى يده إما حربة أو خنجراً أو سهما .

وقد كشفت التنقيبات التي قام بها المعهد الشرقى بجامعة شيكاغو والحكومة الإيرانية — أخيراً — في پرسبوليس أشياء كثيرة لطيفة بين أنقاض الخزانة الملكية ، لوحظ من بينها الاطباق والسلاطين الحجرية والرخامية التي حملها — من مصر إلى إيران — الجيش الاكيني المظفر .

العهد السلوقى(١) :

كتب على الدولة الأكينية أن يحطمها فاتح آخر للعالم هو الاسكندر الأكبر فكانت غزوته ذات تأثير بعيدالمدى ، لأنها وضعت حدا للمجد الشرقى القديم، وحولته نحو الغرب.

وقد ولد الاسكندر بن فيليب _ ملك مقدونية _ عام ٣٥٦ ق.م. وبدأ فى عام ٣٥٦ ق.م. فى تنفيذ سياسة والده، وهى تثبيت قواعد الحسكم فى بلاد اليونان ، ثم السير لغزو إيران على رأس جيش مكون من . . . وصحندى ، واستطاعت قيادته الرشيدة أن تقضى على جيش فارسى كبير بقيادة دارا الثالث قضاء مبر ما ، وذلك فى موقعة أيسوس التى تقع إلى الداخل مباشرة من الركن الشهالى الشرقى للساحل السورى ، وقد هرب دارا عندما لاحظ أن تيار المعركة يسير صده ، وسار الاسكندر بجيشه إلى أسفل الساحل ، وشق طريقه إلى قلب مصر ، ثم رجع عن طريق سورية ، ودخل ما بين النهرين وعبر الفرات ودجلة ، وقابل فى داربل ، جيشا فارسيا جديدا يبلغ عدده عشرة أضعاف جيشه _ فهزمه ، واضطر دارا الثالث إلى الهرب مرة أخرى .

ثم اتجه الإسكندر جنوبا ليستولى على بابل ، وتقدم إلى السوس و پر سبوليس حيث استولى على الحزائن الملكية سليمة ، وأحرقت على يديه مدينة پر سبوليس ، وأغلب الظن أنها إنما أحرقت انتقاما من إحراق أثينا الذي تم قبل ذلك بكثير بواسطة الجيش الأكيني . وفي ربيع ٣٠٠ ق . م . خرج

⁽١) المراجع : تكتب هذه الكلمة في الكتب الفارسية بالكاف بدل القاف .

الإسكندر لمطاردة دارا الثالت، فتوجه أولا إلى اكباتانا، ثم سار فى المنحدرات الجنوبية لسلسلة جبال ألبرز، ولم يلبث أن عثر هناك على جثة الملك الأكمينى مقتولا بأيدى أتباعه.

وكان الاسكندر نادرا ما يتوقف لضبط الاحوال وتدعيمها داخل بملكته الجديدة الواسعة ؛ وكأنماكان مدفوعا برغبة ملحة فى الوصول إلى نهاية العالم ، فتوجه هذا القائد الفاتح ـــ رأسا ـــ إلى بلاد غير معروفة تماما لليونانيين ، إلى أقصى الولايات الشرقية التابعة للدولة الاكمينية .

وكانت رحلة الاستكشاف التى قام بها الاسكندر تحمل ــ أيضاً ــطابع الرحلة العلمية ، فقد حفظ لهـا سجل دقيق ، يوضح خط السير ، والمسافات المقطوعة ومعلومات جمعت عن سكان الاقاليم الجديدة ، ونباتاتها ، وحياة الحيوان فيها ، وأرسلت هذه الأشياء إلى بلاد اليونان .

وتزوج الاسكندر فى باكتريا (بلخ) روكسانا أو روشنك وهى ابنة أمير بلخى . ثم اضطر إلى التوجه جنوبا بعد أن حاصره جيش من البدو ، وعبر فى النهاية نهر السند، وهناك رفض جنده المسير معه بعد أن ظلوا غائبين عن موطنهم فى مقدونيا طوال مدة سبع سنوات ، واضطر الاسكندر إلى الموافقة على العودة ، وأبحر الجند فى نهر السند ، ثم سار بهم عبر الاراضى البور القاحلة الممتدة على طول الخليج الفارسي حتى وصل إلى يرسبوليس .

 وبينها كان عمره أقل من ثلاثة وثلاثين عاما — ابتلى بمرض الحمى فى بابل ، ومات فى عام ٢٢٣ ق.م. ووقعت المساحات الشاسعة التى فتحها بعزمه ومهارته فى أيدى قواد جيشه ، وقسمت سريعا إلى جملة ملكيات كبيرة ، واتخذت الدولة السلوقية — التى احتضنت إيران — مدينة (سلوكية) (١) على الجزء الأسفل من نهر دجلة عاصمة لها فى البداية ، غيرأن العاصمة نقلت بعد ذلك إلى أنطاكيا فى سورية ، وأهملت بذلك شؤون إيران ، وتقلصت قبضة السلوقيين أنطاكيا فى سورية ، وأهملت بذلك شؤون إيران ، وتقلصت قبضة السلوقيين عليها وسرعان ما نشأت دويلات محلية مثل دويلة فراتادارا (fratadara) فى إقليم فارس ، وصارت البلاد معدة لظهور حكام جدد .

عهد البار ثبين :

البارثيون (٢) — الذين يعرفون فى التاريخ أيضا باسم الارشكيين (Arsacids) نسبة إلى ملوكهم الاول — كانوا فى الاصل قبيلة من قبائل الساكا (Saka) تتنقل فى منطقة تقع شرقى بحر قزوين، ثم سيطرت بعد ذلك على إقليم بارثاوا (Parthava) الذي كان تابعا للدولة الاكمينية .

وقد قام أرشك الأول (Arsaces) (٢٤٨ – ٢٣٦ ق ٠ م ٠) بثورة ناجحة ضد الحاكم السلوق ، ودعم أرشك الثانى (٢٤٦ – ٢١٦ ق ٠ م ٠) استقلال المملكة الجديدة ، وقاوم أرشك الثالث (٢١١ – ١٩٠ ق ٠ م ٠) المحاولات السلوقية لغزوها ، وبسط القائد العظيم ميثراداتس (٢٠ الأول (Mithradates) الحسكم البارثى على باكترتا (بلخ) وبارسا (فارس) (parsa) وبابل ، وخوزستان ، وميديا ، ولكنه سمح لحسكامها بالاحتفاظ بعروشهم ، وتحطمت — فى تلك الأثناء — القوة السلوقية ، لأنها بعروشهم ، وتحطمت — فى تلك الأثناء — القوة السلوقية ، لأنها فحروب طويلة صد السيذيين المقيمين على حدودهم الشرقية ، كما أن الهجرات في حروب طويلة صد السيذيين المقيمين على حدودهم الشرقية ، كما أن الهجرات

⁽١) المراجع : بالقرب من بغداد الحالية .

⁽٢) المراجع : يعرفون في الكتب الفارسية باسم « پارتيها » .

⁽٣) المراجع : يعرفون في الكتب الفارسية باسم « مهرداد أول » .

العديدة التى قامت بها قبيلة ساكا سببت لهم متاعب جمة ، أنهاها ميثراداتس الثانى (*) (١٢٣ – ٨٧ ق . م .) الذى عزز القوات البارثية ، ووسع نفوذ البارثيين ؛ فامتد من الهند إلى أرمينية ، وهو الذى اتخذ لقب , ملك الملوك ، .

وفى عهد فرايتس الثالث (۱) (Phraetes) (۷۰ – ۷۰ ق م م) بدأت سلسلة من الحروب مع روما على طول الحدود المشتركة ، وظلت هذه الحروب قائمة بصفة متقطعة حوالى ثلاثة قرون ، لأن روما كانت مصممة على التوسع نحو الشرق ، والاستفادة – أيضا – من توسيع نطاق التجارة ، والسيطرة على طريق تجارة الحرير الذي كان طرفه الغربي جميعه في أيدى البارثيين ، وقد قاسي مارك أنتوني هزيمة نهائية في موقعة فراداتا (Phraata) إلى الجنوب من بحيرة أورمية ، ولكن حملة تراجان (Trajan) الاخيرة صد بارثا قد كللت بالنجاح .

وبعد انتصارات ميثراداتس الثانى عد البارثيون أنفسهم وارثين للاكمينيين فى الناحية السياسة ، فاستبدلوا حضارتهم الضحلة بحضارة راقية مستعارة هى فى أعلى صورها مزيج من الحضارة الايرانية والإغريقية (الهيلينية) وقد سمى أحد الملوك نفسه فيلهيلين (أى محب للاغريق)، واختيرت الاساليب اليونانية فى الحياة ، كما اختيرت اللغة اليونانية سى فى البداية ساخة رسمية .

وقد أنشئت — فعلا — أغلب المدن البارثية ؛ بما فيها طيسفون (۲) العاصمة ، فيها بين النهرين ، وبذلك صارت ايران الاصلية تقع خارج الممر الرئيسي للنشاط التجاري والفني .

وكان البارثيون يتكلمون لغة فارسية وسيطة ،كانت قريبة فى تركيبها من اللغة المستعملة فى نهاية العصر الأكمينى ، ويكتبونها بخط آراى يسمى الخط البهلوى ، ولا زالت بين أيدينا ـــ من أمثلته ـــ نقوش طويلة منحوته

⁽١) المراجم : يبرف في الكتب الفارسية باسم «مهرداد دوم» أي مهرداد الثاني .

⁽٢) المراجع : يعرف في الكتب الغارسية باسم « فرهاد سوم » أي فرهاد الثالث .

⁽٣) المراجع : تعرف في العربية باسم المدائن.

فى الصخر، وعدد من النصوص البهلوية المكتوبة، ولكن عيوب هذه الحروف البدائية تجعل قراءة ماكتب بها صعبة للغاية .

ويبدو أن البارثيين قد انحرفوا عن الآساليب المتأثرة بالهيلينية فى التفكير منذ القرن الآول الميلادى ، والدليل على اتخاذهم هذا الاتجاه الجديد اختيارهم الديانة المزدية ديانة رسمية الدولة وبذلك اكتسب المجوس شيئا من القوة والعزة .

وقد بذلت أولى المحاولات لجمع التقاليد الدينية وتنسيقها في المدة الواقعة بين عامى ٥٠و٧٧ م ؛ كما أعد أول تفسير للأفستا بأمر من الملك البارثي، ومع ذلك ، فإن تسامح البارثيين نحو جميع الاديان سمح للسيحية بالانتشار في الجزء الغربي من الدولة في القرن الثاني الميلادي .

ولم يكن الفن المعهارى البارثى أصيلا أو هاما ، وتوجد جميع الآثار المعهارية المتبقية عن ذلك العصر غربى بلاد فارس الأصلية ، وهى تعكس صورة التأثيرات ذات. الصبغة الهلينية ، وتأثيرات بلاد ما بين النهرين ، مع مزجهما بأساليب الفن الحلى .

والآثار الباقية فوق سطح الآرض ، أو الأطلال المكتشفة ما زالت قائمة في دورا يوروبوس (Dura — Europos) الواقعة على شاطئ نهر الفرات ، وفي هاترا (Hatra) وسلوكية (Seleucia) وآشور ، ونيبور Nippur ووارقة وفي هاترا (عساوكية (Seleucia) وآشور ، ونيبور Warqa في بلاد ما بين النهرين ، وفي فراءاتا داخل إيران . وتشتمل هذه الآثار على قصور ومنازل وأبنية دينية ، وقبور مشيدة من الآجر والاحجار ، والعنصر الوحيد الجدير بالوصف بين هذه الآبنية هو : الـ « ليوان » أو الإيوان ، وهو العنصر الذي صار علامة بميزة مهمة للفن في إيران في العصور الأخيرة ، وهو عبارة عن صالة مستطيلة في صورة قبو ، له واجهة مفتوحة ، ومؤخرة مغلقة بواسطة حائط .

وتمثل الإيوانات البارثية والابنية الاخرى المقبوة طور انتقال من البنايات ذات العادات والاسقف ـــ التي كانت سائدة في عصر الاكينيين

والسلوقيين — إلى البنايات ذات القبو التى سادت فى العصور التالية لهم وكان الفن البارثى أكثر تحرراً من فن المعهار، ولذلك فإن اصطلاح والفن البارثى ، ليس له معنى دقيق محدد ، والأشياء التى تخلفت عن هذا العصر ووجدت فى جهات مختلفة لا يربطها عامل مشترك . فثلا ، توجد فى متحف طهر ان رؤوس بشرية عديدة منحوتة فى الحجر واحدة منها هيلينية فى أسلوبها تماما ، وواحدة بوذية قطعا ، والرؤوس الاخرى إغريقية باكترية ؛ ومن الجائز أن الفنانين المهرة قد أحضروها إلى المدن المهمة فى بارثيا من جميع أرجاء الدولة ، كما كانت الحالة فى العصر الاكيني . وعلى العموم ، فإن الفن فى هذا العصر كان يستعمل الاساليب الهيلينية بقطع النظر عن عناصرها الاصلية ، ودون محاولة لتقليد هذه الاساليب الهيلينية ، وخلق أسلوب جديد مبتكر .

وقد بدأ الجص - وهو المادة التي تطورت كثيرا وراج استعمالها في إيران في العصور المتأخرة - يستعمل على المبانى في صورة أفاريز منقوشة بنقوش هندسية ، أو على صورة الزهور ؛ كما راج استعمال خليط من الطين والرمئل في صناعة التوابيت والتماثيل الصغيرة المستعملة في الأغراض الدينية ، وتعد الأوانى الفخارية الملونة بالملون الأخضر المصقول ، من الأعمال التي تفوقت على مثيلاتها في العصور المتأخرة ؛ أما النقوش الحجرية المثبنة على البناء فتعد تقليدا مباشرا للنهاذج الهيلينية .

وقد بقيت لنا الرسوم المنقوشة على الجدران ، ودرس ما وجد منها في دورا ــ يوروبوس بالتفصيل ، كما درست النقوش التي وجدت في دكوه خواجه ، في سجستان ، وهي إغريقية ــ باكترية في أسلوبها ، ومن الواضح أن تاريخها يرجع إلى القرن الأول الميلادي .

العصر الساساني :

دبر أردشير — فى حوالى ٢١١ م — ثورة فى إقليم فارس ، وفى سنة ٢٢٤ م ، قتلت قواته آخر ملك بارثى فى القتال الذى دار فى خوزستان (Susiana) ؛ وسرعان ما سيطر أردشير على جميع إيران ما عدا ولايتى أرمينية

وبلخ ، ويبدو أن تسمية دولته الجديدة بالساسانية مشتقة من لقب فارسى قديم هو ، ساسان و بمعنى القواد ، ، ولو أنه قد انقلب ـــ أخيرا ـــ فصار اسما للأسرة .

وقد ربط الساسانيون سلسلة نسبهم بالإكمينيين عن طريق سلسلة ملوك الفراتادارا (Fratadara) الذين ظلوا مستقلين إلى أن دخل إقليم فارس أو پارس تحت الحسكم البارثى ، ثم ضربوا بعد ذلك عملة فى اصطخر _ بالقرب من پرسبوليس _ إلى عهد أردشير ؛ وكان أردشير نفسه حفيد ساسان الذى كان موبذا رفيع الشأن فى معبد أناهيتا باصطخر .

وجعل أردشير دين مزدا (الزردشتيه) (Mazdaism) دينا رسميا للدولة، وسرعان ما اشتبك فى نزاع مباشر مع روما . وقد استمرت الحروب المدمرة مع روما ثم مع بيزنطة — بعد ذلك — طوال العهد الساساني جميعه، وكانت قوى الشرق والغرب متعادلة تقريبا ، رغم أن الجولة الأولى من الحرب قد كسبها الساسانيون بهزيمتهم للاسكندر سفيروس (Alexander Severus) .

وقد أسر شابور الأول ابن أردشير (٢٤١ – ٢٧١ م) - وهو ثانى الملوك الثلاثة الكبار في هذه الدولة - الامبراطور فاليريان (Valerian) في أثناء الحرب، وأخذه أسيرا حتى توفى عنده، وكانت أرمينية هي السبب الرئيسي للنزاع، وقد تبادلها كل من الطرفين مرات عديدة في أثناء حكم هذه الدولة، والدول التالية لها .

وقد حكم بضعة وأربعون ملكا ساسانيا ، وكان نرسى (٣٠٧ ـــ ٣٠٣) أقل توفيقا فى حروبه ضد روما ، فأصبح نهر دجلة ـــ فى أثناء حكمه ـــ حدا ثابتا بين الشرق والغرب .

وولى شابور الثانى ابن حفيد حفيد أردشير العرش فى ٣١٠م. وقد اشتبك فى أثناء حكمه الطويل ـــ الذى استغرق ٢٩ سنة ــ فى ثلاث حروب مع روما ، وبعد وفاته اشتعلت ثيران المنازعات الداخلية ــ حول سلطة الملك ــ بين الملوك والاشراف ورجال الدين ؛ فأعدم ثلاثة من الملوك على أيدى

الأشراف، وأصبح الملوك التالون ــ فى خلال مدة استغرقت قرنا تقريباً ــ يختارون من الاسرة الساسانية بواسطة رجال المدين، وكبار الاقطاعيين.

وقد أعاد خسرو الآول (٣٦٥ – ٥٧٩ م) أعظم ملك فى هذه الدولة – وكان رعاياه يلقبونه بالملك العادل – سلطة الملك إلى حالنها كاملة ، وقسم الامبراطورية إلى أربعة أقاليم إدارية ، وفرض ضريبة محددة على الاراضى بعد ما مسحت جميع أراضى الدولة ونفذت مشاريع الرى ، وظفرت الزراعة بالاهتمام والعناية ، ونعمت البلاد برفاهية حقيقية .

كما شجع خسرو التعليم ، وكان هو نفسه قادرا على قراءة اليونانية ، فأمر بترجمة كتب من اليونانية والسنسكريتية إلى البهلوية ، وجمعت القصص الخرافية ، ونظر إلى المسيحية نظرة تسامح .

وقد انتصر خسرو الثانى (٥٨٩ – ٦٢٨ م) على بيزنطة فى البداية، ولكن الامبراطور هرقل (Heraclius) لم يلبث أن أوقع به هزيمة ساحقة — فى النهاية — فى موقعة نينوى فى سنة ٦٢٧ م، فأصبح الملك الساسانى فى فوضى شاملة.

ثم قاوم يزدجرد الثالث (٦٣٢—٢٥١م ، ١١—٣٦ه) مد الاسلام المرتفع دون جذوى ؛ وأمضى السنو ات العشر الأخيرة من حياته هاربا مطاردا .

وقد شهد العصر الساسانى إحياء القومية الإيرانية مرة ثانية ، فـكانت إيران قوية ، غنية بنفسها ، غير محتاجة إلى الاتصالات والتأثيرات الاجنبية .

و تطلبت جلالة ، ملك الملوك ، ــ وهي حق مستمد مباشرة مر. آهورامزادا ــ ألا يكون للملك أى اختلاط فعلى برعاياه .

وكان الاستقرار الداخلي الملحوظ في الدولة نتيجة للإدارة القوية المركزة جداً في أيدى بحوعة من الوزراء ، وهيئة كبيرة من الكتاب وكاتمي السر ، وكانت الخزاية الملكية تتولى إدارة الجيش ودفع مر تبات جنوده .

وكان الشعب مقسما إلى أربع جماعات هي رجال الدين، ورجال الجيش، والموظفون، والعوام وهم يشملون الفلاحين والتجار وأصحاب الحرف.

وكان أفراد الجماعات الثلاث الآولى يكونون طبقة الآشراف ، وهي مقسمة إلى أربع درجات لـكل واحدة منها شعارها وألقابها الخاصة بها .

وكانت أعلى رتبة هى رتبة والشهر دار، وهى الخاصة بحكام الآقاليم في الدولة الساسانية ، وكان رجال الجيش يجندون - بكثرة - من بين أفراد الدرجة الرابعة من هؤلاء الآشراف .

وكانت عاصمة الدولة هي — بالطبع — مدينة شاپور في إقليم فارس ، بينها كانت تقع مدينتان من المدن الثلاث الرئيسية في الدولة وهما المدائن وجندى شاپور خارج حدود هذا الإقليم الاصلى للدولة .

وظلت الفارسية الوسيطة ـــ المكنوبة بحروف بهلوية معقدة مضطربة ـــ لغة العصر الساسانى ؛ غير أن هذه اللغة لم تلبث أن فقدت جزءاً كبيراً من تعقيداتها النحوية ، وأخذت تقترب من صورتها الاخيرة التي تسمى الفارسية الحديثة ـــ أو فارسي ــ .

ومن الكتابات غير الدينية المؤلفة بهاكتاب الأعمال العظيمة (كارنامه) وكتاب الرتب ، وكتاب الملوك الصائع ، وكتاب أراضي إيران ، وبعض الترجمات ــ مثل ترجمة حكايات كليلة ودمنة ــ ولا زالت بعض الكتب الضائعة توجد في ترجمات عربية . •

وقد كتبت الأفستا (الآبستاق) مرات عديدة فى أثناء هذا العصر، وسجلها شاپور الأول بخط خاص يعرف باسم خط الآفستا، ذكروا عنه أنه نص محقق يعتمد عليه، وأعد خسرو الآول ـ فى أثناء حكمه ـ تفسيراً جديداً للنص المذكور.

وظلت المزدية الديانة الرسمية القوية خلال هذا العصر، فكان هناك رعيس أعلى للدين، يتبعه عدد كبير جدا من الكهنة يقيم موبدان منهم فى كل مدينة، وكان الأساس الذى يقوم عليه تنظيم المعابد هو النار المقدسة، فكان فى كل قرية نارها الخاصة بها، وكانت توجد ــ فى كل ناحية واسعة ــ نار تسمى «وهرام» (Vahram) وكانت توجد ثلاث نيران وطنية عظمى.

وبعدت الديانة — كما جمعت فى الافستا — عن تعاليم زردشت الروحية والاخلاقية، وسادتها الطقوس الدينية، ومالت ميلا عظيما إلى ضم إلهى الشمس والنار مع آهورا مزدا بحيث نشأ منهم ثالوث جديد .

وقد شقت الأديان الاخرى طريقها قدما داخل الدولة ؛ فقد دعا مانى لدينه في عهد شابور الأول في المدائن، وعرض خليطا من الزردشتية والنصرانية واليهودية في صورة نظرية تقوم على الحاجة الملحة إلى تحرير الروح من القيود المادية، وقد سمح له بتبليغ دعوته في عهدى شاپور الأول وهرمزد الأول، ولكن بهرام الأول سلمه في عام ٢٧٦م الى رجال الدين الزردشتي، فحكموا عليه بالإعدام.

وقد دعا مزدك _ وهو مواطن من خراسان _ إلى ديانة أخلاقية ، تشتمل على كل من العناصر الزردشتية ، والتعاليم الغملية ؛ لتجنب العنف ، واتباع النباتية ، والشيوعية . وقد عضد الملك قباد هذه الديانة الجديدة _ فى البداية _ واعتبرها حائلا معقو لا ضد ازدياد نفوذ رجال الدين والأشراف ، ولكن هذا المتنبي وأتباعه لم يلبثوا أن قتلوا فى عام ٢٥٥ م ، ورغم هذا فإن الديانة المزدكية بقيت حتى العصور الإسلامية . وكان المسيحيون _ غالباً _ أكثر تعرضا للاضطهاد العنيف فى القرون الاولى من العصر الساسانى ، بسبب ارتباط ديا نتهم _ فى الأصل _ بالدولة الرومانية المعادية ، وبعد انتهاء القرن الشرقية ، فعو ملوا بتسامح متزايد .

ع والفن الممارى في العصر الساساني مثل في القصور والمساكن، ومعابد النار، والقلاع والحزانات، والسدود والجسور، وتخطيط المدن، والاشياء الآثرية الحاصة الآخرى، وقد بقي عدد كبير من هذه المبانى في حالة حسنة، ولكن مشكلة ترتيبها تاريخيا حكلال هذا العصر لم تحل بعد.

وتوجد بقايا أبنية القصور فى فيروز آباد، وشايور، وسروستان فى اقليم فارس، وفى المدائن على الشاطى الأسفل لنهر دجلة، وفى قصر شيرين على الحدود الحالية بين إيران والعراق.

ومن المرجح أن قصر فيروز آباد بنى فى عهد أردشير ، فى صورة بنا، مستطيل على قطعة أرض عرضها ١٨٠ قدم ، وطولها أكثر من ٣٠٠ قدم ، ويوجد فى وسط الواجهة إيوان كبير يؤدى إلى حجرة العرش المقبوة، وتوجد حلف هذه الحجرة ساحة داخلية محاطة بحجرات السكن ، وجميع هذه الحجرات مغطاة إما بقباب ، أو بسراديب .

والعلامة المميزة لقصر المدائن هي الإيوان الكبير المقبو المسمى وطاق خسرو، أو طاقكسرى؛ وهو بناه يرتفع ٩٠ قدما، ويبلغ عرضه ٧٥ قدما، وطوله ١٥٠ قدم ومن المرجح أنه بني في عصر شابور الأول، وكان الحجرة الرسمية التي تستعمل في حفلات الاستقبال الملكية.

وتوجد على واجهة حيطانه المجنحة عقود مرتفعة فى أسلوب غير منظم ، تشبه أبنية الواجهات الهيلينية ، وقد حاول العرب ـــ عبثا ـــ أن يهدموه بعد ذلك ،كما حاول البناءون ـــ فى العصور الإسلامية ـــ أن يبنوا مبانى أعلى منه ليحجبوا شهرته .

ويوجد قصر محفوظ جيدا — في سروستان — على بعد ستين ميلا إلى الجنوب الشرق من شيراز؛ ومن المحتمل أنه مبنى فى القرن الخامس. ويختلف تصميم بنائه عن تصميم قصر فيروز آباد؛ حيث توجد فيه حجرات صغيرة وحجرات كبيرة، وعدد من المداخل، وتدل الاطلال المجاورة الباقية على أن القصر الرئيسي كان محاطا بالحدائق، وبأبنية أخرى.

وفى قصر شيرين؛ توجه بقايا بناء ضخم يغطى مساحة قدرها إلى ميل عرضا وإ ميل طولا . وير تفع القصر الرئيسى عن سطح الأرض على حجرات فى شكل سراديب مقببة تدعو إلى الدهشة والتعجب ، ويرجع تاريخ هذا البناء إلى نهاية العصر الساسانى تقريبا .

وفى السنوات الآخيرة، اكتشف كثير من بيوت النار، ومن المرجح أن النار المقدسة حفظت ــ فى بمضها ــ فى الحجرة الرئيسية، وأنهاكانت تشتعل فى الهوا. الطلق فى المعابد التى تتوج التلال المرتفعة فترى على مسافة أميال

عديدة . وكانت الفكرة الاساسية التي تبنى عليها بيوت النار هي حجره مربعة متوجة بقبة ، وكان لها _ عادة _ باب واسع مقبو يخترق كل حائط ، سواء أكانت الحجرة وحدة منعزلة أم محاطة بدهليز ، وقد نقل طابع هذه الفكرة في العصر الإسلامي على أنه بناء ذو أربعة طاقات وجهار طاق ، وتنبثق القبة التي تغطى الحجرة من الاقواس الاربعة التي تصل زوايا الاركان .

ومن الأشياء الجديرة بالذكر أن العالميين الرومانى والبيزنطى ، قد نشرا طريقة المثلث البارز والأشكال الكروية لرفع قبة فوق بناء مربع ، ولكن العالم الإسلامى استمر فى استعمال طريقة الأقواس إلى الوقت الحاضر .

وكانت أدوات البناء فى ذلك العصر هى الاحجار والآجر ، وكانت أسطح الجدران تغطى بالملاط ، وقد استعملت فى القصور التى اكتشفت فى دامغان زينات الملاط البارزة على نطاق واسع .

ويبين فن المعهار والفنون الجميلة الآخرى — بوضوح — مقاومة الفنون الفوية للتأثيرات الهيلينية القديمة ، بل ويقوم دليلا على وجود جهدكبير مدروس لإحياء النماذج الوطنية التقليدية . كما وجد — فى ذلك العصر أيضا تهذيب واع للنماذج والوحدات الزخرفية ، وقد استمرت مقاومة التأثيرات الغربية بعد الفتوحات العربية ، وكان من تتيجتها النهائية إيجاد فجوة فنية وحضارية كبيرة بين الشرق والغرب .

وكان طابع الفن الخاص بذلك العصر هو نحت وحدات زخرفية بارزة كبيرة على صفحات الصخور ــ غالبا ــ بالقرب من الأحواض التى تغذيها الينابيع والعيون .

ويوجد حوالى عشرين نحتا ، أغلبها فى فارس ، وهى تحمل علامات تشير إلى الملوك وهم منتصرون على أعدائهم المختلفين ، وإلى تنصيب الملك بواسطة آهورامزدا الذى يمده بالخاتم والصولجان . وهذه النحوت متناسقة الاجزاء، وتعرض فيها الصور من منظر جانبي للوجه ، ويضحى فيها بالصورة الطبيعية للشيء ، ولا يلتزم فيها إلا أداء الناحية الرسمية والتذكارية . والنحوت القائمة

على الصخور قديمة فى تاريخها ، بينها يرجع تاريخ النحوت التى فى كهف طاق بوستان ، – بالقرب من كرمانشاه – إلى نهاية العصر الساسانى فى أغلب الظن .

ومن الأشياء المشهورة جدا الأطباق الفضية الفخمة والسلاطين، ويوجد — الآن — كثير منها فى متحف هرميتاج (Hermitage) بروسيا، ويرى الملك فى بعضها جالسا على عرشه وهو يعقد استقبالا ملكيا؛ أو وهو يتمتع بملذات الصيد، وترى — فى بعضها الآخر — مناظر القتال، وتنصيب الملك، والآلهة، والحيوانات القوية وهى فى عراك دائم، والطبور الجميلة الوادعة.

وبقيت الأوانى والأباريق المصنوعة من البرونز بكميات كبيرة أيضا، ومن أشهرها مواقد البخور، وهي على شكل البط، أو غيره من الطيور.

وبق — إلى الآن — بعض الأقشة الساسانية الفخمة فى المتـاحف والمجموعات الحاصة، ولكن لم يتضح بعد أى قطع من هذه المجموعة مصنوع فى إيران، وأيها مصنوع فى البلاد الواقعة على طول السواحل الشرقية للبحر الأبيض المتوسط.

والأوانى الفخارية التابعة لهذا العصر ليست جميلة تماما ؛ وطابعها العام أنها مصقولة ، وعليها نماذج زخرفية بارزة قليلا . وتتكون الزينات الملاطية — الموضوعة فوق أوجه المبانى — من قوالب بارزة ، أو صفحات مزخرفة بأشكال الزهور أو الحيوانات ، أو بصور الحيوانات المجسمة .

الفتح العربى لإيران:

فى أوائمل القرن السابع ؛ استولى خسرو الثانى على دمشق والقدس ، ثم تقدم حتى اقترب من أبواب القسطنطينية وبعد ذلك انحسر المد الإيرانى ، وتحرك الامبراطور البيزنطى هرقل واجتاز ما بين النهرين حتى وصل إلى المدائن ، وانتهى الامر بأن أمضت إيران وبيرنطة معاهدة للسلام بعد أن أنهكهما التعب .

وفى تلك الآثناء ؛ جاء العرب ، فغزوا ايران ، ونشروا بدخولهم فيها الدين الإسلامى ، وتعرف القرون التى مرت منذ الفتح العربى إلى الوقت الحاضر ـــ بصفة عامة ـــ بالعصر الإسلامى فى ايران ، وتكادمدته تتعادل مع عدد السنوات التى تقع بين قيام قورش ونهاية الدولة الساسانية .

وقد كانت بلاد العرب – دائما – موطنا للبدو الرحل، وهم عنصر ساى يعادى الغزو والتأثيرات الأجنية. وفي السنوات الأولى من القرن السابع؛ كانت شبه الجزيرة العربية هادئة، وكانت مكة والمدينة مدينتين صغيرتين تقتصر شهرتهما على مجرد وقوعهما على الطريق الرئيسي لسير القوافل؛ كاكانت مكة – منذ وقت طويل – مركزا لعبادة الأصنام، ومكانا للحج، وفي هذا الموقع المحادي ظهر النبي محمد – الذي ولد في عام ٥٧٠ –، ولم تتضم رسالته العظيمة إلى أن بلغ سن الأربعين، وحينذاك أوحى اليه القرآن وبدأت دعو ته تتقدم ببطء، ثم قام بهجرته من مكة إلى المدينة في عام ٢٢٢ م (١ ه)، وهو التاريخ الذي صار بداية للتاريخ الإسلامي (الهجري)، وظفر بسيطرة كاملة على شبه الجزيرة العربية قبل وفاته – في عام ٢٣٢ م (١١ ه)

وأصبح أبو بكر صديقه الوفى المختار، وأسبق من آمن به من الرجال، أول خليفة على المسلمين، فوجه سلسلة من الجلات العنيفة إلى ما بين النهرين وسورية، فأصابت نجاحا كبيرا، بحيث اشتبك البدو المحاربون – سريعا بالقوات الرئيسية للبيزنطيين والساسانيين، وهزم العرب هرقل فى فلسطين فى عام ١٣٠٤م (١٥٥ه) هزم العرب جيشا فى عام ١٣٠٤م (١٥٥ه) هزم العرب جيشا ساسانيا قويا قوامة ١٢٠٠ جندى فى موقعة القادسية التى استفرقت أربعة أيام، وسقطت المدائن فى أيدى العرب، فانتشروا فى الهضبة الايرانية . وفى عام ١٤١٢م (٢١هه) استأصلوا جيشا ساسانيا ضخها آخر – استئصالا تاما بفى موقعة نهاوند، وقد وضعت هذه الموقعة نهاية للعصر الساسانى الطويل، وأسقط العرب الحكومات التى كانت فى حالة من الفساد والانهيار، وأوجدوا

ثورة اجتماعية ودينية على أساس الأمل الذى بشروا به الكتل البشرية الصخمة في إقامة الحياة على أساس من المساواة التامة والمعاملة الحسنة ؛ ومن الحقائق الثابتة أن العرب لم يقوموا بمحاولة جدية لإرغام الناس جملة على اعتناق الدين الاسلامي ، واكتفوا بفرض الجزية على غير المسلمين .

- وانتشر الفتح فى إيران مدفوعا بوعود الخليفة عثمان بمنح حكومة خراسان الغنية لاول قائد من قواده يستطيع الوصول إلى هذا الإقليم ، وفى عام ٢٥٢ م (٢٣ ه) هزمت الجيوش الايرانية فى خوادزم - على شاطئ نهر جيحون - ، وفى خلال سنوات قليلة ، وقعت الاراضى الآسيوية البعيدة فى أيدى المسلمين ، وهاجرت القبائل العربية إلى خراسان وأقامت هناك ، وكان القائد الشهير قتيبة - الذى تولى فتح المنطقة من ٢٠٤ إلى ٥١٥ م - (٥٥ - ٧٥ هـ) متحمسا لنشر الدين الاسلامى ، فأسكن العرب فى كل منزل من منازل المدن المفتوحة ، وبنى مسجدا كبيرا فى بخارى فى مكان بيت من بيوت النار .

وخضعت جميع الأراضي المفتوحة لنفوذ الأمويين - المقيمين في المدينة أو في دمشق - خضوعا تاما ، لمدة تزيد على قرن من الزمان بعد ظهور الإسلام (۱) ، وقسمت البلاد إلى أقاليم ، عين على كل منها حاكم عسكرى (وال) ، ورئيس لجباة الضرائب, في أهم مدينة من كل إقليم ، وتركت جميع الأعمال المنعلقة بتنظيم الحركم والإدارة ، خصوصا عملية جمع الضرائب المعقدة ، في أيدى الموظفين الذين كانوا - من قبل - يعملون في خدمة الحكومات في أيدى الموظفين الذين كانوا - من قبل المعملون في خدمة الحكومات التي أطاح بها العرب ، واحتفظ - في مابين النهرين (العراق) - بسجلين للضرائب ، أحدهما باللغة العربية للحكام الجدد من العرب ، والآخر بالفارسية للسكان الأصليين ، وكانت صعوبة المواصلات معناها أن الولايات البعيدة جدا ، لم تكن خاضعة تماما - لسيطرة الحكومة المركزية ، وكذلك لم تعامل جدا ، لم تكن خاضعة تماما - لسيطرة الحكومة المركزية ، وكذلك لم تعامل

⁽¹⁾ المراجع : تقتضى الدقة أن يقال إن الأمويين حكموا أقل من قرن من الزمان لأن دواتهم استمرت من سنة ٤١ هـ إلى سنة ١٣٢ هـ .

إيران بقسوة شديدة ، ومع ذلك فإن بجى الإسلام أوجد تغيرات جوهرية في النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، فأبدلت الآفكار الإيرانية العتيقة عن الحق المقدس والحكم المطلق الاستبدادي ، بروح ديمقراطية دولية مستمدة من الدين الجديد ، ومن ناحية أخرى طبع تفوق الإيرانيين الحضاري ، وزهوهم بنظمهم مستقبل إيران الإسلامية في الحضارة والفن بروح تختلف تماما عنها في أية بلاد إسلامية أخرى .

وفى القرن الثامن الميلادى ، ثارت الإحساسات بقوة ضد الخلفا، الأمويين، وهزم الخليفة الأموى فى عام ٧٥٠ م (١٣٣ هـ) فى الحرب، فخلفهم سه فى السلطة سلسلة جديدة من الحلفاء يعرفون باسم العباسيين ، فأنشأوا فى عام ٧٦٣ م (١٤٦ هـ) مدينة مستديرة هى بغداد التى ظلت عاصمة لهم إلى عام ١٢٥٨ م (٢٥٦ هـ)؛ حينها أغار المغول عليها ، وأنهوا الدولة العباسية ، وقد ساعد الجنود الإيرانيون فى إسقاط الآمويين ، وحظى الفرس بمراكز عالية فى البلاط الجديد ، فانتشرت فى الدولة الجديدة الملابس والعادات الفارسية .

قيام الدويلات المحلية في إيران :

الحالى الذى يعرف بهذا الاسم – أكثر أجزاء إيران حيوية ونشاطا ، فنى عام ١٠٨ م (١٨٥ ه) عين طاهر ذو اليمينيين – الذى كان قائداً لجيش أحد أبناء الخليفة – هارون الرشيد⁽¹⁾ – حاكما على خراسان بناء على طلبه ، فاتخذ مدينة نيسابور عاصمة له . وقد خلفه في هذا المنصب ابناه وحفيده وابن حفيده ، وكان كل واحد منهم يدفع للخلفاء – في بغداد – خراجا سنويا قليلا . وكان حكام هذه الدولة المحلية يعرفون باسم الطاهريين ، وقد امتازوا بحب الكتابة والشعر وحكوا من ٨١٠ إلى ٨٧٢ م (١٩٥ – ٢٦٠ ه) .

⁽۱) يفصد المأمون ، وهو يشير إلى انتصار جيش المأمون بغيادة طاهر على الأمين وقتله ، ثم تولى طاهر أص خراسان في عهد المأمون · (المترجم)

وكانت الشخصية القوية التالية التي ظهرت في إيران ، هي شخصية يعقوب ابن الليث الضفاري وكان نحاسا وقاطعا من قطاع الطرق ، ثم أصبح — في ١٨٦٧ (٢٥٣ ه) — سيدا على خراسان وهراة ، فعين واليا على خراسان من قبل الطاهريين ، ولكنه سرعان مما اسقط دويلتهم وبسط نفوذه على كرمان وفارس وإصفهان أيضا ، وتوفى في عام ١٨٧٩ م (٢٦٦ ه) بعد انهزامه في عاولة لفتح بغداد نفسها ، فتوجه أخوه عمرو بن الليث إلى إقليم ما وراء النهر ؛ وكان السامانيون قد ظفروا فيه — حديثا — بالسلطة ، ولكنه هزم وأرسل أسيرا إلى بغداد حيث أعدم في ٢٠٥ م (٢٩٠ ه) ، واحتفظ أعقابه بالحمكم طويلا في سجستان ، وقد حدثت في هذه السنوات المحدودة للحكم الصفاري حادثة ذات مغزي حضاري مهم ، ألا وهي نظم كانب (١٠ يعقوب الشعر بالفارسية لأول مرة بعد الإسلام .

وظفر السامانيون - الذين كانوا ولاة يخضعون للطاهريين - بسيادة تامة على شرقى إيران، وحكموا هذه المنطقة مائة سنة تقريبا. وقد حكم اسماعيل - مؤسس هذه الدولة وأول شخصية بارزة فيها - من ١٩٩٨ إلى ١٩٠٧ م، ١٢٧٩ (٢٧٩ - ٢٧٥ ه) وكان شخصا كريما ذكيا، كاكان قائدا مظفرا جدا، واستطاع في السنوات الآخيرة الهادئة من حكمه أن يكرس كثيرا من وقته لتعمير عاصمته بخارى؛ ولا زال قبره - الذي بني في ذلك الوقت - قائما هو وغيره من الآثار الآخرى، وهو في صورة مكعب تام - طول كل جانب منه ٣٥ قدما، وتتوجه قبة نصف كروية، وأسطح الضريح الداخلية والخارجية مزينة تزيينا بديعا، والحيطان الخارجية مزينة بأربطة من الطوب في صور مربعات تزيينا بديعا، والحيطان الخارجية مزينة بأربطة من الطوب في صور مربعات منقوشة كعظام السمكة، ونماذج من المربعات المفتوحة المتقاطعة.

⁽١) يقصد محمد بن وصيف السجزى . (المترجم)

رجالا من ذوى العلم الغزيركان منهم الفيلسوف المشهور أبو على بن سينا ، المعروف للعالم الغربي باسم « أفيسينا ، (Avicenna) ، وفيه ولد الآدب الفارسي الحديث على أيدى الشاعرين الرودكي والدقيق منشئي الشعر الحماسي وقد أدى السامانيون خدمات جليلة لإثارة روح الوطنية الإيرانية وإحيائها ، ولكن تحولها إلى حكومة إقطاعية أدى إلى ظهور حكام أقوياء ، ثم إلى إسقاط الدولة في النهاية .

وقد ظهر فى إيران - فى خلال القرن الناسع - حكام محليون أقل أهمية ، فنى عام (٩٢٨ م - ٣١٦ ه) سيطر مردآويج بن زيار على ساحل بحر قزوين ، فى منطقة عرفت - بالتوالى - باسم بلاد الديلم ، وباسم طبرستان ، ولم يعتنق سكان هذه المنطقة الإسلام حتى منتصف القرن الناسع تقريبا . ومن حكام الدول الزيارية : وشمكير أخو مردآويج ، وابناه بهستون وقابوس .

وكان قابوس شاعرا ومؤلفا ، ويعد قبره المشهور في الركن الجنوبي الشرقي لبحر قزوين أقدم أثر ذي كتابة مؤرخة في إيران الإسلامية ، وتقرأ الكتابة التي عليه كالآتي : ديسم الله الرحمن الرحيم . بنيت هذه القلعة بواسطة الأمير ابن الأمير قابوس بن وشمكير وقد أمر ببنائها في أثناء حياته في سنة ٣٩٧ القمرية ، الموافقة لسنة ٣٧٥ الشمسية (٢٠٠٧ م) » .

والقبر مبنى من الآجر ، وهو عبارة عن أسطوانة كبيرة مغطاة بسقف خروطى الشكل ؛ والهيكل الدائرى تقطعه عشر حافات بارزة ، وقطر دائرته ٥٦ قدما وسمك الحيطان ١٧ قدما والارتفاع من الأرض حتى رأس المخروط يبلغ ١٦٠ قدم ، وقد أدخل جثمان قابوس ــ وفقا لرواية الجنابي ــ في صندوق زجاجي علق بالسلاسل داخل قبة البرج .

و إقليم الديلم مهم أيضاً لأنه كان مقرآ لحسكام البويهيين ، فقد عين على ابن بويه حاكما محليا من قبل مردآويج بن زيار ، ولكن عليا وأخويه الحسن وأحمد لم يلبثوا أن سيطروا سريعا على وسط إيران وغربيها .

وفى عام (٩٤٥ م - ٣٣٤ ﻫ) دخل أحمد بغداد ، ولكنه ترك الخلفاء

العباسيين ـــ الذين منحوا هؤلا. الإخوة مناصب وألقابا فخرية ـــ ينمتعون بسيطرة روحية اسمية .

وأبرز شخصية بين البويهيين هو عضد الدولة ـــ الذى حكم من ١٤٩ إلى ١٨٣ م (٣٢٨ ــ ٣٧٣ ه) وقد اتخذ الرى وإصفهان عاصمة له . وقد اتجهت الدولة بعد وفاة عضد الدولة نحو الانهيار بخطى سريعة ؛ فانتزع محمود الغزنوى الجزء الغربي منها بينها بق الجزء الشرقي سليما حتى بجيء السلاجقة .

وقد ارتفع شأن تسعة من أفراد الأسرة الغزنوية الذين حكموا فى الجزر الشرق من إيران فى تلك الاوقات . وكان البتكين أول حكام هذه السلسلة التركية عبداً اشتراه اسماعيل السامانى ، ثم صار حاكما على خراسان ، وأعلن نفسه سلطانا على غزنة فى حوالى سنة .٩٦ م (٣٤٩ ه) .

وقد أخذ محمود سادس أفراد هذه الاسرة على عاتقه أن يوسع مملكة أسلافه المحدودة؛ فأسقط السامانيين في عام ١٩٩٩ م (٢٩٠ ه)، وابتلع الزياريين ودفع البويهيين إلى غربى الهضبة الإيرانية ــ فى عام ١٠٢٩ م (٢٠٤ ه) ــ لكى يبسط حكمه فوق مهجارا ، وأفغانستان ، وما وراء الهر ، وخراسان ، وطبرستان ، وسجستان ، وجزء من الهند؛ ولم يبق خارج نفوذه من إيران الاصلية سوي كرمان وفارس، وقد ولد محمود من أبوين جلفين ، ولذلك امتازت حياته الأولى بالشدة والعنف ، ويقال إن البوم تمنى له حياة طويلة لانه حطم مدنا كثيرة وتركها خرابات مهجورة ، وقد أعدم كثير من رعاياه بتهمة الالحاد وهلك كثير منهم تحت وطأة الضرائب الباهظة ، ولكن حملاته على الهند وضعت. في يده ويد جيشه ثروات طائلة استعملت في تجميل غزنه ومدن الاقاليم المهمة . وفي عام ١٠١٨ (٤٠٩ ه) أمر بيناء مسجد من الجرانيت والرخام _ وألحق به مدرسة ومكتبة .

وقد توفى محمود فى عام ١٠٣٠ م (٤٢١ هـ) وهو فى سن الستين ، وأنشأ ابنه مسعود ضريحا فخما له . وبقيت ذكرى ذلك السلطان العظيم فى أعلى درجة

من المهابة بحيث أبق علاء الدين «حارق العالم (') ، على القبر حينها زار غزنه بعد ذلك بمائة عام (') .

ويقوم القبر — الآن — فى حجرة خشنة مغطاة بقبة من الطين، ويوجد منشور مثلث يقوم على قاعدة مستطيلة من الرخام ، نحتت عليه كتابة تعطى التاريخ الدقيق واليوم والساعة التى حدثت فيها وفاة محمود . وتوجد فى القرية نفسها — وعلى بعد ميلين شهالى غزنه — منارتان مبنيتان على أنهما برجان من أبراج النصر ، بطريقة كوكبية وهما غنيتان بالزخارف وبالقرميد، ويبلغ ارتفاعهما حوالى ١٥٠ قدما ، وتحمل إحداهما اسم السلطان محمود ، بينها تحمل الاخرى اسم حفيده مسعود الثالث .

وقد شمل السلطان محمود بعنايته كل الشعراء والعلماء ، ولكن من المحتمل أنه لم يكن يستهويه حب العلم المحض ، بقدر ما كانت تستهويه الرغبة فى رفع شهرته الشخصية بجعل بلاطه مركزا للنبوغ والآبهة ، فكان جميع العلماء المشهورين يستدعون إلى غزنة ، وكان القليلون هم الذين يجرؤون على الرفض ، وكان : منهم العنصرى الشاعر ، والبيرونى العالم المؤرخ الذى له كتاب مشهور عن تاريخ الآمم القديمة (٢) ، وكتاب صغير عن التنجيم باللغة الفارسية (١) ، ولكن الفردوسى فاق جميع هؤلاء . وقد التحق بالبلاط — لآول مرة — وهو فى منتصف عمره ؛ وبدأ ينظم ملحمته العظيمة ، شاهنامه أو كتاب الملوك ، وظل ينظم فيها حتى بلغت ٠٠٠ و و و البيت من المنوى المنظوم ، وتشتمل الملحمة على أمجاد أربع دول قديمة ، اثنتان منها خرافيتان ، مأخوذتان من الإساطير على ألواردة فى الآفستا ، والإثنتان الآخريان هما البارثيون ، والساسانيون . ولكن الملحمة تشتمل على أساطير حتى فى هاتين الدولتين أكثر مما تحتوى على تاريخ دقيق . و تكثر فى هذه الملحمة الطويلة قصص الفروسية والبطولة . تاريخ دقيق . و تكثر فى هذه الملحمة الطويلة قصص الفروسية والبطولة .

⁽١) المراجع : يعرف في السكتب الفارسية باسم « علاء الدين جهان سور » .

⁽٢) يردد المؤلف هنا وجهة النظر الإيرانية في السلطان محود النزنوي . (المترجم)

 ⁽٣) لمله يقصد كتاب « الآثار الباقية عن القرون الحالية » المترجم .

⁽٤) لعله يقصد كتاب « التفهيم لأوايل صناعة التنجيم » . المترجم

وكانت مصدر إلهام لكثير من شعراء الفرس المتأخرين ،كما صارت مصدر إلهام لمؤلفين أوروبيين مثل ماتيو أرنولد (Matthew Arnoid) الذى أعادكتابة قصة من أجمل قصص الشاهنامه في كتابه «سهراب ورستم».

وقد نسخت الشاهنامه مرارا في جميع العصور المتأخرة ، وكانت كثير من النسخ مزينة بصور صغيرة (منمنهات) لاشهر المصورين ، وهي منظومة بلغة فارسية قوية خالصة ، تشتمل على كلمات عربية قليلة العدد نسبيا ؛ وقد تغيرت اللغة تغيرا قليلا جدا منذ نظمها قبل تسعة قرون ؛ يحيث تمكن قراءتها بسهولة بو اسطة أهل إبران في الوقت الحاضر . وقد ظلت هذه المنظومة تتلي قرونا عديدة ، ويستطيع آلاف من غير المتعلمين في الوقت الحاضر أن ينشدوا فقرأت طويلة منها . وقد وصل الأدب الفارسي الحديث ــ في هـذا العصر ــ إلى كامل نضجه ، ولكن يجب علينا أن ندرك أن كثيرًا من المؤلفين الفرس الذين عاشوا في هذا العصرقد ألفواكتبهم باللغة العربية ؛ لأن اللغة العربية بهرتهم بأساليها النحوية المستفيضة التي استساغها العقل الفارسي ، وكانت حروف الهجاء العربية أفضل إليهم بكثير من الحروف البهلوية المعقدة، ولذلك كان علما. الإيرانيين يعدون اللغة العربية لغتهم الثانية ، ودخلت كثير من الـكلمات العربية في اللغة الفارسية ، وكان من الطبيعي أن تستعمل الحروف العربية ـــ في ذلك الوقت – لكتابة الفارسية . وكتبت شخصيات معروفة مثل السعدي والغزالي بكل من اللغتين العربية والفارسية ، كما تشربكثير من المؤلفين الذين كانت اللغة العربية لغتهم الأصلية بالثقافة الفارسية والأفكار الفارسية بحيث تعد تواريخهم وأشعارهم وكتاباتهم الفلسفية والصوفية ــ في الحقيقة ــ أدبا فارسيا ، رغم أنهـا بلغة غربية .

وفى المدة التى تقع بين ٦٤١و ١٠٠٠م (٢١ – ٣٩١ه) أخذت إيران تخرج تحويرها الخاص للفن المعهارى الإسلامى، وكانت الحاجة إلى الصلاة أهم تعاليم الإسلام الأساسية؛ فقد حث القرآن على إقامتها، وكان مطلوبا من الرجل المسلم المتدين أن يؤدى خمس صلوات دينية فى كل يوم، ويمكن أن تؤدى الصلاة المتدين أن يؤدى خمس صلوات دينية فى كل يوم، ويمكن أن تؤدى الصلاة

في أي مكان بشرط أن يولى المصلى وجهه شطر مكة ، وكانت صلاة الحماعة تؤدي ظهراً في يوم الجمعة، فوجدت الحاجة إلى مكان خاص تؤدي فيه الصلوات ، منذ زمن بعيد ، ومن المعتقد أن منزل الرسول محمد عليه الصلاة والسلام استعمل على أنه المسجد الأول . فلما امتدت الغزوات العربية إلى البلاد البعيدة ، صار من الضروري إقامة مساجد للجنود ، وكان المسجد في البداية عبارة عن أى مكان مفتوح يحاط ويغطى بسقف من الغاب بحيث بمكن حمله إذا تحرك الجيش، وبعد ذلك بقليل؛ صار المكان المخصص للسجد يحدد بأربعة سهام تطلق من نقطة في الوسط ، ويخندق يحفر حول المساحةالتي تحددها هذه السهام . و بعد فترة من الزمن ، أنشئت العقود المغطاة (البواكي) حول المكان المفتوح أو حول ساحة المسجد ، وقد استولى العرب على الابنية القائمة في اليلاد التي فتحوها لاستعالها كمساجد ، فاستعملت الكنائس في سورية وفلسطين لهذا الغرض ، كما حول طاق كسرى ــ في المدائن ــ إلى مسجد ، وحينها بدأ المسلمون في بناء مساجدهم الخاصة الدائمة ، طبقوا الفن المعارى في أسلوبه الشائع محليا ، واستفادوا من الصناع المحلين ، وكانت العناصر الرئيسية للسجد هي ساحة مفتوحة ذات بواكي على جانب أو أكثر من جو انها ، ومنطقة مغطاة للعبادة يوجد فيها المحراب ، وهو مقام في وضع يجعل المصلين يتجهو ن شطر مكة دائما .

وقد أثبت الآثار الباقية فى إيران من أبنية العصر الساسانى ، والعصور السابقة عليه صلاحها من حيث تصميمها وأسلوب بنائها ، لأن تتخذ مقرا للأبنية الدينية الجديدة ، ويستفاد من الكتب الخطية أن آلافا من الأبنية الجيلة قد أنشئت فى بداية العصر الإسلامى ؛ وقد بق منها إلى الوقت الحاضر ، عدد قليل لم يكن أكثرها شهرة ، ومن الثابت أيضا أن كثيرا من الآبنية القديمة قد حول إلى مساجد ، ويشير تقرير دقيق مكتوب فى تاريخ مبكر إلى أن قصراً أكبنيا قد حول إلى مسجد .

ومن الآثار الباقية في إيران ــ قبل عام ١٠٠٠ م (٣٩١ م) ــ « تاريك خانه ، في دامغان ، وهو مسجد يبدو أنه بني في القرن التاسع الميلادي ،

وهو يشتمل على ساحة مربعة ، محاطة بعقود ، يزيد عرضها فى الناحية التى يقع بها المحراب ، والمسجد الجامع فى « نيريز » يغلب على الظن أن تاريخه يرجع إلى القرن العاشر الميلادى ، وقد بنى فى صورة إيوان كبير ، يقوم المحراب فيه فى نهاية ردهته .

ويشبه المسجد الجامع فى نائين ــ الذى يرجع إلى القرن العاشر الميلادى ــ مسجد دامغان فى تصميمه ، غير أن له علامات بميزة هى الحيطان ، والأعمدة ، وواجهات المحراب المحلاة بزينات من الملاط فى صورة كتابات عربية ، ونماذج هندسية ، ونماذج من الأزهار منحوتة بعمق ، وما زالت أبراج القبور قائمة فى «رزجت » (Resget) ، و « لازم » (Lajim) على طول ساحل قزوين ، فى «رزجت » فاكتابات بالعربية ما عدا السطر وفى دامغان ، فالموجودة فى «رزجت » لهاكتابات بالعربية ما عدا السطر الأخير فهو مكتوب بالبهلوية ، وقد أوجدت أبراج القبور نموذجا بق قرونا عديدة .

ومن الأشياء الفنية التي بقيت حتى الوقت الحاضر؛ الفخار الذى يوجد بكثرة ، ويبدو أن أسلوب القطع القديمة مستمد من الفخار الصيني المستحضر إلى إيران عبر طرق القوافل الطويلة ، وذلك على سبيل التقليد والمنافسة ، وقد راج في هذا العصر فن صناعة الفخار رواجا ملحوظا ، بحيث صارت صناعة الفخار الفارسية تضارع صناعة الفخار في أية دولة أخرى ، وفي أي عصر من العصور . ويمكن تمييز عدد من النماذج المختلفة لهذا الفخار ؛ فالفخار المسمى بفخار ما وراء النهر تمثله أطباق مسطحة أو سلاطين مزينة بنماذج هندسية وغار نيسابور ذو شخصية مستقلة ولكنه يذكر بفخار ما وراء النهر ، فالأطباق مزينة ومصقولة تقليدا للنماذج الصينية ، والسلاطين مزخرفة برسوم خضراء وزرقاء على أرضية بيضاء مصقولة ، وتوجد النماذج القديمة للفخار اللامع وهو واردى تطورت صناعته تطورا كبيرا في العصور اللاحقة .

والاطباق الفضية الحاصة بهذا العصر مشابهة تماماً ... من حيث الشكل والفن والمادة المصنوعة منها ... الأطباق الفضية في العصر الساساني .

وقد بقيت قطع من الأنسجة الدقيقة ، كما بق فن النحت فى الخشب ممثلا فى الأبو اب المزدوجة للمساجد والقبور ، وفى العادات التى يوضع عليها القرآن ، وفى المنابر التى تقوم إلى جانب المحراب فى المساجد ، كما وجدت قطع كثيرة من نقوش الجدران فى الاكتشافات الآثرية .

العصر السلجوق:

منذ عصر الدولة الأكينية ، اعتادت القبائل البدوية التركية والتاتارية والسندية ، الهجرة من وسط آسيا نحو الهضبة الايرانية ، فكانت تعبر نهر جيحون ؛ فاذا صادفتها قوات معادية اضرب إلى الاتجاه جنوبا . وفي أوائل القرن الحادي عشر الميلادي ، ظهرت قبيلة من الأتراك الرحل كانت أكثر قوة عاعداها من القبائل ، وكان محمود الغزنوي قد أقطع أفر ادها مقاطعة بالقرب من بخارى ، ثم أجلاهم بعد ذلك إلى خراسان ، فثار زعيمهم طغرل بيك وقادهم السحق قوة الغزنويين ، ثم شق طريقه — بعدذلك — عبر إيران إلى بغداد ، ففتح الخليفة العباسي له أبو ابها في عام ١٠٥٥ م ، (٤٤٧ ه) لأن الحلافة العباسية المتدهورة كانت قد فقدت قواتها السابقة منذ مدة طويلة ، وسر الحليفة بمنح طغرل بيك لقب ملك المشرق والمغرب ، ثم رجع طغرل إلى الري — واتخذها عاصمة له — وأسس دولة السلاجقة التي استطاع فرعها الرئيسي أن يحكم حوالى مائة عام من البوسفور إلى التركستان الصينية ، أما فروعها الصغيرة فقد امتدت سلطتهم إلى مدة أطول من ذلك .

وحينها حل السلاجقة فى وسط ايران وغربيها ، كانكثير من أجزائها يحكمه ولاة صغار يمسك بعضهم برقاب بعض ، فأسقط السلاجقة الدويلات المحلية ، ووحدوا آسيا المسلمة ، واعتنقوا الاسلام بحماس عظيم .

وقد صار هذا العصر أحد العصور المهمة فى تاريخ الحصارة الايرانية ، لأن الاتراك البدو الاميين سرعان ما وضعوا الفرس فى المناصب الرئيسية ، وانقلبوا هم أنفسهم إلى رعاة وحماة للعلوم والفنون . وأعقب طغرل ابن أخيه ألب آرسلان — الذي حكم من ١٠٧٢ إلى ١٠٧٢ م (٢٥٥ — ٤٦٥ هـ) وقد اتخذ ايرانيا فذا هو نظام الملك وزيرا له — أو رئيسا لوزرائه — وأشعل ألب أرسلان حروباكثيرة بقدرة حربية لا شك فيها ، فقد اتجه غربا بقوات عظيمة — كما كانت عادة جميع المحاربين الآقوياء في آسيا — فغزا سورية ، وهزم الامبراطور البيزنطي رومانوس ديو جينس . وأسره ، وقد جرح ألب أرسلان جرحا بمينا على يد واحد من أسراه (١٠٠٠) . وقال قبل وفاته : وبالامس كنت أقف على جبل راسخ ، وكانت الآرض تهتز ولن يستطيع أحد أن يتغلب على ، وكثرة جندى ، فقلت لنفسى : أنا ملك العالم ، ولن يستطيع أحد أن يتغلب على ، ولهذا فقد أسقطني الله القوى العظيم بيد واحد من أضعف خلقه ، فأنا ألتمس المغفرة منه ، وأندم على تفكيرى هذا . . . ، وخلفه ابنه ملكشاه — الذي حكم من ١٠٧٧ إلى ١٩٩ م (٤٦٥ — ٤٨٥ هـ) . فأنشأ — بعد توليه بسنتين — المرصد الذي اشتغل فيه عمر الخيام وغيره من العلماء بوضع تقويم جديد ، وزين ملكشاه عاصمته إصفهان بعدد من المباني المخلة والحدائق ، وشغل السلطان نفسه بالحروب والصيد والحفلات الملكية ، المجلة والحدائق ، وشغل السلطان نفسه بالحروب والصيد والحفلات الملكية ، وبي نظام الملك وزيرا ، واجتمعت في يديه جميع أزمة الامور في الدولة .

والاسم الحقيق لهذا الوزير الشهير ينسى غالبا، فقد عرف دائما بلقبه التشريفي والاسم الحقيق لهذا الوزير الشهير ينسى غالبا، فقد عرف دائما بلقبه الدين ، ونظام الملك قو ام الدين ، الذى معناه و منظم الدولة والقائم على أمور الدين ، وهو منظم كبير ، استطاع أن يبقى على نظام البلاد الموروثة ، كما استطاع أن يفرض الحضارة الايرانية العالية على السلاجقة ، وقد سجل تجاربه العملية فى رسالة عنو انها: وفن التاريخ وفن الحسكم (أأ) ، وقام بمجهودات متو اصلة لترويج التعليم ، ونشر الدين ، فبنى سلسلة من المدارس سميت بالمدارس النظامية يبدو أنها كانت أولى المنشآت المدنية (غير الدينية) منشر التعليم فى العصر الاسلامى ؛ وقد أنه كانت أولاها فى دمشق فى عام ١٠٦٥ م (٤٥٨ هـ) ونحن نعرف أنه كانت

⁽۱) يقصد يوسف الحوارزمي الذي كان قبل أسره قائداً لفلمة بمرزم في إقليم ما وراء النهر . (المترجم)

⁽٢) يقصد كتأب « سياستنامه » الذي ألفه نظام الملك في عام ٤٨٤ ه. (المترجم)

هناك مدارس مشابهة لها فى آمل ، ونيسابور ، والموصل ، وهراة ، ومرو ، وبلخ، وغيرها من المدن .

وكان السلاجقة يذهبون مذهب أهل السنة ، فيتشددون كثيرا مع الشيعة ، وكانت هذه الفرقة الآخيرة قد قويت جدا في إيران منذ العصر البويهي ، وكانت أهم مقاومة لها تظهر من فرقة الاسماعيلية بقيادة الحسن بن الصباح ، وهي الفرقة التي عرفت في العالم الغربي بياسم السفاكين (١) (Assasins) وقد وزعوا عملاءهم من قلاعهم القوية في شمالي إيران وفي أقصى الغرب ليثيروا الإضطرابات في البلاد ، وليقوموا بتنفيذ اغتيالات سياسية ، وكان نظام الملك أحد ضحاياهم .

وقد عجز خلفاء ملكشاه عن الاحتفاظ بتهاسك الدولة ، وسرعان ما فقدوا سورية وآسيا الصغرى ، وفضلا عن ذلك فقد استطاع الآتابكة ـــ وهم حكام الاقاليم الاتراك ــ أن يصلوا إلى درجة من القوة ، بحيث أخذت إيران تتمزق بينهم إلى دويلات شبه مستقلة .

وكان سنجر — الابن النالث لملكشاه — آخر سلطان من السلاجقة العظام ، وقد كان قبل ذلك ملكا على خراسان مدة اثنين وعشرين عاما قبل اعتلائه العرش في عام ١١١٨م (١٩٥ ه). وفي أواخر حياته ، بدأت علامات الاضطرابات الداخلية تهم الدولة نظرا المتهديدات المستمرة من الخارج ، فقد جاءت قبيلة القره خطاى — وهي قبيلة تركية مغولية — من أقصى الصين ، وهزمت سنجر في عام ١١٤١م (٢٣٥ ه) واحتلت إقليم ما وراء النهر . وفي عام ١١٥٣ م (٥٤٨ ه) ، أسر الاتراك الغز سنجر فظل أسيرا لديهم حوالي سنتين (٢) ، واحتلت نيسابور وأحرقت قبيل وفاته .

وقد دفن سنجر فى مرو ــ محل اقامته المحبب ــ فى مقبرة بنيت فى أثناء حياته ؛ وكانت فى الآصل متصلة بمسجد تلاشى الآن ، وبناء المقبرة عبارة عن

⁽١) المراجع : تعلورت هذه الكلمة حتى عرفوا باسم « الحشاشين » .

⁽٢) المرجع أن سنجر ظل أسيراً لدى الغزو ثلاث سنوات . ﴿ المترجم ﴾

مربع كبير طولكل ضلع من أضلاعه الخارجية ٧٧ قدما ، وسمك حيطانه ١٩ قدما ، وقد توجت الحيطان الاربعة بأروقة تقوم عليها جوانب القبة الكبيرة ، وواجهات الحيطان الداخلية مغطاة بملاط عادى ، أماكهوف الاروقة فغطاة بملاط مزين عليه خطوط بارزة تشبه نماذج القوالب ، وقد كتبت عليه كتابات الطيفة فوق أرضية مزخرفة بنماذج من الزهور .

وبعد موت سنجر، استولى سلاطين الدولة الخوارزمية على أراضى الدولة السلجوقية بسرعة . وكان اتسز أول سلاطين الدولة الحوارزمية ؛ وقد حكم فيما بين سنة ١١٢٨ وسنة ١١٥٦م (٢٣٥ – ٥٥١ ه)؛ وكان فى الأصل حاكما على خوارزم (خيوه) من قبل السلاجقة ، ولكنه كان – فى الحقيقة – مستقلا عن سيطرتهم ، وقد بسط ابن حفيده السلطان محمد ١٢٠٠ – ١٢٢٠م (٧٩٥ – ٢١٧ ه) الدولة الحوارزمية فشملت جميع إيران ، وكان على وشك التقدم إلى بغداد عند ظهور المغول .

والعصر السلجوقي مشهور بكثرة عدد شعرائه وفلاسفته وعلمائه الذين كان أشهرهم الغزالي الفيلسوف المتصوف الشاعر ، الذي أدخل في التصوف الاسلامي العواطف الصوفية المسيحية القائمة على فكرة الحب المطلق واستطاع _ في الوقت نفسه _ أن يجعل التصوف داخل نطاق العقيدة الإسلامية السنية ، وبذلك أثر تأثيرا كبيرا في الفكر الإيراني في العصور التالية .

وأعظم شعراء الصوفية هو فريد الدين العطار؛ وتشتمل مؤلفاته على تاريخ قيم لحياة الأولياء والمتصوفة (١)، وكتاب « منطق الطير ، وفيه تبحث الأرواح – وهي في هيئة طيور – عن الله . ومن أهم آثار ذلك العصر آثار فظامي الكنجوي التي تعرف – في مجموعها – باسم الخسة ، وتشمل المنظومات الرومانتيكية الاربع : « خسرو وشيرين » و « ليلي ومجنون » و « العرائس السبع » (هفت بيكر) وحكاياتها عن بهرام كور ، و « كتاب الاسكندر » (السكندر نامه) وهو القصص الخرافية المتعلقة بالإسكندر الاكبر ، والمنظومة

⁽١) يقصد المؤلف كتاب « تذكرة الأولياء » المطار . (المترحم)

الصوفية و مخزن الاسرار. أماكناب المقالات الاربع وجهار مقاله ، لنظامى العروضى فعبارة عن مجموعة من القصص والحكايات عن الشخصيات الموجهة فى ذلك العصر.

وكان د ناصر خسرو ، شاعرا مشهورا ورحالة ، وقد ترك سجلا ممتعا قيها عن رحلاته (۱) . وعاش عمر الخيام تحت رعاية ألب آرسلان وملكشاه وكان فيلسو فا ورياضيا ومنجها ، فضلا عن أنه كان شاعرا صبغت أفكاره الصوفية بالشك والتشاؤم (۲) .

ونشطت حركة البناء نشاطا كبيرا فى أثناء العصر السلجوق، وينسب جزء كبير من المساجد الإيرانية إلى هذا العصر، وقد أدخلت المساجد — حينذاك فكرة الساحة المفتوحة التى فى وسط البناء، تحيط بها عقود مسقوفة، وإيوان على كل جانب من جوانب الساحة وردهات للصلاة تقع على جانبى كل إيوان. وقد بنى المسجد الصغير الموجود فى زواره على هذا الاساس فى صورة بناء منفرد فى حوالى ١١٣٥ م (٥٣٠ ه)، ولكن أكثر المساجد التى أنشئت فى ذلك العصر توجد فيها الحجرة المربعة التقليدية المتوجة بقبة، أما الإيوانات والاقواس فقد أضيفت فى زمن متأخر ، لتكملة البناء، وكانت الحجرات المربعة المقبة مستعملة — أيضا — للمزارات والقبور، وقد وجدت نماذج مثالية لهذا النحو فى و سنك بست ، بالقرب من مشهد وفى المسجد الكبير وفى مسجد حيدريه بقزوين ، وفى مسجد كلبايكان المنشأ فى عهد السلطان محمد فى بارسيان (Barsian) .

وتوجد فى الحجرة المقبوة بمسجد قزوين كتابة ممتعة تفصل الترتيبات التى عمات لنمويل صيانته ؛ وهى كالآتى : «قد أوقفت على هذا البناء والمدرسة الملتحقة به ثلاثة أرباع قرية هوازآباد (Hovasabad) وسبعة عشر قيراطا من قرية جويران (Juyran) ، وجميع البستان الموجود على طريق الجوسق ، وجميع الكروم التى فى تهزوين وقفا صحيحا الكروم التى فى قزوين وقفا صحيحا

⁽١) المراجع : يعرف فى العارسية باسم « سفرنامه » وقد ترجم إلى العربية فى سنة • ١٩٤٠ .

⁽٢) المراجع : ترجت رباعياته إلى العربية مرادا في مصر وسوريا والعراق ولبنان .

مؤبدا، وفقا للشروط المبينة فى الحجج، ملتمسا بذلك رضا الله ولا يجوز لأى حاكم أو ظالم أو مغتصب أو أى شخص آخر أن يغير أو يعدل هذه الوقفية، فإذا حاول أحد أن يفعل ذلك، فلتحل عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين،

و يعد المسجد الجامع فى إصفهان أكبر الأبنية الأثرية فى إيران، وأكثرها دقة وأهمية ؛ وتوجد فى داخل المسجد حجرتان فخمتان مقببتان ، أنشئت إحداهما فى عام ١٠٨٨ م بأمر تاج الدين ــ الذى كان منافسا سياسيا لنظام الملك ــ وأنشأ الأخرى نظام الملك نفسه فى نفس العام .

وما زالت أبراج المقابر التي ترجع إلى عهد السلاجقة قائمة _ أيضا _ ومن الأشياء الجديرة بالمشاهدة _ بصفة خاصة _ مقبرة طغرل بيك _ ذات الحافات البارزة المتكررة _ في مدينة الرى ، وثلاثة أبراج في مراغة ، واثنان في نخجوان ، و وكنبذ سرخ ، (۱) في مراغة . ويرجع تاريخها إلى عام ١١٤٧ م (٧٤٥ هـ) _ وبها أفاريز مزدوجة على جدرانها الحارجية ، تنتهى بنهاذج من الأربطة المتنوعة من الآجر الاحر ، وهناك نماذج أخرى للزينات المعادية المألوفة في ذلك العصر ، وهي عبارة عن قطع من الفخار المحروق متشابكة في نماذج هندسية ، ومحاريب منحوتة من الحصى ، وكتابات بارزة على الاعمدة . ويظهر فن صناعة الفخار في ذلك العصر _ تقدما عجيبا انتهى به إلى ويظهر فن صناعة الفخار في ذلك العصر _ تقدما عجيبا انتهى به إلى

وفى أواخر العصر السلجوقى ، وجد الفخار البراق المؤرخ ، والقرميد المعهارى ، كما وجد الفخار ذو الألوان المتعددة المصنوع فى مصانع الرى وكاشان ، وكانت بعض المدن مثل أغكند (Aghkand) ويستكند (Yastkand)، وآمل تصنع قطعا ثقيلة ملونة ، محفور عليها صور الحيونات والطيور فى بروز قليل يتوصل إليه الصانع بكحت أرضيتها . واستعملت — فى الرى وكاشان — الموضوعات المألوفة فى المنمنات ، فأظهرت قطع صغيرة منها مناظر من

الفخار المغرق في الزخرفة الذي اشتهر في العصر المغولي اللاحق:

⁽١) «كنبذ سرخ » كلتان فارسيتان ممناهما « الغبة الحمراء » . (المترجم)

الشاهنامه ، ومناظر الفرسان والصيد والعرش والآشراف ، أو مجموعات متجانسة تجلس فى الحدائق المزهرة . وكان عدد كبير من المدن الهامة ينتج كميات كبيرة من المنسوجات القطنية الجميلة ، والمنسوجات الصوفية ، والأقشة الحريرية ، وهناك حوالى خمسين قطعة من الحرير الفاخر وجدت فى القبور السلجوقية فى الرى ، وهى تشير إلى مهارة فنية تامة فى أداء مجموعات الكتابات وصور الإنسان والحيوانات ، وتشتمل المصنوعات المعدنية على مرايا برونزية حليت ظهورها بمناظر رسمت على بروز منخفض .

وقد زخرت المناحف والمجموعات الحاصة بأدوات مصنوعة من النحاس أو البرونز كالغلايات ، ومواقد البخور ، والأباريق ، والشمعدانات ، والصوانى ، والمصابيح ، والجرار ، وصناديق الأقلام ، وبمجموعة أقل من الأوانى الفضية ، والصوانى ، وتظهر المهارة الفنية فى أرفع درجاتها فى النقوش المحفورة ، وهى ... فى الغالب ... مطعمة بالفضة ، أو بالفضة والذهب معا .

العصر المغولى :

حدثت ولادة تموجين حوالى عام ١١٦٠ م (٥٥٥ ه) ، وهو الشخص الذى قيضت الاقدار له قيادة قبائل المغول عبر آسيا متخذا لقب جنكيز خان ، وقد أحاط الغمو ضالتام بنشأته ، ولكنه سرعان ما استطاع أن يقود طوائف الرعاة المتبدية ، وأن يكتسح البلاد جنوبا وشرقا ويسيطر على الصين المتحضرة . وفي عام ١٢١٩ م (٦١٦ ه) اتجه غربا على رأس سبعائة ألف رجل يركب كثير منهم خيو لا نحيلة هزيلة ، وتوقف على حدود الدولة الخوارزمية ليرسل رسلا إلى السلطان محمد الذى استنكف أن يتصل بهؤلاء البرابرة غير المعروفين ، فكانت النتيجة التحطيم السريع لدولته .

وسار الجيش المغولى قدما للاستيلاء على بخارى، وسمر قند، وبلخ، ومرو، فوصرت المدن التى أبدت مقاومة؛ ثم اجتيحت وأحرقت، وكثيرا ما محيت من فوق سطح الارض، وسقطت نيسابور فى عام ١٢٢١م (٦١٨ه)، وقتل سكانها ، وجميع الكائنات الحية التي بها ـــ بما فى ذلك القطط والكلاب ـــ وطارد السلطان محمد فى المنطقة التي على ساحل بحر قزوين ، ولكنه استطاع الحرب فى قارب صغير وهو على بعد خطوات قليلة من مطارديه . وقد قتل فى هذا الغزو الاول ، وفى موجات الغزو اللاحقة ملايين من أهل إيران .

ثم رجع جنكيزخان إلى الشرق بعد أن أتم الاستيلاء على أغلب إيران ، وتوفى هناك فى عام ١٢٢٧ م (٦٢٥ هـ) . وقد صمم المجلس الذى عين خليفته على إرسال جيش لقتال بقايا القوات الحوارزمية ؛ فقاد القائد جر ماغون المغول ، حتى بلغ شمال غربى إيران والعراق ، واستمرت الغارات والمذابح فى السنوات التالية .

وفى عام ١٢٥٦م (١٢٥٩ه) قاد هو لاكو حملة ضد الحشاشين (الاسماعيلية)، فاجتث قلاعهم وحطم قوتهم . وفى عام ١٢٥٨م (٢٥٦ه) هجم على بغداد ، واكتسحها بعد حصار دام شهرا ، وقتل آلافا من الناس ، وأحرق قصور الخلفاء ومساجدهم وقبورهم واستولى على مقادير كبيرة من الاسلاب ، وأعدم آخر خلفاء العباسيين ومحا أسرته ، ولكن هو لاكو هزم فى فلسطين هزيمة فاصلة على أيدى المصريين ، وكان هذا أول كبح لجماح القوات المغولية .

· فانسحب إلى مراغة فى الشمال الغربى من إيران؛ واستقر المغول فى إيران بصفة مستديمة ، وفيها اتخذ هو لاكو لقب ايل خان أو « تابع الحان ، وهو اللقب الذى انتقل إلى خلفائه ، وأكسب دولتهم اسم « دولة الايلخانيين فى إيران ، .

وقد تابع المغول — منذ بدأوا يعيشون فى إيران — أنواعا جديدة من العادات ، وأنماط الملابس ، والمعتقدات الدينية تختلف عما اعتادوه فى أسلوب حياتهم القبلية ، وعملت قوة الحضارة الإيرانية وأصالتها على تغيير عادانهم وأخلاقهم وقد استبق المغول النظام الإقطاعي فى الحسكم ، وعينوا الفرس فى المناصب الإدارية العالية ، وأصبح السلاطين الايلخانيون رعاة للأداب والفنون .

وفى عام ١٢٦٧ م (٦٦٦ ه) توفى هو لاكو ، وخلفه ابنه آباقا الذى حكم إلى عام ١٢٨٧ م (٦٨١ ه) ، وقد بادت حملاته على سوريا بالفشل ، فلما حدث ذلك أحيا آباقا الفكرة القديمة التى ترمى إلى إرسال رسل إلى بلاط ملوك أوروبا والنبا ، واقترح — كما فعل كثير من الحكام المتأخرين — عقد حلف عسكرى بين الشرق والغرب ضد المصريين المسلمين ، وكان من المحتمل أن يضمن هذا الحلف للشعوب المسيحية الاستيلاء على الاماكن المقدسة ، ولكن هذه الشعوب لم تبد اهتماما كبيرا بالفكرة .

واعتنق تكودار أخو آباقا الذى خلفه على العرش الدين الإسلامى علانية وانخذ لنفسه اسم أحمد.

وقتل تكودار فى عام ١٢٨٤ م (٣٨٣ ه) ؛ فحلفه أرغون بن آباقا، و فى أثناء عهده ، حظى المسيحيون النسطوريون الذين كانوا يعيشون فى الشمال الغربى من إيران والعراق بعطفه ، فأعاد مطرانهم بناء الكنيسة فى مراغه ، وكانت مقاليد الأمور جميعها ـ فى ذلك الوقت ـ فى أيدى الموظفين الإيرانيين الرسميين الأكفاء ، وبعد وفاة أرغون فى ١٢٩٢ م (٢٩٢ ه) حكم أخوه كيخاتو لمدة أربع سنوات ، ثم خلفه ، بايدو ، الذى شغل العرش أقل من سنة .

وقد أدخل اعتلاء غازان — حفيد هو لاكو — العرش فى عام ١٢٩٥ م (٦٩٥ هـ) الدولة فى عهد ذهبى جديد، استمر أثناء عهد خليفته أو لجايتو، واعتنق غازان الإسلام، فأخذت روح التسامح الدينى التى ميزت العصر المغولى فى التضاؤل، وصار طابع البلاط فى مدينة تبريز العاصمة إسلاميا فارسيا تماما، وكانت الإدارة الرشيدة والرخاء الشامل أهم أهداف الحاكم، مع فر ض ضرائب عادلة تجمع بانتظام، وسن قوانين منسقة، وإيجاد أمن داخلى -

وكان عشرة آلاف رجل يحرسون طرق القوافل الرئيسية التي تمر منها قوافل عديدة في أمان ، وكان لـكل من جنوه وفنيسيا مبعو ثون تجاريون ، وجاليات من التجار تقيم في تبريز . وفي عام ١٢٩٧م (١٦٩٧ه) أمر غلزان بيد، الاعمال الإنشائية في ضاحية من صواحي تبريز ، ولم تمض سنوات كثيرة حتى

كانت عمارة مقبرته ، ذات الاثنى عشر صلعا ، المتوجة بقبة كبيرة ، مركزا لمجموعة من المبانى المقامة فى وسط الحدائق ، وكانت المبانى تشمل رباطا ، ومستشنى ، ومدارس دينية ومرصدا ، ومكتبة ، وقصرا أو مبنى للإدارة ، وأ كاديمية للفلسفة ، وما زال هذا المكان ظاهرا حتى الآن بما بتى من أكوام الابنية المتخلفة من مقبرته المحطمة ، وقام غازان _ فى أواخر حياته _ بمحاولة أخيرة لغزو سورية ومصر ، فاستولى على حلب ، ولكن المصريين هزموه بالقرب من دمشق .

وشخصية غازان تعتبر صورة من صور البطولة ، ولكن وزيره الكبير رشيد الدين كان أيضا معادلا له في فضائله . وكان رشيد الدين مواطنا فارسيا ، وكان في بداية أوره طبيبا محترفا في عهد آباقا ، ثم صار بعد ذلك مؤرخ البلاد والمنظم الرئيسي للدولة في عهدى غازان خان وأولجاتيو ، وقد صرف أغلب نشاطه في كتابة تاريخ عمومي (١) ، جعل جزءا منه سجلا مفصلا للمغول وإنشاء دولنهم ؛ وقد استعان في كتابته بأحسن المصادر وأكثرها دقة واعتهادا ، فرجع إلى السجلات المغولية الرسمية ، وقد ساعده ناسك كشميرى في كتابة تاريخ الهند ، وعكف عالمان صينيان على الكتابة عن الصين ، وكانت معلومات رشيد الدين عن الأوضاع السياسية في أوروبا دقيقة جدا ، فكان يعرف عن أوروبا معلومات أكثر كثيرا جدا من المعلومات التي عرفها الأوروبيون — في ذلك الوقت — عن آسيا ، حتى إنه سجل الحقائق الحفية مثل عدم وجود ثعابين في أير لنده ، وحينها أنم كتابه في عام ١٣١٠م (٧١٠ه) ، اتخذ جميع الاحتياطات وحعل المخطوطة في متناول الأيدى لاستنساخها ، فكانت تنسخ منها في كل وحيدة عديدة عديدة عديدة عديدة عنه ألى مكتبات المدن الكبيرة ، عام نسخ جديدة عديدة عديدة منه إلى مكتبات المدن الكبيرة ، عام نسخ جديدة عديدة عديدة منه ألى مكتبات تنسخ منها في كل

وقد أنشأ رشيد الدين ضاحية فى خارج تبريز سماها . الربع الرشيدى ، وخصصها لترقية الفنون والعلوم ، وسرعان ما أسكن فيها رجال الدين والفقهاء،

⁽١) يسمى هدا الكتاب و جامع التواريخ ، . (المترجم)

والمحدثين ، وقارئى القرآن ، والطلاب ، وأصحاب الحرف من كل نوع ؛ فأقامو ا فى ثلاثين ألف بيت جميل ، بنيت فى هذه المحلة .

وزينت نسخ من كتابه فى التاريخ العام بالصور ، وتقول السجلات المعاصرة إن نقاشى المخطوطات كانوا يظفرون منه برعاية كبيرة ، وقد ظلت صورهم تقلد طريقة مدرسة بغداد فى النقش فى القرن الثالث عشر الميلادى ، وظلت قطع الورق تجلب من بغداد ، ولكن أسلوب النقش كان منسجها جدا مع روح البلاط وخصائصه ، فظهر الملوك الايلخانيون وزوجاتهم — فى المنمنات — البلاط وخصائصه ، فظهر الملوك الايلخانيون وزوجاتهم — فى المنمنات — وهم يلبسون قبعات صينية ، وبدا التأثير الصينى قويا فى الأشجار والازهار المخططة نتيجة تمريرات سريعة بالفرشة مألوفة فى فن الرسم ، كما أن رسم السحب اتخذ صورة النهاذج الشرقية الحلاونية الملتفة .

وتوفى غازان خان فى عام ١٣٠٤ م (٧٠٤ ه)، فخلفه أخوه أولجاتيو إلى أن توفى — فى عام ١٣١٦ م (٧١٦ ه) — وهو فى السادسة والثلاثين من عمره، وقد عمد أولجاتيو فى أثناء طفولته على أنه نصرانى، ولكنه اختار الإسلام بعد ذلك ، واتخذ لنفسه اسم «محمد خدابنده (١) ، ، وقد وجد لذة فى الالتحاق بفرق إسلامية متعددة ، فكان حنفيا وشيعيا وسنيا على التوالى .

وفى عام ١٣٠٦ م (٧٠٦ه) أمر أولجانيو ببدء العمل فى بناء مدينة السلطانية التى تقع على سهل فسيح بالقرب من قزوين، وهى المدينة التى خلفت تبريز فصارت عاصمة لإيران فى عهد الايلخانيين؛ وقد تنافس السلطان نفسه، ورشيد الدين، ووزير آخر يسمى تاج الدين على شاه، وكثير من رجال البلاط فى تمويل بناء القصور والمبانى العامة، والميادين العامة للمدينة الجديدة، وبدئت بين أسوارها أعمال إنشائية لبناء ضريح أولجانيو الذى ما زال قائما فى حالة حسنة جدا، وهو واحد من أجمل الآثار التى أنشئت فى إيران، ويعتبر مفخرة لاية دولة، ولاى أسلوب من أساليب البناء. والضريح ذو ثمانية أضلاع — من حيث تصميمه — وحيطانه الخارجية متوجة بثمانى منارات

⁽١) « خدابنده » كلة فارسية مركبة معناها « عبد الله » (المترجم) .

تكون دائرة حول القبة الكبيرة المغلفة بقوالب زرقاء صقيلة براقة ، وداخل الضريح ساحة مثمنة الآصلاع قطرها ثمانون قدما وارتفاعها — من الأرض إلى قمة القبة سبعون ومائة قدم ، وفيها مدفن صغير في الناحية الجنوبية ؛ وقد اختمرت في ذهن أولجاتيو — أثناء تقدم الإعمال الإنشائية — فكرة إحضار رفات على والحسين وأئمة الشيعة من العراق ، وتحويل مقبرته إلى مزار لأجدائهم ، فأخذت النقوش تعد بحيث يكون اسم على منحونا بوضوح في الكتابات ، ولكن الفكرة طرحت بعد ذلك ، وأعيدت زخر فة المقبرة جميعها من الداخل ، قبل أن يتم هذا البناء الأثرى ، وقدمت المدينة الجديدة هدية لأولجاتيو في عام ١٣١٣ م (٧١٣ ه) . وسرعان ما أصبحت أسواق هذه المدينة الجديدة شهيرة ، وأصبح من الممكن أن توجد فيها توابل الهند ، وفيروزج خراسان ، ولاجورد بدخشان وياقوتها الآحر ، ولآلئ الخليج الفارسي ، وحرير سواحل بحر قزوين ونيلة كرمان ، ومنسوجات يزد ، وأقشة فنيسيا ولمبارديا وألمانيا ، والأقشة الحريرية المشجرة ، والزيوت ، والمسك ، والراوند الصيني ، والصقور الواردة من أوروبا ، والخيول وكلاب الصيد الجاوبة من بلاد العرب .

وأجلس أبو سعيد على العرش — خليفة لوالده — وهو فى الثانية عشرة من عمره، وفقد رشيد الدين وظيفته، وأعدم فى النهاية نتيجة لتدبير منافسه على شاه، وكانت القوة المغولية قد بلغت ذروتها فى إيران حينذاك، وكانت فى حاجة إلى شخصية أكبر من أبى سعيد الذى لم يتعد سن الشباب طوال حكمه لإيقاف انهيارها السريع، فتمرد النبلاء وقويت شكيمتهم، وبدأت أقسام من الدولة فى الانفصال عن كيانها الرئيسى.

وكان جنوبى إيران قد أنقذ من تدمير المغول، لأن حكامه تعهدوا بدفع خراج ضخم للغزاة ، واستطاعت الدولة المظفرية فى كرمان فى أيام أبى سعيد أن تبسط نفوذها على فارس، وأغلب الجزء الجنوبي من إيران، وتوفى أبو سعيد فى عام ١٣٣٥ م (٧٣٦ ه) . وكان غازان خان قد ذبح كثيرا من الاعضاء المنافسين له من العائلات المغولية ، فحارب المطالبون بالعرش من الفروع

البعيدة من الشجرة المغولية بعضهم بعضا بعد وفاة أبى سعيد ، دون الوصول إلى نتائج حاسمة ، وتناحرت البلاد داخليا فى أثناء ما تبقى من القرن الرابع عشر الميلادى ، وكانت الدويلات الصغيرة تحكم فـترات قصيرة زائلة ، وكانت أقواها دويلة آل المظفر ، والسربداريين الذين استولوا على خراسان ودامغان (۱).

وكانت المدة من موت هو لاكو إلى آخر عهد أبي سعيد غنية غني هائلا بالإنتاج الآدبي ، وفيها -- وحدها دون ما عداها - كتبت كثير من الكتب التاريخية التي تعتبر من الطراز الأول بين المصادر التاريخية ، كما بذلت مجهودات قيمة في حقول الطب وعلم النبات ، وعلم الفلك ، والعلوم الطبيعية . وقد أكمل الجويني كتابه : و تاريخ جهان كشاى ، في عام ١٢٦٠م (١٩٥٩هـ) ؛ وهو يتضمن تواريخ جنكيزخان وحكام خوارزم ، والإسماعيلية ، وكان الجويني أحد أفراد أسرة مشهورة من الموظفين الفرس في عهد المغول ، وكان الجويني أحد أفراد بغداد سنوات كثيرة . كما أكمل فارسي آخر هو عبد الله بن فضل الله - الذي يعرف غالبا باسم الوصاف - تاريخ الجويني وأوصله إلى عصره ، في كتابه يعرف غالبا باسم الوصاف - تاريخ الجويني وأوصله إلى عصره ، في كتابه المسمى و تاريخ وصاف ، وقد ألف رشيد الدين كتبا أخرى مهمة بالإضافة إلى كتابه التذكاري الفخم ، وكتب حد الله مستوفي القزوبني - وهو صديق عزيز لوشيد الرين - كتابين تاريخين مهمين : أحدهما ؛ كتاب جغرافي (٢) ، والآخر منظومة تاريخية مطولة تسمى و ظفر نامه ، أو وكتاب الظفر ، .

وعاش ـــ فى ذلك العصر ـــ عدد كبير من الشعراء المشهورين ولكن اثنين منهم كانا أكثر شهرة عن الجميع ، وهما جلال الدين الرومى ، وسعدى الشيرازى .

وكان الرومىـــالذى توفى عام ١٢٧٣ (٦٧٣ هـ)ــشاعرًا صوفياكبيراً ، ومؤسساً للفرقة المولوية ، التى تعرف باسم الدراويش الدائرين أو الراقصين ،

⁽۱) المترجم: ارجع إلى تفصيل ذلك فى كناب حافظ الشيرازى تأليف الأستاذ الدكنو رابراهبم أمين الشورابي ، طبع مطبعة المعارف سنة ١٩٤٤ (ص ٣٩ — ١٦٢٠) .

⁽٢) المُراجع : يعرف باسم «نزحة الفلوب» وهومطبوع ضمن المجموعة التذكارية لأوقاف جب.

وقد ظل نفوذهم قويا فى آسيا الصغرى عدة قرون ، وتسمى منظومته الطويلة — التى تشغل ستة كتب — به والمثنوى ، وهو اسم ضرب من الشعر القصصى يتكون من أبيات يكون البيت فيها مقنى بين شطريه ، ويعتبر المثنوى عملا من الدرجة الأولى ، والكتاب الأساسى للتصوف الفارسى ، وكان الرومى صوفيا ، فخصص أجزاء كثيرة من المنظومة لخدمة هدفه الوحيد ، وهو تقوية الأخلاق ، والحقائق الصوفية ، ويعد سعدى ألمع جوهرة بين سائر جواهر الأدب الفارسى ، وقد ولد فى شيراز ، وأمضى شبابه فى الدراسة ، ثم قام بسلسلة من الرحلات الطويلة ، وأسر فى طرابلس بواسطة الصليبيين ، ولكن صديقا افتداه فى النهاية ، فرجع إلى شيراز وقضى بقية حياته فيها ، متمتعا باحترام الحكام المحليين، وتقدير آباقاخان إلى أن توفى فى عام ١٢٩١م (٢٩٥٠) .

وديوانه أو آثاره المجموعة هي عبارة عن دكلستان ، ، أو د روضة الورد، و دبوستان ، أو دالحديقة، ومنظومات أخرى صوفية وأخلاقية كثيرة .

والكلستان ـــ وهو النموذج الزفيع الذى احتذاه النثر الفارسي فى العصور اللاحقة ــ عبارة عن بجموعة من الحكايات المكتوبة نثرا ، ولكنها تشتمل على مقطوعات من الشعر ، أما اله وستان ، فشعر جميعه ، وهو يمجد العدل والمساواة ، والتواضع ، والبساطة ، والتربية ، والعبادة ، والتفكر ، وغيرها من الموضوعات ، وقد نصح سعدى ــ كصوفى ــ بالاعتدال على أنه الفضيلة الأولى ، وأوصى بأن نقنع بنصيبنا فى هذه الحياة ، وأن نعيش ما أمكن عيشة فاضلة عفيفة استعدادا للحياة الأبدية .

ومن أهم رجال العلم — الكثيرين فى ذلك العصر — نصير الدين الطوسى الذى كان فى البداية يعمل فى خدمة الاسماعيلية ، ثم حاز إعجاب هو لاكو فاستخدمه فى تشييد مرصد فى مراغه وإدارته . وقد وضع فى هذا المبنى الجديد عدة أدوات مصنوعة بطريقة خاصة مثل الاسطر لاب ، وأدوات رصد تحركات الاجسام السهاوية وصورة الكرة الارضية . وقد وصف كاتب معاصر هـذا الرجل فقال : « هو رجل واسع الاطلاع فى جميع فروع الفلسفة يدير

جميع المؤسسات الدينية فى البلاد الخاضعة للحكم المغولى ، ألف كتباكثيرة فى المنطق والعلم الطبيعى وماوراء الطبيعة كما كتب شروحا على كتب إقليدس وأفلاطون وأرسطو. .

ويدو أن نشاط حركة البناء قد توقف في نهاية القرن الثانى عشر الميلادى . فقلما توجد الآن آثار قائمة يرجع تاريخها إلى أو ائل القرن الثالث عشر الميلادى . وقد حطمت غزوات المغول مبانى لاعداد لها فى المدن المدمرة ، ولم تعد الحياة لحركة البناء فى إيران إلا بعد ظهور المغول فيها بثلاثين عاما، فقد شيد هو لاكو مرصداً لمراغه ، ودارا للخرانة ، ومقبرة له ، وأبنية أخرى لم يبق منها إلا الجدران الاساسية للمرصد ، ومع ذلك فما زال باقيا فى إيران مائة على الاقل سعيد ، الاقل سعيد ، ومزارات أو مقابر . غير أنه يوجد بينها أيضا غطرة قليل من الخانات المخصصة لمبيت القوافل ، ومن أبنية من نماذج أخرى .

ويعد الفن المعهارى لهذه الأبنية استمرارا للآئار المعهارية التي أنشئت في عصر السلاجقة قبل ذلك بقرن تقريبا . ولكن استعهال الآجر المزخرف الذى يوضع كعلامة للزينة — أخذ في الزوال ، وانتشر الملاط المزخرف انتشارا واسعا و تطور تطورا كبيرا وغطت نماذجه القوية وجوه المحاريب ، وأربطة الكتابات ، وأوجه الحيطان ، والأقباء . وكان كثير من الملاط ملونا بالألوان الحراء والبيضاء والحضراء والصفراء ؛ وظهر فن آخر في انتزيين هو استعمال القرميد المصقول على الجدران الخارجية والداخلية ، وقد استعمل سفيرة من القرميد الأبيض والأسود ، وزاد استعماله إلى أن غطيت مساحة برمتها بقطع صغيرة من القرميد المصقول ، وصنعت بإنقان . وأصبح هذا الفن صغيرة من القرميد المسقول ، وصنعت بإنقان . وأصبح هذا الفن النبي يعرف باسم الترصيع بالفسيفساء علامة مميزة لفن البناء في العصرين التيمورى والصفوى .

وقد تحدثنا _ فيها سبق _ عن اثنين من الآثار الثلاثة العظيمة التي تختلف

عن العصر الايلخانى، وهما مقبرتا غازان خان وأولجاتيو، أما الآثر الثالث فهو المسجد الذى بناه الوزير على شاه فى تبريز فى أوائل القرن الرابع عشر الميلادى، ويشتمل بناؤه الواسع على ساحة كبيرة مفتوحة، وعلى حوض فيه نافورة فى وسطه، وصومعة، ومدرسة دينية، والبناء الرئيسي للمسجد، وهذا الجزء الآخير عبارة عن ساحة إيوان واسع عرضها الداخلي مائة قدم، وكان هذا البناء حينها تم بناؤه ويشابه القصر الساساني المسمى بطاق كسرى فى المدائن مشابهة عظيمة، ويشاهد – الآن حسم كبير من جدرانه التي سمكها ثلاثون قدما، وبقيت كذلك أبنية أخرى شهيرة مشيدة فى أصفهان، وورامين، ونطنز، وبسطام فى حالة جيدة.

وقد بقيت أمثلة قليلة لقطع فجارية ذات تاريخ، استطاعت أن تنجو من سنوات التدمير الواقعة بين ١٢٢٠ و ١٢٤٢ م (١٦٠ – ٦٤٠هم) ولمكن عدداكبيرا من النماذج الفخارية مؤرخ بعد عام ١٢٤٢ م (١٤٠هم). وهو دليل على انتعاش صناعة القاشاني في كاشان والرى والمراكز الآخرى، وتشتمل قطع كاشان المؤرخة على محاريب كبيرة؛ تكونت من تربيعات كبيرة من الخزف اللامع ومن التربيعات النجومية البراقة، التي كانوا يستعملونها مع التربيعات الصليبية في زخرفة أسفل الجدران الداخلية، وتشتمل كذلك على سلاطين منقوشة لامعة جداً أو ذات ألوان متعددة، وعلى أطباق وقوارير؛ والقطع اللامعة لها بريق واضح من اللون الأحمر أو الذهبي أو البني؛ نتج عن تغطية القطع المصنوعة بصبغة من أكسيد النحاس أو نترات الفضة، ثم إعادة وضعها على النارحتي ترسب طبقة خفيفة من المعدن على سطح القطعة.

وعلى العموم؛ فإن الفخار فى العصر المغولى كان أكثر زخرفة، وكان متنوعا تنوعاكبيرا يفوقكل ماكان موجودا فى العصر السلجوقى، ويمتاز العصر المغولى بالفن الذى يعرف باسم و الميناه، ، وفيه تنقش نماذج متعددة الالوان على الفخار المصقول، وكان أروعها الفخار المصقول ذو الألوان الذى وشى بالذهب بعض رسومه، ورغم أن بعض نماذج الفخار المشهورة تنسب إلى مصانع كاشان والرى وساوه النشيطة ، فإن مدنا أخرى كشيرة قد أنتجت _ أيضا _ فارا رائعا ، كما وجدت قطع كشيرة جدا _ فى السنوات الحديثة _ فى الحفريات التى عملت على طول الركن الجنوبيي الشرقى لبحر قروين .

وقد ذكرت — فعلا — بعض الإشارات إلى طريقة زخرفة مخطوطات تاريخ رشيد الدين التى تمت فى ضاحيته التى بناها خارج تبريز ، وقد بقيت كذلك صفحة من كتاب مزين بالصور للبيرونى، وُرخة بعام ١٣٠٧م (٧٠٧ه)، كا نقشت كتب كثيرة فى الضاحية نفسها ، وذهبت فى هذا العصر أيضا نسخ من الشاهنامه ؛ ومن المعتقد أن الصفحات الكبيرة التى كانت موجودة — فيما مضى — فى مجموعة ديموت (Demotte) قد نقشت فى تبريز ، وتقل فيها تأثيرات الشرق الأقصى ، فقد تغيرت فيها طرق التصميم والنفاصيل ، وصارت الألوان أزهى ، وأصبحت الأرضية المذهبة طريقة شائعة .

وكانت هناك مراكز أخرى لنقش الصور الصغيرة (المنمنيات) فى شيرابز وهراة . وقد غطيت الصفحات المزينة الفخمة فى نسخة من القرآن أعدت لأولجا تيوفى همدان فى عام ١٣١٣ م (٧١٣ ه) بنماذج هندسية من الأزهار ، تشبه — كثيرا جدا — النماذج المستعملة فى الزخارف المعيارية المعاصرة لها ، كا توجد صفحات مثلها فى نسخ من القرآن كتبت فى الموصل ومراغه . واستمر نسج الأقمشة قائما فى تبريز ونيسابور وهراة ، وقم ويزد ومراكز أخرى ، وقد حفظت فى المتاحف والمجموعات الخاصة حوالى ثلاثين قطعة من الحرير الرائع ؛ ظهر فى بعضها الأثر الصينى ، وقد استعمل بعضها الخيوط الذهبية أو الفضية ، ونسج بعضها بنماذج مخططة دقيقة ، كما زخرف بعضها بنماذج من شجيرات النخيل أو اللوتس ، أو أنواع أخرى من الزهور وقد وجدت بعض هذه القطع فى أوروبا بعيدا عن إيران ، وتحمل واحدة منها اسم أبى سعيد .

وقد وجد اسم أبى سعيد أيضاً على طشت نحاسى فخم مرصع بالذهب والفضة وحذت نماذج أخرى شهيرة ـــ مصنوعة من المعادن ـــ حذو الفن الذي كان

متبعا فى العصر السلجوقى ، ونستطيع أن نلم بفن نجارة الخشب ـ فى هذا العصر ـ بملاحظة عدد من المنابر وأبواب المساجد والمزارات، وقد استعمل فيها نمو ذجان رئيسيان : أحدهما الأشكال الهندسية المكونة من زوايا وأضلاع متقاطعة ، والآخر مكون من أشكال نباتية معروفة متشابكة .

العصر التيمورى :

كانت الأحوال في المناطق الشرقية لإيران غير مستقرة مدة كبيرة من الزمن، وقد منحت أراضي إفليم ما وراء النهر بعد الفتح المغولي الرئيسي بلختاي الابن الثاني لجنكيز خان، فأسس هناك دولته الخاصة، وبعد ذلك بقليل قسمت هذه المنطقة الواسعة إلى قسمين: الأول منطقة ما وراء النهر الفعلية، والثاني منطقة تركستان. ثم اشتبك القسمان معا في حروب متواصلة استمرت إلى عام ١٣٧٠م (٧٧٧ه) ؛ حينها تمكن تيمور - ألذي كان إذ ذاك في خدمة حاكم تركستان - من إخضاع الدولة المنافسة.

وقد ولد تيمور – أوتيمور لمك كما هو معروف للعالم الغربى – بالقرب من سمر قند فى عام١٩٣٣م (٧٧٤ه)، وهو ابن حفيد رئيس قبيلة برلاس التركية . فلما أصبح سيداً على إقليم ما وراء النهر ، وجه قوته الجديدة نحو الغرب ، ففتح خراسان ومازنداران وسجستان فى عام ١٣٨٠م (٧٨٧ه) . واستولى على آذربيجان وجورجيا وغربي إيران فى عام ١٣٨٤م (٧٨٧ه) وغزا إقليم فارس جميعه فى عام ١٣٩٢م (٧٩٥ه) وقام بهذه الحلات بقوات قليلة نسبيا ، مما جعله يواجه بعض المصاعب أحيانا، وجعل تقدمه غربا بطيئا .

ثم سار إلى بغداد ، وتوجه بعد ذلك إلى سورية حيث استولى على حلب ودمشق ، وقد كانت غزواته أقل تدميراً من غزوات المغول ، ولكنها أدت إلى كثير من التدمير ، فهناك تقرير عن بعض أعماله يسجل ما يلى : « وبمجرد أن هزموا ، وسلو السلحة م، جرد سيفه ضدهم ، وسلط عليهم جميع أسلحة الموت ، ثم ترك المدينة خرابا ، فلم يترك فيها شجرة ولا حائطا إلا حطمها تحطيما

تاما ، فلم يبق منها شجرة أو أثراً ، ولكنه ــ من ناحية أخرى ــ كثيراً ما سمح لصغار الحكام ، والسلاطين والأمراء بأن يستبقو ا سلطتهم المحلية .

كما فتح _ أيضاً _ جزءاً كبيراً من تركستان الروسية ، ومن الهند؛ وفى عام ١٣٩٨م (٨٠١هـ) رجع إلى عاصمته سمرقند، ليشرف على تنظيم إدارة دولته الواسعة ، وكانت الدولة التي أسسها تركية في جوهرها ، ولكن الحضارة الإيرانية لعبت الدور الموجه الغالب ، لأن تيموركان مسلماً غيورا .

ونحن نعرف الكثير عن أخلاق تيمور وعاداته وهو اياته ، فقد كان سوفقا لما كتبه مؤرخ معاصر له — ذا قدطويل، ورأس ضخمة بدرجة غير طبيعية ، وذا شعر طويل قيل إنه كان أبيض منذ ولادته ، كاكان ذا ملامح صارمة حزينة ، وكان عدوا لجميع أنواع المزاح والهزل، شديد العداء للكذب والبهتان ، وكان يكره الشعراء والندماء ، ولكنه كان يحب الأطباء والفلكيين والفقهاء ، وكانت الكتب المحببة إلى نفسه هي : كتب تواريخ الحروب ، وحياة المحاربين . وكان تعليمه محدودا ، يكاد يكون قاصرا على الإلمام بالقراءة والكتابة ، ولكنه كان يستطيع التكلم بثلاث لغات هي التركية والفارسية والمغولية .

ويبدو أنه كان يحب الهواء الطلق ، فكان يتحرك من حديقة إلى أخرى من حدائقه الكبيرة التى تطوق سمر قند ـــ إذا كان الجو يسمح بذلك ــ حيثكان يعيش فى الخيام ، أو فى السرادقات المصنوعة من أغلى أنواع الحرير والاقشة المطرزة بالقصب .

ولم يحل ميله الوراثى لقليل من الثقافة دون اهتمامه بالفنون ، فكان شديد الشغف بفن البناء فجمع الفنانين وأصحاب الحرف فى سمر قند ، لتشييد سلسلة من المبانى، كان كل واحد منها أعلى وأضخم من المبانى الآخرى التى شيدت قبله .

وبنى تيمور — فى سمر قند — مدرسة دينية كبيرة لزوجته بيبى خاتون — التى كانت أميرة صينية — فسميت باسمها، ولا زالت أجزاء كبيرة من أبنية إيواناتها الاربعة قائمة ، وكانت فى الوسط ساحة واسعة مفتوحة محاطة بعقود مقببة على كل ركن منها منارة عالية، ويقع فى مقابل الواجهة المقوسة قاعدة الصلاة

المربعة التي تعلوها قبة مقامة على أعمدة أسطو انية مرتفعة ، وقد أشرف تيمور _ أيضا _ على بناء مقبرته ، التي يبدو أنها أكملت قبيل وفاته فى ١٤٠٤ م (٨٠٧ هـ) وحفظت هذه المقبرة _ المعروفة الآن باسم «كورمير(۱) » _ فى حالة جيدة ، وهي تعد مثلا رائعا لمميزات الاسلوب التيموري فى البناء ، فهى بناء على مستوى رفيع غنى بالزنادف الملونة المتألقة .

والمقبرة من الخارج مثمنة الأضلاع أما من الداخل فحجرة مربعة ، ذات حنيات عيقة وبوابات صغيرة من كل ناحية من نواحيها الأربع مزينة بثراء فاحش ، وأسفل الجدران مبطن برخام معرق ، يعلوه رباط من حجر اليشب الخضر ، يحمل كتابات مذهبة ، تسجل أعمال تيمور ؛ وقد غطيت الحيطان فى أعلى هذه الكتابات بورق مضغوط فى صورة نقوش بارزة ذهبية وزرقاء مصقولة تحيط بها من أعلى أربطة تحتوى على كنابات بحروف مذهبة على أرضية زرقاء ، والسطح الداخلي القبة الداخلية المنخفضة مغطى أيضا بزخارف زرقاء وذهبية ، وتوجد فوقها قبة بصلية الشكل نوعا ما ، تعلو الحجرة السفلى ، ورقاء مسقوفة بناذج مخططة من الآجر الضقيل ذات زرقة سماوية ، وزرقة قائمة مع وحدات من القوالب ذات السمرة النحاسية .

وكما توفى تيمور لم يكن فى سمر قند من أهل بيته ـــ الذين يمكن أن يخلفوه على العرش ــ إلا اثنان ؛ حفيد له وابن أخته ، وكان ابنه الرابع شاهرخ في هراة ، فاستطاع أن يظفر بالسيطرة على هراة وخر اسان وما وراء النهر بعد منازعات وحروب عائلية استمرت سنة تقريبا . وظفر ابنه الثالث مير انشاه بالسيطرة على الجزء الغربي من إيران بما فى ذلك تبريز و بغداد ولكنه سرعان ما شغل بالمنازعات بين ابنين من أينائه .

وفى عام ١٤٠٨ م (٨١١هـ) استفادت قبائل « قره قو يونلو » (أى ذات الحراف السوداء) من هذا الوضع فاستولت على آذريبجان . وفى عام ١٤١٠ م (٨١٣ هـ) استولى رئيسها قره يوسف على بغداد ، وتمكن ابنه بعد ذلك

⁽١) «كور مير» : كلتان فارسيتان بمناها « قبر الأمير » أى الأمير تيمور . (المترجم)

بسنوات من السيطرة على إقليم أصفهان ، وظل حكام قره قويونلو يحكمون حتى عام ١٤٦٩م (٨٧٤ه) إلى أن تمكنت قبائل آق قويونلو أو (ذات الخراف البيضاء) من هزيمة منافسيها .

وفى الشرق حكم شاهرخ — من عاصمته هراة — جميع أجزاء القسم الشرق من إيران حتى عام ١٤٤٧ م (٨٥١ هـ) وهزم قبائل قره قويونلو فى تبريز ، وطردهم إلى أرمينية ، ولكنه أجبر — فى النهاية — على تركهم يستولون على الإقليم الغربى من إيران .

وكان شاهرخ من أكثر الملوك الذين حكموا إيران ثقافة ؛ وقد جعل هراة المركز الثقافي لوسط آسيا ، وازداد الرخاء في ظل حكمه الرشيد ، وعلت مكانة المهندسين المعماريين والرسامين والشعراء والعلماء والموسيقيين ، فانتشرت الحركات الفنية والأدبية التي ظهرت في هذا العصر، وامتدت غرباحتي بلغت ذروتها في أصفهان ــ بعد ذلك ـ في عهد الشاه عباس الصفوى .

وكانت كوهرشاد إحدى زوجات شاهرخ أما لابنيه الشهيرين ألغ بيك وبايسنقر، وكانت شخصية قوية، وكان اشتراكها الطويل المشمر مع المهندس المعارى قوام الدين الشيرازى — الذى كان يوصف بأنه أحد المصابيح الأربعة الكبيرة التى تضىء البلاط — سببا فى بناء عدد من المبانى الفخمة، أحدها مسجد كوهرشاد المقام فى منطقة مزار الإمام على الرضا فى مشهد، وهو محفوظ بحالته تماما، وقد بدى فى بنائه فى عام ١٤٠٥م (٨٠٨ه)، وأكمل فى كان ١٤٠٥م (٨٠٨ه)، وأكمل مفتوحة، وأربعة إيوانات على الجهات الأربع من محور البناء، ولكن الملامح مفتوحة، وأربعة إيوانات على الجهات الأربع من محور البناء، ولكن الملامح الأروع جمالا، هى الفسيفساء اللامعة المتوهجة التى تغطى جميع واجهات الحيطان برسوم زرقاء قاتمة، وزرقاء فاتحة، وبيضاء، وحمراء، وصفراء، وسوداه، وخضراء مصقولة، وقد أمرت كوهرشاد — بعد إتمام بنائه مباشرة — ببدء العمل فى بناء بحموعة من المبانى الفخمة فى هراة؛ وكانت هذه المجموعة تضم العمل فى بناء بحموعة من المبانى الفخمة فى هراة؛ وكانت هذه المجموعة تضم

فى وقت مامدرسة كبيرة (١) ومصلى بنى على طريقة المسجد المعروفة ، ومقبرتها ، وكانت المنارات العالبة تنبئق من جوانب المبانى .

وقد حطم أغلب مبانى المجموعة فى عام ١٨٨٥ م (١٣٠٣ هـ) ولكن المقبرة مازالت باقية فى حالة لا بأس بها، وقد دفن فيها ابنها بايسنقر أولا، ثم دفنت فيها الملكة نفسها ــ بعد ذلك ــ بعد حياة استمرت أكثر من ثمانين عاما.

وقد بنى قوام الدين الشيرازى ــ أيضا ــ مدرسة جميلة فى خركرد ـــ إلى الغرب من هراة ـــوهى تقع داخل حدود إيرانالشرقية فى الوقت الحاضر.

وخلف شاهرخ ابنه الأكبر ألغ بيك، وكان حكمه ــ لسو. الحظ ــ قصيرا جدا، لأنه استغرق المدة من ١٤٤٧ إلى ١٤٤٩ م (٨٥١ ــ ٨٥٣ هـ) وكان راعيا كبيرا للفن والأدب الفارسيين، كما كان أيضا شغوفا بفنون الصينيين، ولكن الرغبة الملحة التي كانت تسيطر عليه هي دراسة علم الفلك، وقد بني مرصدا لا يزال قائما في سمر قند، وعمل جداول حسابية، طبعت بعد ذلك في انجلترا في عام ١٦٦٥ م (١٠٧٦ه).

وتوفى بايسنقران أخو شاهرخ بسبب تسمم حاد من الشراب ، ولكن بعد أن أحرز شهرة خالدة فى فنون الخط ، والموسيقى والتصوير ، وقد اشتغلت بحموعة كبيرة من النقاشين والجلدين والنساخين تحت إشرافه المباشر فى هرانه .

وكان ألغ بيك كريما لطيفا رحيما ، بالنسبة لعصره ، فانتهى أمره بأن عزله ابنه ثم قتله ، وبقيت الدولة فى حالة من الفوضى . ظلت سائدة بضع سنوات ، وأخيرا سيطر حسين بايقرا على خراسان فى عام ١٤٦٩ م (٨٧٤ هـ) وأحيا النهضة الأولى للحضارة والفنون فى هراة ، بحيث كتب أحد معاصريه يقول : ملم يكن فى العالم المسكون جميعه مدينة مثل هراه فى عهد السلطان حسين ، فقد كانت خراسان وهراه — على رأس مدنها — مملوءة بعلماء ورجال لا نظير لهم ، وكان إذا اضطلع أحدهم بعمل — مهما كان نوعه — هدف إلى إتمامه ،

⁽١) اسطلاح المدرسة يقصد به فى هذا العصر المدرسة الدينية (المراجع) .

وإتقانه ، وكان من الكواكب النيرة فى البلاط جماعة من العلماء من كل من الأصلين الفارسى والتركى ، وكان منهم الشاعران الجامى ، وعليشيرنوائى ، والمصوران أو الرسامان بهزاد ، وشاه مظفر ، والخطاط سلطان على والمؤرخان ميرخواند ، وخواندمير ، .

وبعد وفاة حسين بايقرا — في ١٥٠٦م (٩١٢ هـ) سقط الجزء الشرق من الدولة التيمورية في أيدى قوم رحل من التتار كان أصلهم من الجنس المغولى ، ولكن تقاليدهم الحضارية كانت تركية ، هم الشيبانيون ، فاستمرت دولتهم ترعى الفنون في بخارى وسمرقند ، ولكنها انتهت سريعا أمام قوة الصفويين الفرس .

وكان شمس الدبن محمد حافظ الشيرازى ألمع شخصية أدية فى ذلك العصر، استطاع أن يلتحق وهو شاب فقير بالمدرسة ، وحفظ القرآن عن ظهر قلب فكان تخلصه الشعرى به حافظ ، مشتقا من هذا . وقد عاش حافظ فى شيراز وتمتع برعاية كثير من الحكام المحليين إلى أن توفى فى عام ١٣٨٩ م (٧٩٢ ه) ويحتمل أن تكون القصة المشهورة التى تصف مقابلة هذا الشاعر المتواضع ويحتمل أن تكون القصة وقد قيل إن تيمور الام ، حافظ ، على بيته (١) الذى يقول فيه :

لو أن ذلك التركى الشيرازى يأخذ قلوبنا بإشارة واحدة من يده . فإننى من أجل خاله الآسود أهبه سمر قند وبخارى.

قائلا إنه قد قام بفتوحاته من أجل تزيين هاتين المدينتين ــ سمر قنــد وبخارى ــ اللتين يريد حافظ تسليمهما من أجلشيء تافه، فأجاب حافظ بأن مثل هــذا السفه هو الذي أوقعه في العسر ١١٠٠٠، وفي رواية أخرى

⁽١) المترجم: يقصد المؤلف بهذا البيت قول حافظ بالغارسية :

أكرآن ترك شيرازى بدست آرددل مارا بخال هندويش بخمم سمرقد وبخارا انظر نرجة ديوان حافظ الشيرازى التي أخرجها الأستاذ الدكتور لمبراهيم أمين الشواربي بمنوان « أعاني شيراز » وكذلك كتاب سيادته الذي أخرجه بعنوان « حافظ الشيرازى شاعر النناء والذرل في إيران » .

_ تحتاج إلى نقل النص الفارسي _ أن , حافظ ، أجاب بأنه لم يقل فعلا هذا المصراع ، وهو قوله :

بخآل هندويش بخشم سمرقند وبخارى

أى وأهب سمرقند وبخارى من أجل خاله الاسود،

بل قال : بخال هندویش بخشم سه من قندودوخرمارا

أى وأهب من أجل خاله الآسود ثلاثة أمنان من السكر ومنين من البلح » .

ويشتمل ديوان حافظ على ٦٩٣ منظومة ، منها ٥٧٣ غزلية ، تنغنى بالربيع ، والزهر والبلابل ، والحمر والشباب ، والجمال الخالد وهي تتنسم نغيات غنائية رائعة ، وتمزج المسائل الصوفية والدنيوية فى قطع من بديع النصوير ، ولكن نفحة من الشك وعدم المبالاة تشوب كثيرا من منظوماته .

وكان الجامى — الذى ولد فى خراسان ، وتوفى فى هراة فى ١٤٩٢ م (٨٩٨ه) — شاعرا عظيما وعالما وصوفيا فى وقت واحد ، ومن المعتقد أنه ألف ستة وأربعين كتابا فى مبادين الشعر الغنائى والروائى ، والتصوف ، والنحو العربى ، ونظم الشعر ، وكتابة النثر ، والموسيق ، وتراجم الصوفية ، وتفسير القرآن . وقد ظفر بتقدير عظيم فى أثناء حياته — من معاصريه ، من ملوك الدول البعيدة ، وتشتمل مثنوياته — أو أشعاره الروائية القصصية — على سبع منظومات طويلة ، كما أن أشعاره الغنائية جمعت فى ثلاثة دواوين ، ولم يتفوق أى كانب آخر فى عصره مثلما تفوق هو فى ميادين كثيرة ، ولم يعبر أحد عن الفكر الصوفى والإلهى فى إيران مثلما عبر هو بهذا الوضوح والبهاء .

وسنذكرهنا عددا قليلا من الشخصيات الآدبية التي ظهرت في ذلك المصر، ونبدأ بعليشير نوائى وكان راعيا لرجال منهم الجامى وبهزاد، وقد صار مشهورا كموسيق ورسام وشاعر .

وهناك نظام الدين الشامى الذى ألف كتاب د ظفر نامه ، أو مكتاب الظفر، الذى كان السجل الوحيد لفتوحات تيمور ، وقد أكمل فى حيـــاة تيمور ،

أما فيها يتعلق بمادة الكتاب ، فقد استمدها المؤلف من السجلات والوئائق الرسمية التي أتيح له أن يطلع عليها حين كان مشتركا في الحروب في بغداد وحلب.

ويوجدكتاب وظفر نامه ، آخر أكثر شهرة من الكتاب السابق ، ألفه شرف الدين على اليزدى ، وأتمه فى عام ١٤٢٤ م (٨٢٨ هـ) ، وهو متخم بالمبالغة فى مدح تيمور ، ولكنه يعتمد اعتمادا كبيرا على الكتاب السابق .

ثم هناك مير خواند وهو الاسم الذى اشتهر به مؤلف كتاب و روضة الصفاء الذى يتناول تاريخ إيران منذ عصور الملوك ــ الذين حكموا قبل الإسلام ــ الذي عام ١٥٠٦ م (٩١٢ ه) .

وقد تلاشت عمائر نمو ذجية عرفناها من الروايات المعاصرة للتيموريين، كانت تعتبر من العيائر الممتازة في عصرهم، وكان أحد هذه الآثار المسجد الكبير الذي بناه تيمور في سمر قند . كما لم يبق من قصره الذي استغرق بناؤه عشرين عاما إلا قسم واحد، و تنضمن الآثار الباقية عن القرن الخامس عشر مزار و خواجه أبي نصر يارسا ، المهيب في باخ ، ومزار و خواجه عبد الله الانصاري ، خارج هراة ومزار و تربت شبخ جام ، وقبرزين الدين في و تاى آباد ، . و يقع الاخيران داخل حدود إيران الشرقية الحالية مباشرة .

وأغلب هذه المبانى مشل التي ذكرتها فيها سبق مدل على الميل إلى العبائر العظيمة، ويتضح هذا الميل أكثر فى عظم ارتفاع الإيوان الرئيسى فى كل مبنى ، وقد كسى كل بناء يرجع إلى هذا العصر من تقريباً من بتربيعات الصبنى والفسيفساء ، ثم استعملت مرب نهاية العصر ما المواد المصقولة على الواجهات الداخلية ، والحارجية على السواء .

ويوجد بناء ـــ فى غربى إيران ـــ تربط زخرفته بين الفن فى النصرين التيمورى والصفوى ، وهو المسجد المسمى بالمسجد الأزرق^(١) فى تبريز الذى دفن فيه جهانشاه ــــ أقوى ملك فى دولة قره قويونلو ـــ فى عام ١٤٦٧ م

⁽١) يقصد « مسجد كود ه الذي ما زالت أطلاله بانية في تبريز (المترجم) .

(۸۷۲ه) أى بعد سنتين من إتمامه والساحة الرئيسية للبناء مستطيلة فى تصميمها فيها عر مقبب يحيط بالجوانب الثلاثة لقاعة كبرى عليها قبة ، وهى هنا تحل محل الساحة العادية المكشوفة . وخلف هذه القاعة الكبرى مقبرة أصغر قليلا منها مقببة كذلك . وقد زينت الحيطان الخارجية وبوابة المدخل لهذا البناء المتهدم بالفسيفساء الخزفية ، أما من الداخل؛ فقد ظهر الخزف ذوالبريق على أرضية من الآجر الاحمر المائل إلى الصفرة .

ويبدو أن إنتاج الخزف قد قلت أهميته فى العصر التيمورى ولكن التقدم العجيب فى تصاوير الكتب يعد الميزة الكبرى الفن فى القرن الخامس عشر المميلادى، وكانت أهم مدارس التصوير توجد فى هراة وشيراز، وقد مالت مدرسة شيراز وكانت أهم مدارس التصوير توجد فى هراة التقاليد السابقة التصوير التى كانت سائدة فى بغداد و تبريز، و تبين صور هراة أثر الاساتذة الشخصى مع مهارة فنية واضحة استطاعت أن تبدل الفن الواقعى الصارم العصور السابقة بفن طبيعى متقن. وتمثل آثار هذا القرن ذروة التقدم فى فن المنمنات الفارسية. فقد صورت هذه الصور مجموعات الشخوص بطريقة زخر فية أكثر منها واقعية ؛ فنفاصيل العمائر والملابس والاحياء، كانت كلها تخرج فى الصورة إخراجا دقيقا من خرفا. وقد والملابس والاحياء، كانت كلها تخرج فى الصورة إخراجا دقيقا من خرفا. وقد أن الجبال والاشجار والسهاء كانت تصور عادة فى عناية بالغة . و تبدو الشخوص كان المنظر الطبيعى يتخذ عادة أرضية خلفية لموضوع الصورة الرئيسى ؛ غير متحجرة فى مناظر ثابتة لا حيوية فيها ، لأن الفنان كان يتجنب الزاوية التى متحجرة فى مناظر ثابتة لا حيوية فيها ، لأن الفنان كان يتجنب الزاوية التى متحدرة فى مناظر ثابتة لا عيولة عادة من العاطفة والإحساس ، وكانت الألوان هذه الشخوص ووجوهها خالية عادة من العاطفة والإحساس ، وكانت الألوان

وقد ولد بهزاد حوالى عام ١٤٤٠م (٨٤٤ه) وظل يواصل نشاطه فى عهد الملك الصفوى شاه طهماسب، وعد أكبر رسام فارسى للصور الصغيرة (المنشات)؛ وله صابعا حياً ثير ملحوظ على الفنانين المعاصرين له والفنانين المتأخرين، وقد نسبت صور صغيرة لا عداد لها إليه، ولكن الدراسة العلمية

ضيقت ميدان هذه الصور وحصرتها فى عدد من الصفحات الموقعة بإمضائه ، وفى صور أخرى قليلة تحمل العلامة – التى لا يخطئها الإنسان أبدا – المميزة لفنه . وتوجد – الآن – نسخة من و بستان سعدى ، فى المكتبة الحديوية ، ودار الكتب ، بالقاهرة ، وهى تشتمل على أربع صور صغيرة أمضيت كل منها بعبارة و من عمل العبد الفقير بهزاد ، كما تشتمل على صورة خامسة فى صفحتى الورقة الأولى للكتاب تمثل مأدبة للسلطان حسين ، وهى – قطعا – من رسم هذا الاستاذ .

كا توجد نسخة خطية لنظامى (۱) فيها – أيضا – ثلاث صور صغيرة بإمضاء مهزاد ، وتوجد نسخة من كتاب وظفر نامه ، مكتوبة للسلطان حسين بايقرا – فى عام ١٤٦٧ م (٨٧٢ ه) – ، وهى تشتمل على صور رائعة مرسومة على ست ورقات – من كلا الجانبين – فيها مثل هذه المناظر المشتقة من حياة تيمور – كملك يعتلى العرش فى حديقة أو يشرف على بناء مسجد – وليس على هذه الصور إمضاء ، ولكنها – عادة تنسب إلى بهزاد .

ولا بد أن بهزادكان له تلاميذكثيرون فى هراة ، وقد بقيت بعض أعمال لواحد منهم يدعى وقاسم على ينها تحرك النلاميذ الآخرون ــ الذين استمدوا الإلهام من فنه ــ إلى بخارى ، وأقاموا فيها أسواقا رائجة ، وقد رسم أحد هؤلاء الفنانين ــ ويدعى و محمود مذهب ، ــ صورة جيلة لعليشير نوائى لا تزال موجودة حتى الآن .

وجذبت مدرسة هراة الرسامين الذين كانوا نشطين قبل أن يصل بهزاد إلى أوج الفن والشهرة ، أو الذين لم يكونوا تحت تأثيره المباشر . ومن رجال الطائفة الأولى نصر الله أبو المعالى الذى صوز مخطوطة من قصص كليلة ودمنة توجد الآن في « قصر كلستان » بطهران .

⁽۱) يقصد و خمسة نظاى » ولها نسخة خطية فى دار الكتب المصرية . (المترجم) المراجع : نصر الدكتور عبد النميم حسنين كتابا عن حياة نظامى جعله بعنوان نظامى الكنجوى شاعر الغضيلة الإيرانى . طبع القاهرة سنة ١٩٥٤ م .

وتوجد — أيضا — نسخة من الشاهنامه ذات صور فحمة رسمتها يد مجهولة، ويمكن أن تنسب واحدة من هذه الصور الصغيرة الجذابة جدا — إذا ما قيست بالصور الصغيرة التي رسمت في إيران بصفة عامة — إلى مدرسة هراه، ومن المحتمل أنها من عمل الرسام غياث الدين الذي رافق بعثة مرسلة من قبل شاهر خ إلى بلاط الصين، واحتفظ بسجل لاعماله اليومية، والرسم موضوع على الحرير وهو يبين لقاء تم بين الامير الإيراني «هماى» والأميرة الصينية «همايون» في حديقة مملؤة بأشجار الفاكهة ذات الازهار الجميلة، ويشتمل على مجموعة كاملة لازهار مرسومة شيقة نفيسة .

العصر الصفوى :

شاهد العصر الصفوى الذى جاء بعد فترة من الضعف استمرت ثمانية قرون _ إعادة بناء دولة إيرانية قومية صحيحة ، وإن ما نتج عن ذلك من إحياء الروح القومية والاتحاد يمكن أن يقارن بالحركة التى نشطت حينها قامت الدولة الساسانية بعد السيطرة الإغريقية _ البارثية الطويلة على البلاد .

وقد ظهر الشاه إسمأعيل _ مؤسس الدولة الصفوية وأول ملك فيها _ على أنه قائد لسبع قبائل تركية فى آذربيجان ، وتعرف هذه القبائل _ بوجه عام _ باسم الـ « قول باش ، أو « حمر الرؤوس ، وكان قوامها سبعين ألف فارس مسلح . ولم يكن إسماعيل نفسه زعيما تركيا ، ولـكنه ظفر بالاحترام ، لأنه من نسل سلسلة من الزعماء الدينيين ، ورئيس جماعة من الدراويش ، وكان جد هذه الاسرة الشيخ صنى الدين الارديبلي صوفيا عالما ، وواعظا ، وصاحب كرامات ، عاش من ١٢٥٢ إلى ١٣٣٤ م (٢٥٠ — ٧٣٥ ه) .

وفى عام ١٥٠٠ م (٩٠٦ ه) ، هزم إسماعيل قبائل « آق قويونلو » (أصحاب الخراف البيضاء) ، وجلس على العرش فى تبريز ، وحوالى ١٥١٠م (١٩٦٩ ه) ، كان قد استولى على العراق ، وفارس ، وكرمان ، وهمدان ، وخراسان ، وشقت قواته طريقها شرقا حتى بلغت « خيوه » وأعلن المذهب الشيعى مذهبا رسميا لإيران ، واستعمل القوة الغاشمة فى تغيير مذهب السنيين الممتنعين .

وقد أذكى التحول إلى التشيع عداوة الآثراك العثمانيين ضده ، وكان سلاطينهم فى القسطنطينية قد صاروا خلفاء على جميع المسلمين السنيين ، وأصبح الشيعة فى إيران يفصلون الكتلة السنية فى وسط آسيا والهند وأفغانستان عن السنيين فى تركيا والعراق ومصر ، والدول الإسلامية الآخرى الواقعة إلى الغرب من إبران .

وكانت أولى نتائج هذا الاحتكاك المذهبي غزو إيران بجيش يقوده السلطان سليم الأول الذي هزم إسماعيل بالقرب من تبريز، وقد استمرت الحروب مدة طويلة ، وكان الضغط الخارجي على إيران عاملا قويا في توحيد جميع أجزائها ، وإخلاص أهلها للملوك الصفويين ، والمذهب الشيعي . وحكم الملك الصفوى الثاني الشاه طهماسب من ١٥٢٤ إلى ١٥٧٦ م (٩٣٠ – ٩٨٤ هـ) وتمكن من الاحتفاظ بحدوده الشرقية ، ولكنه قاسي هزائم عديدة في الغرب على يدى السلطان العثماني سليمان القانوني ، الذي استولى على العراق وتوغل حتى وصل إلى تبريز وأصفهان ، فنقل طهماسب عاصمته من تبريز إلى قزوين لينجو من التهديد التركى ، وحكم هناك في بلاط متحضر ، يمتاز بالدقة والتأنق والرقة ، وقد درس طهماسب نفسه فن النقش ، وصار خطاطا ماهرا .

وبعد مدة وجيزة — تشمل عهود إسماعيل الثانى ومحمد خدابنده ، وسلطان أمير حزة — اعتلى الشاه عباس الكبير العرش في عام ١٥٨٧م (٩٩٦ه) . وكان العثمانيون — فى الغرب — يسيطرون على آذربيجان جيعها ، وكان الآتر اك الاوزبكيون — فى الشرق — قد غزوا خراسان ، واستولوا على هراه ومشهد ، فأمضى الشاه عباس أولا — معاهدة اعترفت بالمغانم العثمانية ؛ ثم سار لطرد الاوزبكيين بعيدا عن خراسان ، فلما تخلص من شر تهديدهم ، توجه غربا ، وانتصر على العثمانيين ، واسترد آذربيجان ، وأرمينية ، وجورجيا ، وبعد عام وانتصر على العثمانيين ، واسترد آذربيجان ، وأرمينية ، وجورجيا ، وبعد عام أنشأه الاخوان (١٠٠٧هـ) استفادت القوات الغارسية من منتجات مصنع للمدافع أنشأه الاخوان (١٠٠٧هـ) المتفادت القوات الغارسية من منتجات مصنع للمدافع أنشأه الاخوان (١٠٠٧هـ) المتفادت القوات الغارسية من منتجات مصنع للمدافع

⁽١) يقصد الأخوين روبرت وأنتونى شيرلى (المترجم) .

وفى عام ١٦٣٦ م (١٠٤٦ ه) — بعد وفاة الشاه عباس — سوت معاهدة عقدت بين الطرفين مشكلة الحدود الغربية لإيران حتى القرن التاسع عشر .

وكان الشاه عباس الشخصية القوية فى البيت الصفوى ، ويعد مساويا لأى ملك عظيم وجد فى إيران فى تاريخها الطويل ، وقد سجلت سنوات حكمه جيدا ، خصوصا بواسطة الرحالة الإنجليز الذين زاروا بلاطه .

وقد كتب سير أنتونى شيرلى عنه ما يأتى: «وكانت شخصيته مطابقة لذكائه الطبيعى، وتعد ملائمة جدا للنهاية المقدرة لوجوده، فكان ذا هندام جميل وبنية متناسقة، وكان قويا نشيطا، وكان لونه أميل إلى سمرة الرجال العاديين، وقد لفحته الشمس فبدا أكثر سمرة، وكان تركيبه العقلى ملكيا إلى أبعد حد، وكان عاقلإ شجاعا، سخيا، معتدلا، رحيما، ذا حب مفرط للعدل، يتمتع بمزايا ملكية أخرى، كا كان بعيدا عن الكبر والغرور، وعن كل الدلالات والإعمال غير الملكية،.

وفى عام ١٥٩٨ م (١٠٠٧ ه) نقل عباس العاصمة إلى إصفهان، واختصها بكل عنايته الملكية ؛ فسرعان ما دوت المدينة بالنشاط فى الفنون والصنائع ، وشجع الملك الإصلاحات فى كل ميدان من ميادين الحياة العامة ، وأنشأ جيشا نظاميا — بدلا من جيشه الذى كان مكونا من قوات قبلية يقودها قواد قبليون — واشتمل الجيش الجديد على فرقة تسمى «أصدقاء الملك ، مكونة من عشرة آلاف من الفرسان ، وعشر من ألفا من المشاة .

كما شيدت الطرق ، والقنوات ، وأماكن نزول القوافل فى جميع أنحاء إيران

وفى عام ١٦٢٢ م (١٠٣٧ هـ) جعل إيران تنحالف مع قوة بحرية انجليزية فى الخليج الفارسي لطرد البرتغالبين من جزيرة « هرمز » ، وشجع التجار الانجليز والهولنديين على التجارة فى بندر عباس ، وجعلها أهم مركز لتصدير الحرير ، كما أنشأ علاقات دبلوماسية مع الدول الاوروبية ، ونقل القبائل الكردية إلى حيث تنشى سدا قامًا ضد الاوزبكيين ، كما نقل طائفة كبيرة من الارامنة من إلى حيث تنشى سدا قامًا ضد الاوزبكيين ، كما نقل طائفة كبيرة من الارامنة من

جلفا فى آذربيجان إلى جلفا جديدة أقامها لهم على شاطى نهر و زايده رود، فى مو اجهة إصفهان ، وكان متسامحا مع غير المسلمين ، غيورا على الأمن العام ، متشددا فى قضائه المنصف ، مسرفا فى هبانه السخية ، وفضلا عن جعله إصفهان موضع إعجاب العالم من الناحية المعهارية ، فانه زين شيراز وأردبيل وتبريز بمبانى جميلة ، وقد وجه عناية خاصة إلى مزار الامام على الرضا فى مشهد ، ويبدو أنه كان يهدف بذلك إلى حفظ الأموال داخل البلاد بجعله مزارا جذابا للحجاج ، حتى لا يرحلوا إلى مكة أو إلى المزارات الشيعية المقدسة فى العراق ، وقام هو برحلات عديدة للحج ، كانت إحداها سيرا على الأقدام من إصفهان إلى مشهد ، وأنشأ أقساما جديدة فى مبنى المزار .

وتولى الشاه عباس بناء مدينة ملكية جديدة فى إصفهان بجاورة للمدينة القديمة ، وقد تم بالمرحلة الأولى من هذا العمل بناء الخطوط الرئيسية للخطة العاملة ، وإنشاء المبانى الضرورية للاحتياجات العائلية والمدنية والدينية للبلاط، أما المرحلة الثانية التي بدأت في عام ١٦١١م (١٠٢٠ه) فقد اهتمت بتوسيع هذه المبانى ومضاعفتها حتى جعلتها أوسع وأجمل ، ولقد بقيت هذه الآثار الفخمة في حالة حسنة حتى الوقت الحاضر و تعطى مدينة أصفهان من بين سائر المدن للأسواق المدن للأثر ما صورة كاملة لإيران القديمة ، فقد صف حول الميدان الملكى قصر ومسجد ملكى (مسجد شاه) ومسجد أصغر ومدخل كبير للأسواق المسقوفة ، وتوجد إلى غربى الميدان حديقة فسيحة ، مرصعة بقصور ملكية ، وجو اسق جميلة يحترقها شارع واسع ، يواصل امتداده عبر النهر عن طريق معبر جديد فيؤدى إلى حداثق القصور على الضفة المقابلة . وتشتمل المدينة المحاطة بحيطان من الآجر والطين على ٠٠٠و، ١٠ نسمة ، و١٦٢ مسجدا و ٨٨ مدرسة دينية ، و١٨٠٧ رباطا لمبيت القوافل و ٢٧٣ حمام عمومى ، وقد كان كثير من شوارعها ضيقا ملتويا ، ولكن كل منزل تقريبا ، كان يحتوى فناء يعد عثامة حديقة .

ومن سو. الحظ ، أن الجانب الأقل نبلا وحكمة فى الشاه عباس قد ظهر في علاقاته العائلية ؛ فقد قتل بعض أبنائه وأهمل تعليم الآخرين وتمرينهم على

طريقة الحسكم؛ حسدا وخوفا من أن يحل أحد محله فى الحسكم ، فقوض بذلك مستقبل الدولة الصفوية ، فقد خلفه على العرش سلسلة من الملوك غير اللائقين نسبيا ، حتى راج مثل ايرانى هو : «حينها توقف الآمير الكبير عن الحياة ، توقف إيران عن الانتعاش والرخاء » .

وقد أعقب الشاه عباس الشاه صنى (١٦٢٩ – ١٦٢٧ م ، ١٠٥٧ – ١٠٥٧ هـ) والشاه عباس الثانى (١٦٤٢ – ١٦٦٧ م ، ١٦٦٧ م ، ١٠٥٧ هـ) والشاه سليمان (١٦٦٧ – ١٦٩٤ م ، ١٠٧٨ – ١٦٠٧ هـ) فتمتعت إيران تحت حكمهم بسنوات خلت إلى حد ما من الحروب رغم أن الآثر ال العثمانيين كانوا يظهرون نوبات من العداء ، واجتهد هؤلاء الملوك فى زيادة الرخاء العام للدولة ، بيد أنهم كانوا أحيانا قساة يستعملون الشدة . وقد جاء كثير من الرحالة والتجار والإرساليات التبشيرية من أوروبا إلى إصفهان ، وتركوا لنا تقارير خلابة عن البلاط الملكى ، وعن الحياة فى القرى والمدن ، ولكن زمام الأمور انتقل بيمرور الزمن بيالي أيدى كبار رجال الدين .

وفى أثناء عهد الشاه سلطان حسين من ١٦٩٤ إلى ١٧٢٢ م (١١٠٥ - الله ١١٣٥ م) ثارت قبيلة من القبائل الآفغانية – تسمى غلزاى – فى قندهار، وأحرزت استقلالها، ثم حدت قبيلة وأبادى، (١) حدوها فى هراة، وفى عام ١٧٢٢ م (١١٣٥ ه) قاد محمود بن ميرويس القبائل لفتح كرمان، وتقدم إلى إصفهان، وحينذاك تنازل الشاه حسين عن الملك، وتوجهو بنفسه محمودا ملكا على إيران، ولكن البلاد سرعان ما انقسمت إلى مناطق منفصلة، فسيطر محمود وخليفته وأشرف، على إصفهان وفارس وكرمان (١٧٢٥ – ١٧٣٠ م، ١٧٣٨ – ١١٤٣ ه) واحتلت روسيا القيصرية السواحل الغربية والجنوبية لبحر قروين، وزحف الاتراك العثمانيون على غربي إيران ولم يقفوا حتى عقد وأشرف، – وكان سئيا – اتفاقا وديا معهم.

وقد كتبت رسالات فلسفية كثيرة فىالعصر الصفوى ، كتبها السيد أبوالقاسم

⁽١) يقصه بالفلزاىالأفغان الغلجائبين ، وبأبادى الأفغان الأبداليين (المترجم) .

الفندرسكى ، وشيخ بهائى ، وملاصدرا وتلاميذه العديدون ، ولكن أعمال هؤلاء لم يكن فيها إلا ابتكار قليل ، ونحت فى الغالب نحو إعادة كتابة التفسيرات السابقة ؛ التى كتبها ابن سينا لتعاليم أرسطو . ووجه النفوذ الدينى القوى جميع الأفكار المكتوبة فجعلها تطابق العقيدة المستقيمة ، وفقد التصوف _ فى النهاية _ قوته الموجهة ، وأصبح مكررا عقيها ، فردد عدد من شعراء الصوفية النهاية _ قوته الموجهة ، وأصبح مكررا عقيها ، فردد عدد من شعراء الصوفية اعتقادهم فى أنه ليست هناك قيمة حقيقية للدنيا ، والعمل ، والشجاعة ، والمثارة ، ودعوا إلى الخضوع والنسليم للقضاء والقدر ، والهرب من متاعب الحياة الجدية وكوارثها ، فى دنيا كلها أنانية وخداع .

واقتصرت الإجادة في الشعر والنثر على العناية بالألفاظ دون الموضوع، فأصبحت أهم متعة للكتاب تقع في استعبال الأساليب المزينة المنمقة، و تطورت بذلك الأساليب كثيرا، واشنملت بعض الفنون التي استعملت في الكتابة في هذا العصر، والعصر التاليلة، على التورية والتجنيسات والأسجاع، والطباق، والترصيع، والمربعات — وهي أربعة أبيات أومصاريع تقرأ عرضا وطولا— والموشحات، والحذف — وهو تجنب استعبال بعض الحروف الهجائية — والالغاز التي يحصل فيها على التواريخ العددية لحروف معينة في كلمات بعينها، والشملت الصور البلاغية على الإغراق — وهو الصورة الممتدحة أكثر من غيرها من الصور — والتشبيه، والإبهام.

وكان النشاط المعهارى الدائب علامة بميزة للعصر الصفوى ، ويشتمل العدد الكبير من الأبنية التى شيدت فى ذلك العصر وما زالت فى حالة حسنة على عدد وفير من المزارات الصغيرة الواقعة فى قرى غير ظاهرة ، وتعد تصميمات الابنية ، وطرق البناء ، والمواد المستعملة جميعها تتمة للاعمال التى تمت فى العصور السابقة .

وكانت العلامة المميزة للفن فى ذلك العصر هى اللون والفسيفساء اللامعة المتعددة الألوان ، التى أخذت تكسو الجدران من الداخل والخارج فى الآثار الرئيسية ، وكان الجهد الذى يبذل فى قطع آلاف كثيرة من القطع

الصغيرة اللامعة وتهيئها وجمعها يستغرق سنوات عديدة فى البناء الواجد، وهى تدل — فى النهاية — على أنها وضعت بتمهل، وأنها غالية جدا، لأنها أبطلت، وحل محلها أسلوب كان ذا أثر فعال. وهو المسمى «هفت رنكى» أو « ذو الألوان السبعة ، تنقش فيه التفاصيل الزخر فية بسبع صبغات مختلفة على قر اميد مربعة ، ثم تحرق هذه الألوان بعد ذلك على القراميد فى عملية مستقلة.

وكان استعمال القبة المزدوجة منطابع هذا العصر أيضا ، كما كانت الحجرات المربعة تعلوها قباب داخلية قليلة الارتفاع تقوم عليها قبة عالية أكثر استدارة ، وتملأ المسافة الخالية التي بينها بإطارات متشابكة من الحشب .

ومن السيات الطريفة للعصر بصفة خاصة ؛ إقامة أبنية ذات ألوان زاهية في وسط الحدائق الغناء وفي مقابل الاحراض والآنهار ، كما أقيمت مزارات للأئمة والاولياء في مثل هذه الحدائق ، ويعد قبر محمد المحروق في نيسابور مثالا نموذجيا ، حيث تضم الحديقة نفسها رفات عمر الحيام ، وقد بنيت قصور كثيرة بواسطة الشاه عباس وملوك آخرين من الاسرة الصفوية في الحدائق الملكية . ولا يزال الإنسان يرى في إصفهان القصور المسماة به حجهل ستون ، و د تالار أشرف ، و د هشت بهشت ، بينها لا تزال القصور الاخرى قائمة على طول ساحل بحر قزوين في آمل وأشرف ؛ وكان الملوك يحبون المعيشة في الهواء الطلق ، كما يثبت ذلك التقرير النالى :

وقد احتفل الملك بذلك العيد ثلاثين يوما متواصلة تحت خيام نصبت فى حديقة كبيرة قطرها يزيد على ميلين تخترقها جداول صغيرة من الماء الجارى، وكان كل رجل يأتى يجلس تحت خيمة أو أخرى حسب منزلته، ويقدم له الملحم بكثرة، والفاكهة والشراب، وكانوا يشربون كا يشتهون سواء بإفراط أو باعتدال دون إكراه، وهي أبهة ملكية لم أرها، ولن أراها مرة أخرى إلا بواسطة الملك نفسه،

وقد وصلت صناعة السجاد والمنسوجات فى العصر الصفوى ــــ إلى درجة من الإتقان لا يمكن تصديقها ، وكانت السجاجيد الكبيرة المنسوجة فى المصانع

الملكية ، والمخصصة للقصور والمزارات غالية غلاء خياليا ، وهي في صورتها التي نراها بها الآن — وهي معلقة على حيطان المتاحف — في درجة من الروعة بحيث يصعب على الإنسان أن يصدق أن مثل هذه القطع التي لا تقدر بثمن قد صنعت للمشي الناس عليها ، وكانت المناظر الطبيعية ومناظر الحدائق المزهرة تكون نماذج الزخارف المرسومة عليها ، وكانت أهم المناظر المستعملة هي مناظر الصيد ، ومناظر الحدائق الكاملة كما ترى من أعلى ، ومناظر الشعيلات التي تتألف من وسام في الوسط محاط بحقل من الزهور أو النقوش العربية ، والحيوانات ومناظر الحقول المكونة من صفوف الاصص المملومة بالازهار ، أو المكونة من بيوت من الزهر ومناظر الاشجار المورقة ، وترجع السجاجيد الكبيرة الممتازة التي بقيت محفوظة حتى الآن ، إلى أوائل القرن السادس عشر ، وقد استمرت صناعة السجاجيد في أوجها طوال هذا القرن .

وهناك ثلاث من السجاجيد عظيمة الشهرة هي: سجادة الصيد، وهي أكثر من ٢٧ قدما طولا، و ١١ قدما عرضا، وعليها اسم غياث الدين الجامى، وهي مؤرخة بعام ١٥٢٢م (٩٢٩ه ه) وهي الآن في متحف في ميلان، ثم السجادة الكبيرة جدا ذات الوسام الكبير في وسطها، وثريات المسجد معلقة فيها، وهي التي أمر بصنعها الشاه طهماسب لتوضع في مزار جده الشيخ صني في أردبيل وهي مهورة باسم مقصود الكاشاني في عام ١٥٣٩م (٩٤٦ ه)، ثم السجادة ذات الوسام والنقوش العربية، وهي أكثر من ٢٦ قدما طولا، و١٣ قدما عرضا، وهي منسوجة في الثلث الأول من القرن السادس عشر، وكانت عرضا، وهي منسبح عقد دوق أنهالت (Duke of Anhalt) وقد نسجت في أواخر هذا القرن مجموعة دوق أنهالت (Buke of Anhalt) وقد نسجت في أواخر سجاجيد صغيرة كثيرة، و ثلاث سجاجيد الحزيرية في مصانع كاشان ، بقيت منها هي التي تسمى السجاجيد البولونية (Polonaise Carpets) وهي التي نسجت مكثرة في هذا العصر حسبحاجيد للصلاة اتخذت من الحراب أساس زخرفتها في هذا العصر حسبحاجيد للصلاة اتخذت من الحراب أساس زخرفتها في الوسط.

وقد أنتج النساجون الذين كانوا يشتغلون في إصفهان ويزد ومراكز أخرى أقل أهمية أقشة حريرية مقسمة ، كما أنتجوا الاطلس والمخملات ، والحرائر ذات الحيوط الفضية والذهبية في نماذج الزخرة فقط ، والحرائر التي أرضية الرسم حجيعها فيها من الحيوط المعدنية . وقد بقيت قطع كثيرة من عهد الشاه عباس ، تعد في المرتبة الاولى من حيث المهارة الفنية ، وقد أنشأ زخارفها غياث الدين على اليزدى أكبر النساجين المشهورين ، وكان هو وزملاؤه في يزد متخصصين في اللوحات التي تشتمل على نبات مفرد نضير موضوع داخل إطار منحن ، وكان من الموضوعات الشائعة فكرة الزهور والاصفر والاخضر ، وكان من الاشياء الرائجة كذلك منظر الحديقة الذي والاصفر والاخضر ، وكان من الاشياء الرائجة كذلك منظر الحديقة الذي كان يمثل ح غالبا المشخاصا يحملون إبريقا ، وقدحا من الخر ، وأشجار الصفصاف ، والايكات المزهرة ، والطيور ، والحيوانات ، وبركة ماء . وكانت أغلب هذه الاقشة مخصصة للمناسبات ، لتلبس في القصر الملكي ، ولا زالت بعض هذه الملابس الصفوية باقية إلى الوقت الحاضر .

وقد حشد الشاه عباس في جزء من عمارة المزار الموجود في أردبيل بجموعة كبيرة من الحزف الصيني الآزرق ، والحزف الصيني الآبيض ، وتشبه نماذج الفخار المصنوع في العصر الصفوى النماذج الصينية ، فقد استعملت الآلوان اللطيفة والرسومات المهذبة المعروفة في الشرق الآقصى ، بل لقد تمادى الشاه عباس أكثر من ذلك فأحضر ثلثهائة من صانعي الفخار الصينيين وعائلاتهم إلى إيران لتعليم الصناع المحليين ، فصار الحزف الإيراني ينتج بكيات كبيرة ، ولكنه لم ينافس قط الحزف الصيني الأصلى ، وكان بعض أنواعه يعد تقليدا للأسلوب الصيني ، ولكن أحسن مصنوعاته الإيرانية ذات اللون الرمادى الأخضر لم ترق إلى حد مشابهة أصلها الحقيقي الراثع ، والنموذج الإيراني المثالي لهذه الصناعة في ذلك العصر هو ما يسمى بالفخار القباجي ، ويحمل كثير المناك لمذه الصناعة في ذلك العصر هو ما يسمى بالفخار القباجي ، ويحمل كثير منه شكل إنسان مرسوم بسرعة مع رسومات منقوشة بلون أزرق وأخضر منه شكل إنسان مرسوم بسرعة مع رسومات منقوشة بلون أزرق وأخضر ما على حافة بيضاء مغطاة بطبقة لامعة شفافة .

عصور الافشاريين والزنديين والقاجاريين:

كان نادر قلى رجلا قبليا من الأفشار ، ولد فى مشهد وارتفع شأنه من جمّال إلى رئيس عصابة لقطع الطريق يتخذ مقره فى «قلعت نادرى» المنيعة فى خراسان، وفى عام ١٧٢٦م (١١٣٩ه) اشتغل فى خدمة طهما سب ميرزا ابن الملك الصفوى الشاه حسين ، وفى ١٧٢٩م (١١٤٢ه) هزم الأفغانيين بقيادة أشرف ، على مقربة من إصفهان ، وطردهم من غربي إيران ومن خراسان وهراه ، واسترد نادر _ أيضا _ أرمينية وجورجيا من الاتراك العثمانيين كا اعترفت بذلك معاهدة القسطنطينية المبرمة فى عام ١٧٣٦م (١١٤٩ه) .

وفى عام ١٧٣١ م (١١٤٤ هـ) عزل نادر طهماسب، وحكم كنائب للشاه عباس الثالث ابن طهماسب إلى أن توفى عباس هذا (آخر الصفويين) فى عام ١٧٣٦ م (١١٤٩ هـ)، وحينذاك اعتلى نادر عرش إيران وتلقب بنادر شاه . وصار مؤسسا للدولة الأفشارية .

وقام نادر بحركة سياسية تهدف إلى إزالة الانقسام الواقع فى الجزء الشرقى من العالم الإسلامى ، فأعلن المذهب السنى مذهبا رسميا للبلاد ، ولكن إعلانه هذا ، واضطهاده لزعماء الشيعة لم يؤديا إلى نتائج حاسمة .

وعين نادر أفرادا من أسرته حكاما على أقاليم إيران ، ثم ظن أن مؤامرة دبرت ضده بواسطة ابنه رضا قلى ميرزا ؛ فأمر بسمل عينيه ، غير أن تأنيب ضميره بعد ذلك دفعه إلى القيام بأعمال تدل على الجنون والقسوة ، فكان النظام المفروض على كل من الشعب وجنود جيشه قاسيا جدا . وفى عام ١٧٣٦ م المفروض على كل من الشعب وجنود جيشه قاسيا جدا . وفى عام ١٧٣٦ م سيره إلى الهند حيث دخل دلمى (دهلى) فنهب القصور ، وما بالمدينة من كنوز خيالية كان من بينها عرش الطاووس .

وفى عام ١٧٤٠ م (١١٥٣ هـ) استولى على بخارى وخيوة وجميع إقليم الأوزبكيين ، وقام بمحاولة جدية لبناء أسطول فى الخليج الفارسى ، وفى عام ١٧٤٨ م (١١٥١ هـ) ضم جزيرة البحرين إلى إيران . وفى عام ١٧٤٣ م

(١١٥٦ هـ) سار لفتح العراق؛ فاستولى على الموصل والبصرة ، وكان عصره يمثل عهدا قصيرا من القوة الوطنية والكرامة ، ولكن أهالى البلاد لم يظفروا بأية فائدة من غزواته الخارجية ، وكان جيشه الضخم يعيش بعيدا عن موطنه الأصلى؛ لأنه كان يسير من الغرب إلى الشرق وبالعكس ، وكانت الضرائب الثقيلة تفرض على السكان . وقد قتل نادر بيد واحد من ضباطه فى عام ١٧٤٧ م (١١٦٠ هـ) فى أثناء الثورات التى قامت فى الأقاليم .

وحكم ابن أعمى لنادر — هوشا هرخ — خراسان من عام ١٧٤٨ إلى ١٧٩٦م (١٦٦١ — ١٦٦١ه)، ولكن حدث فى هذه المدة أن ظفر الأفغان باستقلالهم وتمزق غربى إيران بواسطة الحروب الداخلية ، وسقط فى أيدى دولتى الزنديين والقاجاريين ؛ فصار كريم خان رئيس الزند — القبيلة البدوية المتنقلة فى إقليم فارس — سيدا على إصفهان وشيراز وأغلب الجزء الجنوبي من إيران ، ونجح فى صد القاجاريين ، وتلقب بلقب دوكيل ، أو د نائب الملك ، متخفيا بذلك وراء اسم أحد الصفويين الضعاف ، واستمر فى الحدكم من ١٧٥٠ إلى بذلك وراء اسم أحد الصفويين الضعاف ، واستمر فى الحدكم من ١٧٥٠ إلى المقامة فى الحدائق ، والمساجد ، والسوق الطويلة المسقوفة ، ولا تزال المدينة المقامة فى الحدائق ، والمساجد ، والسوق الطويلة المسقوفة ، ولا تزال المدينة تحتفظ بجزء كبير من طبيعتها المعارية التى سادت فى ذلك العصر .

وکان کریم خان رجلا ذا خلق شخصی رائع ، و یبدو أنه ظفر بحب و تقدیر من أفراد شعبه .

أما القاجاريون فقد كانوا إحدى القبائل السبع التي ساعدت الشاه إسماعيل أول ملوك الصفويين ، وقد انخفض شأنها في عهد مادر شاه ، ولكنها ظهرت على المسرح في مازندران بعد وفاته ، وقامت بمجهود عقيم للانتشار في جنوبي إيران ، وقد وجد القاجاريون قائدهم الأعظم في شخص آقا محمد خان ، وكان خصيا ، نجح عن طريق العنف والقتل ، وكان هو نفسه أميرا قاجاريا ، فوحد فروع القبيلة ، وقوى أمره في عام ١٧٧٩م (١١٩٣ه) ، فاستولى على طهران ، وأصبح أول ملوك الدولة القاجارية ، ولو أنه لم يلقب فاستولى على طهران ، وأصبح أول ملوك الدولة القاجارية ، ولو أنه لم يلقب رسميا بملك إيران حتى عام ١٧٩٦م (١٢١١ه) ، وهاجم محمد — في الجنوب —

قوات لطفعلى خامس الزيديين الذين أعقبوا كريم خان، واضطره إلى اللجوء إلى كرمان ثم قبض عليه وعذبه حتى مات، وعاقب أهل كرمان؛ فأمر بسمل أعين ...و من سكانها، ولكنه لم يلبث أن قتل هو نفسه فى عام ١٧٩٧ م (١٢١٢ هـ) وكان قد ظفر بالسيطرة على جميع إيران منضما إليها جورجيا، وكان ابن أخيه وخليفته فتحعلى شاه — الذى حكم من ١٧٩٧ إلى ١٨٣٤ م (١٢١٢ — ١٢٥٠ هـ) — رجلا ذا أخلاق تختلف عنه تماما، وكان عهده فاتحة قرن تمتعت فيه إيران بمزيج من الهدوء والسلام النسبيين، ولكنها قاست فهه انهيارا خلقيا وسياسيا.

وبدأ فى عهد فتحعلى شاه الانصال المباشر بالدول الأوروبية ، فعقدت معاهدة تحالف بين فرنسا وإيران فى عام ١٨٠٧م (١٢٢٢ه)، وتوقع نابليون أن تفتح هذه المعاهدة أمامه طريق الغزو الفرنسى للهند عن طريق البر، فى مقابل أن تمد فرنسا إيران بالآساحة ، وتستقبل بعثة عسكرية لتدريب جيشها ، لتتمكن بذلك من مقاومة روسيا القيصرية التى ضمت جورجيا فى عام ١٨٠٠م (١٢١٦ه)، ومع هذا فقد اتفق نابليون — سريعا — مع روسيا، وانتهت العداوات التى شبت بين روسيا وإيران فى عام ١٨١٣م (١٢٢٩ه) معاهدة كلستان التى اعترفت لروسيا باهتلاك جورجيا .

وفى عام ١٨١٤ م (١٢٣٠ هـ) أمضت إيران معاهدة تحالف دفاعى مع بريطانيا العظمى ، لم تكن ذات قيمة قط لإيران ؛ رغم أنها بقيت سارية المفعول إلى ١٨٥٧ م (١٢٧٤ هـ) .

وفى عام ١٨٢٦م (١٢٤٢ه) تحاربت إيران وروسيا مرة أخرى ، وأتبعت الانتصارات الإيرانية الأولى بسلسلة من الهزائم ؛ بلغت أوجها باستيلاء الروس على تبريز ، ونصت معاهدة تركان جاى – الموقعة فى عام ١٨٢٨م (١٢٤٤ه) – على إعطاء روسيا إقليمي إريوان ونخجوان ؛ اللذين كانا ضمن الأراضي الإيرانية مع تعويض كبير ، كما نصت على حق السفن الروسية فى الرقابة الحربية على بحر قزوين ، ومنح روسيا كثيرا من

الامتيازات ، وأعطى ملحق للمعاهدة ــ عقد بعد ذلك ــ لروسيا حقوقاً اقتصادية وجمركية خاصة .

ومنذ ذلك الوقت إلى القرن البعشرين؛ أصبحت إيران مو زعة بين المصالح المتعارضة لروسيا وبريطانيا العظمى، فكانت روسيا تبنى سياستها على أساس التوسع فى آسيا، وتطمع فى أن تكون لها ميناء فى المياه الدافئة فى الخليج الفارسى، بينها ووجهت بريطانيا العظمى بالحاجة إلى السيطرة على الخليج الفارسى، وجميع الاراضى المجاورة للهند؛ أعظم مستعمرة ظفرت بها.

وحكم محمد شاه حفيد فتحعلى شاه من عام ١٨٣٤ إلى ١٨٤٨ م (١٢٥٠ – ١٢٦٥ ه)، وبذل جهده لتحسين الحالة الداخلية للبلاد، وإلغاء التعذيب، ومنع استيراد العبيد إلى إيران، وقد خطبت روسيا فى أثناء عهده ود آيران حتى تتمكن من تدعيم نفوذها فيما أحرزته من ولايات القوقاز وتركستان.

وقام محمد شاه ـــ تساعده روسيا ــ بمحاولة لإعادة فتح هراه ؛ ولكن هذه المحاولة عورضت بشدة من جانب بريطانيا العظمى ، التى أرسلت ضابطا بريطانيا لتنظيم المقاومة التى انتهت بالنجاح فى هراه .

وفي عهد محمد شاه ؟ حدثت آخر الحركات الدينية المهيبة التي ظهرت في إيران ، وقد بدأ الدعوة إليها ميرزا على محمد ، المولود في شيراز في عام ١٨١٩ م (١٢٢٥ ه) ، وقد أمضى هذا الرجل شبابه في الدراسات الدينية ، فاعتنق _ أولا _ المذهب الشيعى ، ثم تحول إلى تابع لفرع خاص من فروع الصوفية . ولما بلغ سن النضج ؛ رحب بتعاليمه عدد كبير من أنباعه ، الذين لقبوه و « الباب ، أى الباب بين دنيا المادة ودنيا الروح ، وقد ادعى أنه نقطة التجلى الإلهى في هذا العالم . فدعا إلى السلام الدائم ، وتحسين حالة النساء ، وإزالة الفوارق بين الطبقات ، وإلى حياة تقوم على أساس التفسير الروحي لا الحرفي للدين ، ولكن معتقداته تعقدت باعتهاده الغريب على دراسة المعنى الخني للإعداد والأرقام .

وقد قتل الباب بأمر من الحكومة الإيرانية في تبريز في عام ١٨٥٠ م (١٢٦٧ه)، وبعد سنتين تقريبا؛ قتل حوالي ٥٠٠ و ع من أتباعه، وبعد قتل الباب صار ميرزا يحي _ أحد أتباعه الغيورين _ رئيسا للطائفة، وهاجر إلى أدرنة داخل الدولة التركية؛ وهناك حدث الخلاف في هذه الدعوة الجديدة، فانتهى أمر الفرع البابي _ فعلا _ بوفاة ميرزا يحيي في عام ١٩١٢م، واتخذ أخوه لابيه ميرزا حسين _ زعيم الطائفة المنافسة _ لقب دبهاء الله، أو «البهاء الإلهى» في عام ١٨٦٣م، وسلمت بذلك البابية زمام الأمور للبهائية، وسرعان ما مزج بهاء الله ما في العقيدة من عناصر التصوف الإيرانية بأفكار تحررية معينة ؛ كانت رائجة في ذلك الوقت في أوروبا، وصاغ منها دينا عاما دوليا لا يعترف بطقوس خاصة ، ولا بنظام للكهنوت، وجعل مركزه عكا دوليا لا يعترف بطقوس خاصة ، ولا بنظام للكهنوت، وجعل مركزه عكا في فلسطين، وتابع الدعوة لهذه المعتقدات عباس افندي ابن بهاء الله وخليفته، في فلسطين، وتابع الدعوة لهذه المعتقدات عباس افندي ابن بهاء الله وخليفته، فانتشرت الحركة في جميع أنحاء العالم ، وأنشي محفل مهيب للبهائية في ولمت فانتشرت الحركة في جميع أنحاء العالم ، وأنشي محفل مهيب للبهائية في ولمت على الانتهاء في طهران (Willmette) ، في ولاية الملينوي (Illiinois) ، بينها قارب محفل آخر من محافلهم على الانتهاء في طهران (٢٠٠٠).

وقد اعتلى ناصر الدين شاه ابن و محمد شاه ، العرش فى عام ١٨٤٧ م (١٢٦٤) وهو فى السادسة عشرة من عمره ، وامتاز عهده الطويل بالعلاقات الودية مع روسيا ؛ التى تركز نفو ذهاب بإحكام في إيران . وفى عام ١٨٥٦ م (١٢٧٣ هـ) ، تحرك الجيش الإيراني إلى أفغانستان واستولى على هراة ، فطلبت بريطانيا العظمى التى حاربت ملك أفغانستان فى المدة من ١٨٥٩ الى فطلبت بريطانيا العظمى التى حاربت ملك أفغانستان فى المدة من ١٨٥٩ الى المخالم (١٢٥٥ – ١٢٥٧ هـ) سرعة الجلاء عرب هراة ، وأعلن الحاكم الإنجليزى العام فى الهند الحرب على إيران ، وأنزلت القوات البريطانية على رأس الخليج الفارسي ، وعجزت روسياً عن إمداد إيران ، فاضطر ناصر الدين إلى التسليم ، وانسحبت إيران من هراة واعترفت باستقلال أفغانستان ؟ قتضى

⁽١) انتهى بناء هذا المحفل فعلا ، وظل مركزا للبهائية في طهران إلى أن اصطهدتهم الحسكومة الإيرانية أخيرا ، فاستولت عليه ، وجعلته مقرا للحاكم العسكرى (المترجم) .

معاهدة باريس التي أبرمت في عام ١٨٥٧ م (١٢٧٤ هـ) وقد منحت هذه المعاهدة ــأيضاـــ امتيازات أجنبية وحقوقا تجارية خاصة لبريطانيا العظمى

ومنذ ذلك الوقت، اتخذ التنافس بين روسيا وبريطانيا العظمى على المسرح الإيرانى صورة التدخل الاقتصادى ، وتطلب النشاط الصناعى المتزايد ، الذى ظهر فى الغرب ، الحصول على المواد الخام وعلى الاسواق الجديدة لتصريف المنتجات المصنوعة ، فنظر إلى أقاليم بعيدة معينة على أنها بجال للغزو الاقتصادى الذى تطلب بدوره شيئا من التدخل السياسى ، وقد طبقت هذه السياسة فى إيران ؛ فى صورة التنافس فى الحصول على الامتيازات .

فنى عام ١٨٧٧ م (١٢٨٩ ه) حصل ؛ البارون رويتر (Baron Reuier) وهو صاحب مصرف بريطانى على امتياز عجيب من ناصر الدين ، تقع تفصيلاته في أكثر من عشرين مادة ، أعطت بريطانيا الحق فى إنشاء السكك الحديدية ، وطرق المواصلات بالسيارات ، واستغلال الثورة المعدنية والبترول لمدة سبعين سنة ، كما أعطتها الحق فى أن تشرف على الاعمال الجركية لمدة أربع وعشرين سنة .

ولما قام ناصر الدين برحلته الأولى إلى أوروبا فى السنة النالية ، استقبل بفتور شديد فى روسيا ، فألغى الامتياز عقب رجوعه ، ومع هذا ؛ فقد عاد فى سنة ١٨٨٩ م (١٣٠٧ هـ) فاسترضى رويتر بمنحه حق إنشاء المصرف الإمبراطورى لإيران (Imperial Bank of Persia) ، وفي عام ١٨٩٠م(١٣٠٨ه) أعطيت شركة إنجليزية حق احتكار الطباق والدخان ، ولكن الزعماء الدينيين للبلاد قادوا موجة من السخط عليها ، فأعلنوا تحريم استعبال الطباق فى إيران حتى ألغى حق الاحتكار ، كما جدت بريطانيا العظمى أيضا — بعد عام ١٨٦٣م — فى إنشاء خطوط البرق فى جميع الاجزاء الغربية من إيران .

ولم تقف روسيا مكتونة اليدين أمام هذه الاحداث؛ فنى عام ١٨٧٩ م. (١٢٩٧ هـ) وافق ناصر الدين شاه على إنشاء لواء من القوزاق الفرس على النمط الروسى علىأن يدربه، ويقوده ضباط من الروس، وأعدت هذه القوات. سريعا فى طهران. وفى بعض المدن الشهالية الآخرى ، كما فتح مصرف روسى هو مصرف الحصم (Discount Bank) فى طهران فى عام ١٨٩١ م (١٣٠٩ هـ) وهو مؤسسة روسية . وحدث فى عام ١٨٨٨ م (١٣٠٦ هـ) ، أن حصل أحد الرعاة الروس على امتياز يمنحه حقوق الصيد فى بحر قزوين كما نشطت روسيا جدا فى هذه الأوقات أيضا فى الاستيلاء على الاراضى الإيرانية القديمة ، فاستولت جيوشها — فى عام ١٨٦٥ م (١٢٨٢ هـ) — على طشقند وسمر قند وبخارى وخيوه ، فأبرمت إيران فى عام ١٨٨٢ م (١٣٠٠ هـ) — اتفاقية أخال وبخارى وخيوه ، فأبرمت إيران فى عام ١٨٨٢ م (١٣٠٠ هـ) — اتفاقية أخال (Akhal) التى اعترفت فيها بحق استيلاء روسيا على مرو ، تلك المدينة المهمة .

وفتحت السفارة الأمريكية في طهران في عام ١٨٨٢م (١٣٠٠هـ)، وظفرت خمس عشرة دولة أجنبية على الأقل بحقوق وامتيازات أجنبية لرعاياها المقيمين في طهران في المدة التي تقع بين ١٨٥٥ و ١٩٠٠م (١٢٧٢ – ١٣١٨ هـ) وقد بذل ناصر الدين جهده – بقدر المستطاع – لخدمة بلاده ، ولكن الظروف كانت أقوى فعلا من أن تقاوم مقاومة فعالة .

وزار أوروبا مرتين ، فرجع مقتنعا بأن إيران فى حاجة إلى الاقتباس من الفنون والاساليب الاوروبية حتى تستطيع أن تتخذ مكانها فى العالم الحديث ، وسرعان ما أيقن أن الحالة ليست كما اعتقد ، لأن الامتيازات الاجنبية الممنوحة للدول الاجنبية ورعاياها ، جعلت الفائدة التى تعود على إيران قليلة ، وكل ما حدث هو أن امتلات طهران بالاجانب المغامرين الذين أخذوا يتطلعون إلى تكوين ثرواتهم على حساب الفرس السذج ، ولم يكن الشاه أخذوا يتطلعون إلى تكوين ثرواتهم على حساب الفرس السذج ، ولم يكن الشاه أوروبا إساءة شديدة ، و تأثر بالاستعدادات الدائمة للحرب التي تقوم بهاكل دولة ، فكتب بعد أن شاهد عرضا مؤثر الإدارة المطافى البريطانية : و ولكن وجه فكتب بعد أن شاهد عرضا مؤثر الإدارة المطافى البريطانية : و ولكن وجه الغرابة يبدو فى أنهم تحملوا مثل هذا العناء لإنقاذ الناس من الموت ، بينها نرى حالى العكس من ذلك أنهم يعدون في خازن الاسلحة والمصانع الحربية وهكذا الآلات الحديثة الكفيلة بإبادة الجنس البشرى بطريقة أسرع وأعم ، وهكذا

أصبحت الامة التي تستطيع مخترعاتها تدمير الناس تدميراً سريعا مؤكدا تزهو بنفسها وتحصل على أوسمة الشرف . .

وبذل الشاه محاولة جدية لتحسين نظم القضاء والإدارة العامة؛ ولكن مجهوداته لم تكلل بنجاح دائم ، ودخلت الدولة تحت سيطرة رجال الدين المتزايدة ، وقتل ماصر الدين في عام ١٨٩٦ م (١٣١٤) . وحكم ابنه مظفر الدين من عام ١٨٩٦م (١٣١٤ هـ) إلى ١٩٠٧م (١٣٢٥ هـ) ، وكان قد أمضى شبابه في الكسل والبحث عن الملذات ــ عندما كان في تبريز ــ فلما تولى الملك؛ لم يظهر أى مجهود، أو أى اهتمام صادق بمهام الدولة، وتكلفت رحلاته إلى أوروبا مبالغ طَّائلة ، تركت اخزانة خاوية على الدوام ، وأخذ الأمر ا، ورجال البلاط يكدسون الثروات فى وقت لا يستطيع الموظفون العموميون فيه الحصول على مرتباتهم ، وكانت العقارات الكثيرة في أيدى عدد قليل من الملاك ، بينها كان الفلاحون يبيتون على الطوى ، وتهدمت وسائل الرى ، وزحف الجدب على القرى والحقول. وأخيرا؛ أدى احتياج إيران إلى المال إلى أن تطلب قرضا من روسيا ــ فى عام ١٩٠٠ م (١٣١٨ هـ) ــ قدره ٢٢٥٠٠٠ دوبل بفائدة قدرها ه ٪ ، وكان من بين شروط القرض أن يستعمل جزء منه فى تسديد جميع القروض المستحقة للدائنين الأجانب، وألا يكون لإيران الحق في الاقتراض من أية جهة أخرى بدون موافقة روسيا، إلى أن يتم تسديد القرض، وقد ضمنت الجمارك الإيرانية أداء هذا القرض، وفي الوقتُ نفسه؛ تجدد بين إيران وروسيا اتفاق سرى قديم، ينص على عدم إعطاء الاجانب امتيازات بإنشاء السكك الحديدية قبل موافقة روسيا ، وأخذت روسيا تنشى الطرق لسير العربات في الولايات الشمالية من إيران.

ولم يبق من هذا القرض الروسى بعد دفع نفقات زيارة الشاه لأوروبا في عام ١٩٠٠م (١٣١٨ه)، وسداد قرض المصرف الامبراطورى، وتسوية بعض الالتزامات الآخرى إلا مبلغ ٢٠٠٠٠٠٠ روبل فقط، فطلبت إيران — على الفور — قرضا آخر، فبادرت روسيا بتقديم مبلغ ٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠

روبل ، وبادر مظفر الدين بالسفر إلى أوروبا على الفور أيضا . وفى عام ١٩٠١ م (١٣١٩ ه)؛ أبرمت روسيا وإيران اتفاقية جمركية نصت على فرض رسوم جمركية بسيطة على البضائع الواردة من روسيا ، وعلى فرض رسوم جمركية مرتفعة على البضائع الواردة من الدول الأخرى .

وأخيرا صار الجو مهيئا للتغيير ، فأخذت الثورة للظفر بالدستور تظهر قوية مفاجئة ؛ ولكن جذورها فى الحقيقة كانت قد تأصلت فى نفوس فريق متعلم من الشباب الذى اتصلت ثقافتهم بالأفكار التحررية التى سادت فى بلاد الغرب، وعضد التجار وبعض رجال الدين و الأشراف هذه الحركة الدستورية على أمل أن تهيئ لهم مزايا مادية أوسياسية ، وفى يوليه ١٩٠٦م (١٣٢٤ه) تجمع التجار وغيرهم من سكان طهر ان حتى بلغ عددهم عشرة آلاف وقصدوا دار السفارة البريطانية ، ليكونوا فى مأمن من الاعتقال، وترك رجال الدين المدينة ، وشل بذلك النشاط الاقتصادى والاجتماعى فيها ، مما جعل الشاه يعد بالقيام بالاصلاحات ، وتجدد الضغط عليه مرة أخرى ، فأعلن الدستور فى أغسطس ١٩٠٦م (١٣٢٤هم) وتكون أول برلمان سريعا ، فاشتغل بمعالجة فى أغسطس ١٩٠٦م (١٣٢٤هم) وتكون أول برلمان سريعا ، فاشتغل بمعالجة كثير من المشاكل التي عرضت نتيجة لقيام نظام جديد .

وتوفى مظفر الدين فى يناير ١٩٠٧م (١٣٢٤ ه)؛ وتطلع ابنه الطموح محمد على شاه إلى الاستفادة من الخصام بين طبقات النواب ليستعيد سلطته المطلقة ، وكان التجار قد بدأوا يظهرون عدم الاهتمام بوجود البرلمان؛ فامتنعوا عن مده بالاموال اللازمة ، وكان رجال الدين قد انقلبوا عليه بعد أن فشلوا فى السيطرة على الحكومة الجديدة ، وفى هذه الاثناء أعلن نبأ عقد الاتفاقية الإنجليزية الروسية فى عام ١٩٠٧٠

وكانت بريطانيا العظمى تساعد الدستوريين فى المطالبة بوضع حد لمؤامرات الروس ونفوذهم فى البلاط الإيرانى ، وكانت روسيا قد خرجت --حديثا ــ من حرب فاشلة مع اليابان ، كماكانت بريطانيا العظمى تحس بوجود تهديد جديد فى خطة ألمانية تهدف إلى إنشاء خط حديدى يعبر بلاد الشرق الأدنى إلى الخليج الفارسى، فعرضت على روسيا عقد اتفاقية ، تساعد على صد المطامع الألمانية ، وعقدت روسيا وبريطانيا معاهدة فى عام ١٩٠٧ تضمنت نصوصا تنعلق بإيران وأفغانستان والتبت ؛ ففيها يتعلق بإيران ، اتفق الطرفان المتعاقدان على احترام سيادتها واستقلالها ، ثم انتقلا من ذلك إلى تقسيم البلاد إلى منطقتى نفوذ ، والتزمت بريطانيا بأن تمتنع عن التطلع إلى أية منافع عامة أو خاصة فى المنطقة الروسية ، التى كانت تشمل القسم الشمالى كله من البلاد ؛ وتضم تبريز ورشت وطهران ومشهد وإصفهان .

وكانت المنطقة المخصصة للمنافع ألإنجليرية أصغركثيرا، فكانت تشمل الركن الجنوبي الشرقي من إيران، وكان من المقرر أن تكون المنطقة الواقعة بين هاتين المنطقتين على الحياد، ولم تكن هذه المنطقة محددة — في الاتفاقية — تحديدا واضحا، وقد صارت — فعلا — حقلا للنشاط البريطاني، وأصبحت حاجزا على الطريق الموصل إلى الهند.

وكان الشاه _ فى الوقت نفسه _ على استعداد المضرب على أيدى الدستوريين، تشجعه تأكيدات الروس بمساعدته . وفى يونيه من عام ١٩٠٨م (١٣٢٦ه) ضربت فرقة القوزاق الإيرانية _ بقيادة الكولونيل لياكهوف (Liakhoff) مبنى البرلمان بالقنابل وأحدثت وفيات عديدة، ثم أعلن الشاه حل البرلمان، ولكن رد الشعب على هذا العمل كان سريعا حاسما، فاستولى الثوار فى مدينة تبريز على المدينة إلى أن جاءت قوة روسية، ودخلتها و تمكنت _ بعد أعمال عنيفة _ من إخضاع الثوار . و تجمعت قوات ثورية فى رشت و إصفهان وكانت قوة من اصفهان قو امها الثوار . و تجمعت قوات ثورية فى رشت و إصفهان وكانت قوة من اصفهان قو امها الثوار اليرانية خارج المدينة ، ثم دخلت القوات الحرة المدينة فى يوليه القوزاق الإيرانية خارج المدينة ، ثم دخلت القوات الحرة المدينة فى يوليه الى روسيا ؛ وعين البرلمان الذى أعيد من جديد _ ابنه أحمد شاه ملكا على ايران ، وكان فى الحادية عشرة من عمره _ وبقيت القوات الروسية معسكرة ايران ، وكان فى الحادية عشرة من عمره _ وبقيت القوات الروسية معسكرة فى شمالى إيران ، وسرعان ما ثارت المنازعات بين الثوار المنتصرين ، فكان

نجاحهم بطيئا إلى أن عين أمريكى يدعى مورجان شستر (Morgan Shuster) أمينا عاما للشؤون المالية فى إيران ، وجاء مورجان شستر إلى طهران فى عام امرام (١٣٣٠ه) ، ومعه بعض مساعديه ، فقام مباشرة بإعادة تنسيق النظم المالية ؛ فأدى نشاطه وحبه الواضح لمصالح البلاد إلى ظفره بجب الناس .

وقاومت روسيا هذا العمل بشدة ، فقدمت فى نو فمبر ١٩١١ م (١٣٣٠ هـ) إنذاراً لإيران فيه طلبات نهائية منها طرد شستر ، وتقدمت قواتها حتى بلغت قزوين . وقتلت كثيراً من الأحرار فى تبريز وضربت مزار الإمام على الرضا فى مدينة مشهد بالقنابل — كل ذلك — لتعطى إنذارها صورة جدية حاسمة ، وقد رفض البرلمان هذا الإنذار النهائى ، ولكن الحكومة قبلته ، فترك شستر إيران ، وألف كتابه العلمي القيم دخنق إيران ، والكن الحكومة قبلته ، فترك شستر وبعد قيام الحرب العالمية الآولى أعلنت بريطانيا حيادها ، ولكن طهران وبعد قيام الحرب العالمية الآولى أعلنت بريطانيا حيادها ، ولكن طهران عامرات مرتعا للمؤ امرات التي كان الدبلوماسيون الروس والإنجليز والآلمان وعملاؤهم يقومون بها ، وتنافست كل من تركيا وروسيا فى تثبيت نفوذها فى شمال غربي إيران ؛ وتقدمت قوة تركية حتى بلغت منتصف الطريق بين بغداد وطهران ، فلم يلبث أن تصدى الروس لها وقهروها .

وفى عام ١٩١٦م (١٣٣٥ه) جاء الماجور برسى سيكس (١٩١٦م (١٣٣٥) من الهند إلى بندر عباس ، وجند قوة سميت وقوة بنادق جنوبي إيران ، (South Persia Riffles) سيطرت على جميع أجزاء القسم الجنوبي من إيران ، وبلغت قوتها ٥٠٠٠٥ رجل ، كما أخذ عميل ألماني معروف اسمه وواسموس ، ولا القبائل بالقرب من شيراز ، وحاولت إرساليات ألمانية خاصة أن تعبر حدود إيران لنكسب أفغانستان إلى جانبها .

و بعد الحرب، رفض مؤتمر الصلح مطالب إيران، ووجهت في عام ١٩١٩م (١٣٣٨ هـ) بمعاهدة اقترحها الإنجليز عليها ، وعدت بريطانيا في نصوصها _ مرة أخرى _ باحترام إيران واستقلالها، كما وافقت على مدها بالمستشارين والخبراء الحكوميين _ على أن يأخذوا مرتباتهم من الحكومة الإيرانية _ وتزويدها بالخبراء العسكريين والاسلحة والمعدات على حسابها أيضاً ؛ ونصت

المعاهدة على أن تأخذ إيران قرضاً ، وأن تنشىء بريطانيا العظمى الطرق والسكك الحديدية ، وأن تدرس الاتفاقات الجركية من جديد .

وقد هدفت هذه المعاهدة إلى وضع إيران تحت السيطرة البريطانية التامة ، وأظهر الشاه والحكومة استعدادهما لقبولها ؛ ولكن الشعور العام – الذى شجعه احتجاج دبلوماسي أمريكي – بلغ درجة جعلت المعاهدة لا تجاز رغم الضغط الإنجليزي الشديد .

وكانت البلاد جميعها ـــ فى هذا الوقت ــ فى حالة فوضى تقريباً ، وكانت القوات البلشفية مرابضة على الساحل القزوينى على أثم استعداد لبدء الهجوم، ووقع فعلا اشتباك بين القوات السوفييتية وقوة انجليزية .

وَفِحَاْهُ ، أَبرِمت إيران وروسيا السوفييتية في سنة ١٩٢١م (١٣٤٠ هـ)؛ معاهدة صداقة ، تعد مناقضة تماما للسياسة القيصرية نحو إيران ، فأعلنت روسيا أن جميع المعاهدات التي أبرمت بيها وبين إيران فيما مضي ـــ والتي كانت لا تزال سارية المفعول ــ قد أنهيت ، كما ألغت ــ أيضاً ــ جميع الانفاقات التي كانت مبرمة بين روسيا ودولة ثالثة أخرى ، وكانت مضرة بالمصالح الإيرانية ، وأسقطت روسيا جميع الديون غير المدفوعة التي كانت على إيران ، وتنازلت عن جميع. الامتيازات الروسية ، وردت لإيران جميع الممتلكات الروسية الموجودة على الأراضي الإيرانية مثل مصرف الخصم الإيراني ، والخط الحديدي الذي يربط بين جلفاً وتبريز وميناء الزلى (بهلوى الآن) ؛ والطارق ، وخطوط البرق، وألغت المُعَاهدة الامتيازات الاجنبية أيضاً ، ومنحت إيران حقوقا ملاحية في بحر قزوين مساوية للروس تماما ، غير أن جانباً آخر من هذه المعاهدة صور مخاوف الحكومة السوفييتية الجديدة ؛ فقد نص على ألا تسمحكل من الدولتين. بوجود ــ نشاط داخل حدودها ــ لقوات أو تنظمات قد يكون لها خطط معادية للدولة الآخرى ، وأن تصد كل من الدولتين أية قوة ثالثة تهدد أمن الدولة الآخرى وسلامتها ، كما نصت على أنه إذا هددت قوة ثالثة تهديداً مباشراً أو حاولت أن تحولها إلى قاعدة حربية تعمل ضد روسيا، وكانت إيران نفسها غير قادرة على صد هذا الخطر ، فإن لروسيا الحق في أن ترسل قواتها. عبر إيران دفاعاً عن نفسها .

الفصل الثالث

طابع الحضارة الإيرانية

للمدنية الإيرانية صفاتها الخاصة المميزة . فمن بين العوامل التي صاغتها في قالبها وجعلتها قوة مستقرة موقعها الجغرافي وكونها معبرا بريا بين الشرق والغرب ، بما أكسبها مزايا إيجابية لنمو المدنية والحضارة ، بينها جر ذلك عليها في الوقت نفسه المصائب والبلايا . فمن جهة ؛ كانت الهضبة الشاهقة ملتق الرحل والتجار والعلماء ، وملتق التيارات الفكرية والفنية . وظلت إيران على مدى العصور المتعاقبة متصلة اتصالا مثمرا بالمدنيات التي كانت تنهض في أدوارها ، إما في شرقي الهضبة ، وإما في غربيها . ومن جهة أخرى ؛ لبث إقليم الهضبة منذ العصور الخالية المجاز الذي تهوى إليه جماعات المهاجرين إلى الغرب في حشود حاشدة ، كما لبث هدف الغزاة الطامعين في الاسلاب . وطالما اجتاح البلاد حاشدة ، كما لبث هدف الغزاة الطامعين في الاسلاب . وطالما اجتاح البلاد الغزو والفتح ، وأفضي بها إلى خراب لا يرجى له عمار ، غير أن حضارتها كانت تعود — بعد كل نكبة أ للها الإنبثاق .

وقد تحملت إيران أثقال موقعها الجغرافي بما لها من قدرة على المزج والهضم، والقدرة على امتصاص الدم الآجنبي وتطويع العوامل الآجنبية، وكانت هذه القدرة مستمدة من عاملين هما: طبوغرافية الآرض، وحبوية أهل البلاد. فالأقوام التي دخلت إيران في هجرات جرارة، أو كجبوش ظافرة كان أفرادها يخلدون إلى الاستقرار في بيئة تكون خيرا من بلادهم الأصلية في السهول القاحلة الواقعة في الشمال الشرقي أو الوديان المنخفضة في الجنوب الغربي، أو في فيافي الصحراء العربية.

وقد جاوز بحموع الوافدين فى غضون القرون المتوالية عدد سكان الهضبة الاصليين بكثير ، ولكن المدنية الإيرانية المتصتهم جميعا ، فغدوا جزءاً منها ،

ومما ساعد على هذا التحول انحطاط التطور الحضارى للبلاد التى نشأ فيها أولئك الوافدون، وكذلك قوة الاساليب الحضارية الإيرانية وما فيها من جاذبية. وقد يكون أروع مثال لهذا الامتصاص ما جرى للمغول الذين دخلوا الهضبة الإيرانية برابرة يستعذبون القتل والدمار، فصاروا بعد جيلين من المعيشة المستقرة من أشد المعجبين بجميع مظاهر الحياة الإيرانية ومن أقوى دعاتها.

وقد ظلت إيران على الدوام مستعدة لاستقبال واقتباس الأفكار الأجنبية والمؤثرات الخارجية والأساليب الفنية الوافدة، بل إن هذا الميلكان معروفا في العصور السابقة للتاريخ، وقد أبرزه بنوع خاص بهيرودوت عندما كتب عن استعداد الاكمينيين للتطبع بالعادات الاجنبية . وتاريخ الفنون والهندسة الزخرفية ملى بالامثلة على قدرة إيران على هذا التطويع والاقتباس؛ غير أن الملاحظ في مجال التعبير الفني، والتنظيم الاجتماعي والديانة والفلسفة أن المماذج التي تثير الإعجاب لمجردكونها أجنبية جديدة، لم تمكن لتنسخ نسخا ذليلا، بلكانت بدائما بعاد درسها، وتعاد ضياغتها، ثم يعاد التعبير عنها في أسلوب خاص متميز .

وإن تاريخ الحضارة الإيرانية ليكشف عن صفة بارزة فيها ؛ هي صفة الاستمرار والاتصال ، وهي صفة ليست قاصرة بالتأكيد بعلى إيران ، وإنما يلاحظ أن العناصر المعينة الصامدة التي أنتجتها ، والاسلوب الذي تم بواسطته التعبير عن هذه العناصر كلها أمور بميزة ، ألا وهي الفخر بالماضي وبنوع البناء الاجتماعي ، وصفات التعبير الفني ، ونشدان معنى الحياة والقصد منها ، ونظرة الإيرانيين العامة وسلوكهم حيال العالم المحيط بهم .

وقد نتحدث عن فخر إيران بماضيها ، وعن إدراكها المستمر لقيمة تراثها الحضارى ، ولكننا لا نستطيع أن نتحدث عن سكان الهضبة على أنهم «إيرانيون » «إيرانيون » «وطنيون » فإنهم لم ينظروا قط إلى أنفسهم على أنهم «إيرانيون » أو على أنهم أنصار مخلصون لرمز منتفخ مثل: «الوطن » أو «الحاكم المقدس » . ولكن أدنى اقتراب من هذه الحالة الذهنية حدث في صدر العصر الصفوى »

عندما عملت الوحدة الدينية فى مذهب الشيعة ، والوحدة العسكرية فى مقابلة الجيوش الاجنبية ، والوحدة الثقافية فى عصر يعد من عصور النشاط الفكرى، والإخلاص الشخصى لاسرة الصفويين ، على خلق عروة مشتركة تربط بين جميع أنحاء الدولة .

ومن ناحية أخرى ؛ ساد الإيرانيين شعور عميق بالفخر بالماضى المجيد للبلاد فساعد ذلك على تعزيز الشعور بالكرامة كلما تعاقب عصر من عصورهم التاريخية نقصت فيه سطوة الامة ومنزلتها . وقد دبر القدر أمور إيران ، بحيث شهد أقدم عصورها التاريخية ـ وهو عصر الاكمينيين ـ تأسيس أولى امبراطوريات العالم . وقد جاهدت العصور التالية ، ولكنها لم تستطع أن تنفوق على عظمة الماضى .

والأمثلة على هذا التبجيل للماضى ، والسعى إلى النسج على منواله تفوق الحصر ، فإن الحكام البارثيين كانوا يعتقدون فى أنفسهم أنهم الورثة السياسيون للاكمينيين ، كما كانت أسرة الساسانيين تفخر بانتسابها إلى الملوك الاكمينيين .

وجاء الفردوسي فجمع كل ما روى وكتب عن أبجاد إيران الغابرة فنشر بذلك لواء تقديس الأبطال الذي ظهر فيها بعد ، فنذ بضع سنوات ارتدرضا شاه إلى تلك التقاليد الوطنية ليستخرج منها اسما لأسرته الجديدة . وسادت أخيرا عادة التسمى بأسماء الأسرات بين ربوع البلاد فوقع اختيار الناس على كثير من أسماء الملوك القدامي ، وأسماء أبطال الوطن .

وقد شيد صرح إيران الاجتماعي على حكم الملك المطلق الذي يشد أزره الاعيان الإقطاعيون الذين كان يطلق عليهم مند عهد الأكمينيين لقب الولاة، وكانوا يهيمنون على الولايات المترامية، وكانت سلطاتهم - في ذلك العهد وما تلاه - أقرب إلى أن تتصف بصفة التوريث، وبذلك انحصرت طبقتهم في عدد محدود من الاسرات. وكان إخلاص الاعيان الإقطاعيين له خطره على مر العصور؛ فكان الملك في كل عصر يواجه بلزوم الاحتفاظ بتأييدهم على مر العصور؛ فكان الملك في كل عصر يواجه بلزوم الاحتفاظ بتأييدهم عسكريا، وإبقائهم في حال لا تتزايد فيها قوتهم - فوق ما ينبغي - حتى عسكريا، وإبقائهم في حال لا تتزايد فيها قوتهم - فوق ما ينبغي - حتى

لا يصبحوا خطرا عليه . أما حالة العامة ؛ فكانت واحدة ، فى كل العصور فكانوا على ارتباط وثيق بالأرض ، يعيشون عليها ، ويباشرون فلاحتها بنفس الطرق التى عرفوها على تعاقب القرون؛ وكانت حالهم على شىء من اليسر أيام كانت الملكية من الحول بحيث تستطيع أن تهيئ لهم وسائل الرى ، واستنباب الآمن ، ولكن تلك الحال كانت تؤول إلى السوء البالغ أيام كان الضعف السياسي بؤدى إلى الفوضى الاقتصادية ، وكانت آلاف القرى التي يسكنونها متباعدة قاصية عن الطرق الرئيسية ؛ فكانت لذلك ضعيفة التأثر بالغزوات المتنابعة ، وربما كان العزال تلك القرى من أهم عوامل المحافظة على المدنية الإيرانية واستمر ارها ، فني كل عصر ؛ جاء رجال من تلك القرى القاصية فصعدوا مناصب النفوذ والسلطان ، مثال ذلك . أن رضا شاه أعظم الحكام فى العصور الحديثة ، ولد فى قرية صغيرة فى الطرف الشهالى من سلسلة جبال البرز .

وقد ظلت سلطة حكام الولايات ، وملاك الأراضى من الإقطاعيين قوية إلى عهد مناخر ؛ ولاشك أن إخضاع الحكام المحليين للسلطة المركزية كان عاملا هاما فى الانحطاط الاقتصادى الذى أصاب البلاد نظرا لأن جباية الضرائب انتزعت من الولايات ، وصار من اللازم تسليم حصيلتها إلى الشاه ، وصار ما يعود منها على الولايات قليلا قلة تدنو من العدم .

بيد أن الحياة فى ظل الملوك المستبدين لم تزهق قط نزعة الفردية بين الإيرانيين. وقد تبدو الحياة الإنسانية نفسها زهيدة القيمة عندما يكون ألوف الناس، أو مئات الألوف منهم عرضة للفناء فى غزوة واحدة، ومع ذلك؛ فإن اعتزاز الشعب بكر امته لم يندثر قط. ومهما هانت منزلة الإيرانى فإنك قلب تراه ذليلا أو مستسلما للإهانة، ولم يكن المجتمع محصورا فى نطاق محكم من نظام الطبقات والطوائف، ولم يكن هناك حد للمستوى الذى يستطيع أن يسمو إليه الفرد إذا وهب الذكاء والشجاعة والإجتماد.

وكان للتعبير الفي في إيران طابعه الجلى المستمر . وقد ظل الفن الإيراني —على الدوام—زخر فيا غير تشخيصي؛ ولذلك فإن من غير الإنصاف أن ندع

تعلق الغرب بالفن التشخيصي بفضي بنا إلى إساءة الحسم على الفن الزخر في ، فالفن الزخر في — أو الفن البحت — ينطوى على مغزاه الخاص القوى المتمثل في الرموز لا في الصور . وقد كو نت إيران منذ القدم لنفسها بحموعة من الاشكال والطراز ذات المعانى الخالدة ، والقيم الثابتة لدى شعبها ؛ وقد أرست أعمالها الفنية الأولى على جملة من النماذج المتعارف عليها ظلت باقية على مر القرون دون أن يعتريها إلا قليل من التعديل ؛ عندما كانت تعدل وتهذب كلما راج استعبال الطرق الفنية المستحدثة . وقد لبث الفن الإيراني على الدوام متميزا بالدقة والوضوح والطلاقة ، مثال ذلك : أنه في إنتاج الحزف أفضى الحرص على إبراز المهارة الصناعية وحذق الصناعة ، إلى تباين كبير بين الأنواع ، ولكنه لم يؤد قط والزخارف الإيرانية مهما كان امتلاؤها بالألوان ، ومهما كان ما فيها من دقة والزخارف الإيرانية مهما كان امتلاؤها بالألوان ، ومهما كان ما فيها من دقة الرسوم ، تستند على الدوام على نموذج واضح جلى العين ، ولم تنخرط قط في أوروبا ، والنقوش المندية المعهودة في زخارف عصر ما بعد النهضة العلية في أوروبا ، والنقوش المندية المتاخرة .

وتبدو على الفن الإيراني معالم النمو المطرد آلمتسق المعهود في الفن الغربي، ولكنه مع ذلك لم يتقدم إلا بخطى أشد بطئا. ولم تفسده التغييرات المبتسرة في الأسلوب، ولذلك لم تكن هناك فجوة حقيقية بين الفن الإيراني قبل الإسلام، وبينه بعد الإسلام. وكان في تحريم الإسلام لتشخيص الأحياء — وإن لم يتبع ذلك التحريم في كل الأحوال — ما يناسب ذلك الميل الطبيعي إلى الفن الزخرفي، وعادت إلى الظهور الأسس الفنية المتكررة منذ العصور الأولى حتى العصر الإسلامي — وهي التي تشاهد في هندسة واجهات القصور والمعابد الساسانية وأساساتها وكذلك في المساجد — وظلت أشكال الإنشاء وطرقه على حالها لم تتغير، أو لم تكد تتغير، لأن بنائي الإيرانيين لم تستهوهم — إلا نادرا حالك العناصر الحديثة غير المألوفة، التي لم تجرب التجربة الكافية.

وكان الإيرانيون على الدوام شديدى الاهتمام بمعربة الغرض من الحياة

والقصد منها وكان مثلهم الأعلى الثابت — بصفة عامة للغاية — السلوك الإنسانى طبقا لمبدأ (التفكير الخير والقول الخير والعمل الخير).

وقد وضعت الزردشتية — وهي من أولى ديانات العالم الفلسفية المتكاملة — نموذج التفكير الديني في الأزمنة اللاحقة ، فدعت إلى الفضيلة العملية التي تهيب بكل فرد أن يجاهد — من أجل الحقيقة — ضد قوى الظلم والكذب . ودانت المانوية بمبدأ القوى المتعارضة كقوى الخير والشر والنور والظلام ، ولكنها جمعت بعض مسائل الزردشتية والمسيحية ، والبوذية واليهودية ، وظلت توحد بينها حتى بلغت نهايتها في الاعتقاد بأن الإنسان يجب أن يخلص روحه بالاعراض المطلق عن الشهوات الجسدية .

وأما المزدكية؛ فإنها مع اعتناق مذهب النزاع بين النور والظلام أمعنت إلى ما هو أبعد من المانوية فى تعريف الحير الكامل فرأت أنه للقضاء على شرور الحقد والخصام والحرب يجب التخلص من أسبابها الطبيعية، وهى اشتهاء النساء، وابتغاء الثراء، وعلى هذا يجب أن تكون النساء والثراء مشاعا فى مجتمع لا طبقات فيه يضم أفرادا متساوين.

ولم تستطع الضربة القاصمة التي أنزلها بإيران غزو العرب أن تحول هذا الاتجاه الفكرى، لأن الإيرانيين صدوا لقوة العرب المادية، ولسيطرة الإسلام القاهرة بفضل قوة تقاليدهم ذاتها. واستطاعت إيران بإقبالها على التشيع وجعله مذهبا إسلاميا، وعلى التصوف باعتباره من المقاصد الروحية به الاحتفاظ بمذاهبها الفكرية في حدود الإسلام، فإن فكرة الشيعة عن (المهدى) التي تقول بأن الحفيد الثاني عشر من سلالة على سوف يظهر في نهاية العالم ليقضى على الشر، وينصر الخير النصر الأخير، جعلت الإيرانيين يحيدون عن العقيدة الإصلية التي تعد محمداً خاتم الانبيا. وأعظمهم، بل وأحيت فيهم روح أساطيرهم القديمة التي تقول بعودة البطل عودة مظفرة بعدما يظن أنه قد مات، ويعتقد الإيرانيون أن عليا (التهر من إحدى بعدما يظن أنه قد مات، ويعتقد الإيرانيون أن عليا (التهر من إحدى

⁽١) المراجع : الحسين بن على هو الذي تزوج من أميرة ساسانية .

الأميرات الساسانيات. ويجل الإيرانيون خلفاءه الآئمة الاثنى عشر إجلالا عظيما ، ويعتقدون أن هؤلاء الآئمة — الذين يمثلون قوى الخير والنور — قد جاهدوا الشيطان الذي تمثل لهم في صورة (أهرمن) إله الشرقبل الإسلام .

وهناك رأى له وجاهته يقول بأن الفلسفة العربية هي في الواقع فلسفة إيرانية ، تكاد تكون معادية للعرب حيبا تتناقض مع التقاليد الإسلامية ، والأغلبية العظمي من فلاسفة العرب المبرزين منأصل إيراني أوكانوا تلاميذ لاساتذة من الإيرانيين ، وقدكان الاشتباه في نسبتهم إلى العرب ناشئا من أن كثيرا من الإيرانيين الثقاة في هذا المحيط كانوا يحررون بالعربية ، وقد بدأ النشاط الفلسني بدراسة فلسفة الإغريق وترجمة مؤلفاتهم وشرحها ، واستمر ذلك النشاط بمحاولة التوفيق بين الفكر الإغريق ، والمبادئ الإسلامية ، ثم أفضى الأمر به إلى ولوج الميادين الإيرانية والشرقية أصلا كالتصوف والفلسفة الإشراقية ، والفلسفة الأخلاقية .

وبلغ التصوف الإسلامى غاية الازدهار فى إيران ، ويبدو أن الإيرانيين امتازوا بميل طبيعى إلى الاستلهام الروحى — ويقول المراقبون المختصون بأحوال إيران الحديثة إن جميع الفرس نساك بقلوبهم — وقد قوى ذلك الميل بفضل قرائحهم الذكية ، ولكن معتقدات الصوفية التى راجت فى إيران سلكت هذه الطريقة فى سلك المذاهب الإسلامية الملحدة ، حتى جاء الغزالى فأدخل التصوف فى أحضان العقيدة الإسلامية الاصلية ، وحوله من مذهب إلى نظام سلوكى فى الحياة ، وهو سلوك عقيدة للتواضع فى الإيمان ، والحب المتناهى ، والاخلاق الفاضلة ، وقد أصبحت كتابات الغزالى من مصادر الإلهام للأجيال والاخلاق الفاضلة ، وقد أصبحت كتابات الغزالى من مصادر الإلهام للأجيال النالية بالرغم من أن مبادئه فقدت بعض بهائها وصفاتها بطريق النقل ، ولذلك فإن تصوف الخيام تغطيه طبقة من الإيمان بالقضاء والقدر والاستسلام فإن تصوف الخيام حافظ بصفة من الإيمان بالقضاء والقدر والاستسلام والشك ، كما تمتاز آثار حافظ بصفة من دوجة من التصوف ومن اللذة الدنيوية، وسرح الاخلاق العملية بالأمثلة والقصص .

وقد بلغ الغزالى ــ وورثة فلسفته المباشرون ــ مستوى عالياً فى الفكر التأملى ، لم يدركه أحد قط فى العصور المتأخرة حينها اعترضت مجرى الحياة غزوات المغول وتيمور والأفغان، وقد أعقب هؤلاء عدد من شعراء الصوفية يعدون أساتذة فى هذا الفن ، وهم يظفرون بحب وتقدير عظيمين فى إيران ، فانعكست فى آثارهم صور من الحالة فى عصرهم ، فتحدثوا عن الحاجة إلى القيم الصحيحة التى تبقى وتنفع فى الآخرة ، وتتمثل فى صفات ، كالشجاعة والمثابرة والمواظبة فأشاروا إلى ضرورة الخضوع إلى القضاء والقدر ، وإلى الرضا بالهروب من الحقيقة القاسية ، إلى عالم الأحلام والرؤى . وبينوا أن حرص بالهروب من الحقيقة القاسية ، إلى عالم الأحلام والرؤى . وبينوا أن حرص الرفيع ، للكال الخلق والروحى ، الذى هو هدف الحياة ، وصارت هذه الرفيع ، للكال الخلق والروحى ، الذى هو هدف الحياة ، وصارت هذه التعاليم و تلك البرعات جزءا من حياة الآجيال الإيرانية المتعاقبة له أثره الشامل حتى الوقت الحاضر .

وينبغى أن تقرر إيران الحديثة ما إذا كانت تستطيع أن تعيش كأمة فى دنيا تعطى أهمية كبيرة للنواحى المادية ، وهى لا تزال تحتفظ بهذه النظرة . وهى الآن جزء غير منفصل من هذه الدنيا الكبيرة ؛ ويتطلب بقاؤها القومى اختيار النظم والمشروعات والأوضاع المتبعة فى أكثر الأمم نجاحا فيجب أن يتحور الحلق الإيرانى ، وهو الآن — آخذ فى التحور — وقد أخذ الفكر التأملى على مكانه للعقل والمنطق ؛ وأخذت الكفاية ، وعدم الإبطاء ، والحث على العمل تسود ميادين العمل والتجارة ، وقد كان الإيرانيون يمتازون — دائما — يتجهون نحو التعاون الجماعى ، والمسئولية المفردية ، ولكنهم الآن — يتجهون نحو التعاون الجماعى ، والمسئولية المقوات الحربية الطاغية ، والقوة الاقتصادية ، والمهارة الصناعية الأولى ، وهى القوات الحربية الطاغية ، والقوة الاقتصادية ، والمهارة الصناعية للعالم الغربى القوات الحربية الطاغية ، والقوة الاقتصادية ، والمهارة الصناعية العالم الغربى القوات المربع لشئون الحياة ، والمهارسة الرفيعة لها يجب أن يقوما على يوع جديد من أنواع التعليم ، يعتمد على أساس مدعم من المدنية الصناعية الفنية ، في عديد من أنواع التعليم ، يعتمد على أساس مدعم من المدنية الصناعية الفنية ، في أن يحفظ فى الوقت نفسه بالعناصر الاساسية لتقاليد الحضارة الإيرانية .

إيران|لحديثة

القصلاالرابع

العصرالبهلوى

فى يوم ٢١ فبراير ١٩٢١ — وقبل خمسة أيام بالضبط من إمضاء معاهدة الصداقة الإيرانية السوفييتية فى موسكو — أطيح بالحكومة الضعيفة المترنحة فى طهران بفضل اتحاد نوعين من الضغط : ضغط سياسى فى داخل العاصمة ، وضغط عسكرى بو اسطة القوات التى زحفت على المدينة من قزوين ، وكان قائد هذه القوات الكولونيل رضا خان .

وقد ولدرضا خان في ١٦ مارس ١٨٧٨ في دسو ادكوه ، في إقليم مازندران الواقع على بحر قزوين ، وكان والده وجده ضابطين في الجيش الفارسي القديم ، والتحق في شبابه بفرقة القوزاق الإيرانية ، واستطاع أن يصل إلى رتبة القيادة بكفاءته الحاصة ، وقوة شخصيته ، وكان ذا قامة فارعة ووجه فيه قوة وخشونة ، كما كان إداريا صارما ، ولم يكن ذا ثقافة تعليمية ، وكانت تجاربه — في غير المسائل العسكرية — محدودة ، ولكنه كان رجلا ذا آمال وأهداف محددة .

وقد رأس الوزارة بعد احتلال طهران السيد ضياء الدين طباطبائى ابن أحد الزعماء الدينيين مدة مائة يوم ، وكان صحفيا مكافحا لحاول فرض إجراءات خاصة وإصلاحات معينة ، ولكنه اصطدم برضا خان الذي كان في ذلك الوقت قائدا عاما للقوات المسلحة ، ووزيرا للحربية وأجبر على الاستقالة من الوزارة وترك إيران ، وظل رضا خان نفسه وزيرا للحربية فى عدة وزارات متتالية إلى عام ١٩٧٣ ، ثم أصبح رئيسا للوزارة، وبعد ذلك بأشهر قليلة ترك أحمد شاه آخر ملك فى الدولة القاجارية إيران على ألا يعود إليها أبدا .

وفى عام ١٩٢٥ ، اختارت جمعية تأسيسية خاصة رضا خان ملكا على إيران ، كأول ملك للدولة البهلوية ، ثم توج فى ربيع عام ١٩٢٦ ، وقد فطن رضا شاه أكثر من غيره من مواطنيه إلى الفرق الشاسع ما بين ماضى إيران المجيد ، وحاضرها المنهار ، فصمم على أن يوقظها من سباتها ، ويغذى فيها الشعور بالاتحاد والعزة القومية ، وكان على إيران أن تطرح كل تدخل ونفوذ أجنبيين وأن تظفر باستقلال كامل ، وباحترام من الشعوب الآخرى كما كان عليها أن تتحول إلى بلاد صناعية ، وأن تصلح نظمها الاجتماعية والاقتصادية ، وفقا للنظم الغربية ، وأن تتبع برنامجا يشبه فى تفاصيله وتنفيذه البرنامج المتبع فى جارتها تركيا ، وقد استطاعت أن تحرز تقدما ملحوظا فى تنفيذ هذا البرنامج فى خلال السنوات القليلة التى أعقبت تولى رضا شاه الحكم .

أما فى ميدان الشئون الحارجية ؛ فقد أنهى رضا شاه نظام الامتيازات الاجنبية ، وحاول أن يؤكد سيادة البلاد وأن يضع حدا للاقتراض من الدول الاجنبية ، فاختنى الندخل البريطانى في شئون إيران الداخلية ، وسلب رضاشاه من المصرف الامبراطورى الذى تملك بريطانيا حق إصدار العملة الإيرانية ، وألغى الاتفاق المعقود مع شركة البترول الانجليزية الإيرانية ، واستبدله باتفاق آخر أكثر نفعا لإيران .

وقضى رضا شاه على كل مظاهر الشيوعية فى إيران ، ولكنه تحقق من ضرورة إقامة علاقات تجارية واقتصادية وثيقة مع روسيا السوفييتية ، فأبر مت خسة مواثيق بين روسيا وإيران فى عام ١٩٢٧ ، كما أبر مت بضعة مواثيق أخرى فى عام ١٩٣٥ ؛ تتعلق بحقوق صيد السمك فى بحر قزوين ، وبإعادة بعض المنشآت على ميناء بهلوى (على بحر قزوين) إلى إيران . كما تتعلق بالعلاقات التجارية ، والرسوم الجمركية ، والضمانات الخاصة بالحياد والأمن المتبادلين .

وأنشأ رضا شاه جيشا ضخها منوداً بالاسلحة الحديثة ، وسرعان ما أخضع كل ركن من أركان إيران تحت سيطرة الحكومة المركزية العليا ، وضحى بالنظام الاجتماعى العتيق في سبيل إدخال أسلوب تقدى جديد ، ففقد الاشراف قوتهم واعتبارهم ، كما ألغى استعمال الالقاب ، وفقد التجار حريتهم

فى تنفيذ مشروعاتهم التجارية، وأصبحوا يخضعون لنظم الحكومة فى الاحتكار والسيطرة على الصناعة والتجارة فى الداخل والخارج، ورأى أن نفوذ رجال الدين المسلمين، وتوجيههم لكثير من مظاهر الحياة العامة يؤثر على مركزه كا لم جديد، فخطا خطوات كثيرة لنحطيم قوتهم ونفوذهم، ففقدت وظيفة رجل الدين هيبتها وسيطرتها على أموال الاوقاف الطائلة، واستبدل القانون الديني بالقوانين المدنية والجنائية، وصارالزى الديني لا يلبس إلا بتصريح خاص، وأنشئت المكاتب لتسجيل الزواج والطلاق المدنيين، وتحسن مركز المرأة وسمح للأجانب من غير المسلمين بزيارة المساجد الفخمة فى البلاد وألغيت الاحتفالات الدينية، والتعزية فى مصارع الأثمة، ومنع الدراويش من الظهور فى المدن، واستبدلت المدارس الدينية بالمدارس المدنية، ولم يكن هدفه من هذا فى المدن، واستبدلت المدارس الدينية بالمدارس المدنية، ولم يكن هدفه من هذا بناء نظامها الاجتماعى، بل كان القضاء على المظاهر المكاذبة التي لا تتناسب مع إيران بعد أن أعيد بعثها.

وقد استخدم المتخصصون من الآجانب لتنفيلذ برنامج التصنيع والإصلاح المالى والإدارى ، غير أنهم كانوا — بعد عام ١٩٣٠ — لا يعطون مناصب ذات نفوذ ، فاكتنى باستعمالهم كفنيين ومهندسين ، لأن رضا شاه أظهر نفورا شديدا من الدول الآجنبية وقد تولد فيه هذا الشعور بسبب وطنيته المفرطة وبسبب نفوره من كل نقد يوجهه إليه الآجانب، وغذاه أيضا ضغط الآزمة الاقتصادية العالمية الشاملة على إيران .

وقد ووجه رضاشاه بالآزمة الاقتصادية وبنقص فى العملات الاجنبية ، فاضطرت حكومته إلى السيطرة على الاقتصاد والتجارة ، وأسست شركات احتكارية لتنفيذ مشروعات الاستيراد والتصدير ، كانت الحكومة تمتلك جميع أسهمها أو أكثرها ، وكانت أثمان البضائع المستوردة تحدد بأسعار تزيد على أسعارها العادية فى أنحاء العالم ، فحققت الحكومة بذلك أرباحا طائلة ، وعقدت التفاقيات المقايضة والتبادل التجارى بين إيران وكل من ألمانيا وروسيا السوفييتية .

وكانت الأرباح الىاتجة عن الاحتكار والدخل النانج من الضرائب العادية والضرائب الاستثنائية تمول الاعتبادات الخاصة بإنشاء الصناعات التي تمتلكها الدولة ، فحدث تقدم كبير في إنشاء المصانع ، وتيسير النقل بفضل إنشاء السكك الحديدية عبر إيران ، وتعبيد آلاف الأميال من الطرق الجديدة ، واستيراد السيارات لنقل المسافرين والبضائع ، ولكن الزراعة وطرق الرى أهملت من السيارات لنقل المسافرين والبضائع ، ولكن الزراع لم يستفيدوا كثيرا من الصناعات الجديدة ، فشعروا بهبوط ملحوظ في مستوى معيشتهم .

وبما يؤسف له ، أن تكريس رضا شاه نفسه لحدمة إيران وتقدمها قد عاقته لذته المتزايدة فى جمع ثروة شخصية هائلة ، وعدم رغبته فى التنازل عن شى. من السلطة ، فأصبحت فى يده مبالغ طائلة من المال ، واستولى على كثير من القرى ، وامتلك كثيرا من الاراضى الزراعية والغايات .

أما فى الناحية الإدارية فقد استعان بقوته الشخصية الصارمة ، وببرلمان فقد روح الاستقلال ومقوماته الاساسية ، فكان ينفذ كل اقتراح تقدمه الحكومة .

وقد استعمل الجيش ـ تنفيذا لأوامره ـ كل الوسائل العنيفة لإخماد روح التمرد بين القبائل البدوية. وتجنب الموظفون الحكوميون تحمل المسئولية، فكانت تقاريرهم عن الحالة الداخلية تصور حالة الرصا، والشعور بالتفاؤل لإرضائه ، كما تشير إلى الصلات الطيبة بين إيران والدول الاجنبية. وكان المخطئون يعاقبون عقابا قاسيا، كما يعاقب أعداء الملك الشخصيين.

وانعدمت حرية الكلام والصحافة ، وأنشأت الدولة إدارة خاصة لتوجيه الرأى العام ، ولم تتح أية فرصة لإظهار المصلحين والزعماء الوطنيين من بين أفراد الجيل المتعلم الناهض . وصفوة القول أنه وجدت حالة إضعاف للأساس الخلق ،كما وجد جو شامل من الضعف والإذعان .

ولما قامت الحرب العالمية الثانية أعلنت إيران حيادها، وحاولت أن تقيم علاقات عادية معجميع القوى المتصارعة، وكانت الواردات من الآلات ومواد

البناء، والمواد اللازمة للصناعة تعد حيوية بالنسبة للبرنامج الصناعى ، وللحياة الاقتصادية فى البلاد ، فكانت الظروف تحتم الاعتماد على الصلات الطببة التى تربط بين إيران وألمانيا فى الحصول على هذه الأشياء ، لأن ألمانيا كانت — حتى عام ١٩٣٨ — قد ظفرت بالمكان الأول فى تجارة إيران الخارجية ، ويسرت هذه التجارة بواسطة نظام المقايضة ، وبعض ترتيبات الدفع الخاصة ، هذا فضلا عن أن رضاشاه كان قد رسخ فى نفسه نفور شديد من الشيوعية وخوف من إمكان انتشار مبادئها فى إيران .

ثم حدث أن أعلنت ألمانيا الحرب على روسيا في يونيه من عام ١٩٤١؟ مما أدى إلى إبجاد تحالف جديد بين روسيا وبريطانيا العظمى ، وسرعان ما أدركت الدولتان أهمية إيران من الناحية الاستراتيجية ، لأن أى هجوم ألمانى عن طريق القوقاز إلى داخل البلاد كان معناه تهديد مؤخرة الروس ، كما أن إيران كانت مهمة كطريق آمن لإمداد روسيا .

وكانت القوات البحرية البريطانية تعتمد على محصول حقول البترول القرية من رأس الخليج الفارسي ، كماكانت ألمانيا تعرف - تماما - أهمية إيران ، فأبقت عملاءها في البلاد ، وكانوا نشيطين دائما . وقد أثار نشاطهم شعور بريطانيا وروسيا بضرورة اتخاذ خطوات سريعة لوضع حد لهذه الحالة التي كانت تعنافي مع حياد إيران ، ولم يذعن رضاشاه للاحتجاجات ، ويبدو أنه لم يعتقد كثيراً في جديتها ، أو أنه اعتقد أن الحلفاء لن يقدموا على اتخاذ عمل جدى مباشر بشانها ، هذا من ناحية ، كما أن الحلفاء - من ناحية أخرى - كانوا قد اقتنعوا باستحالة التعاون مع شخصية قوية مثل رضا شاه .

وفى ٢٦ أغسطس من عام ١٩٤١؛ هاجمت القوات الروسية إيران من السيال الغربى، ودخلت القوات البريطانية إيران من ناحية الحدود العراقية، كما أنزلت قوات على رأس الخليح الفارسى، وقامت السفن البريطانية بهجوم مباشر على القوات البحرية الإيرانية فى خرمشهر، فأغرقت جميع السفن الإيرانية، وأحدثت خسائر فادحة فى الأرواح، وأبدى الجيش الإيرانية

مقاومة واهية انتهت بعد ثلاثة أيام ، وفكر رضا شاه فى خير وسيلة لإنقاذ بلاده والاسرة البهلوية فتنازل عن العرش ، وأخذ تحت حراسة بريطانية ، فحمل أولا إلى جزيرة موريتيوس (Mauritius) ثم نقل إلى جنوبي أفريقية حيث توفى فى عام ١٩٤٤ .

وقد نشر سيل من المقالات وعديد من الكتب عن عصر رضا شاه منذ تنازله فى عام ١٩٤١ ، والواقع أن الاجانب يجب أن يبنوا حكمهم النهائى عليه ؛ على أساس ما فى هذه المصادر من مادة . ومهما يكن من شىء فإن من الواضح تماما أنه أحد الشخصيات المهمة فى تاريخ إيران ، وأنه قد استطاع بمفرده أن يضع إيران جنبا إلى جنب مع دول العالم الحديثة المتحضرة .

وقد خلف محمد رضا أباه على عرش إيران ، وأسندت الوزارة إلى فروغى ... وكان فيلسوفا ومؤلفا ورجلا سياسيا ذا مكانة محترمة ... فوضع نصب عينيه أن يبرم معاهدة ودية مع الحلفاء تؤيد متابعة الحرب ضد ألمانيا .

وقد أمضيت معاهدة التحالف الثلاثية بين إيران وبريطانيا العظمى ، وروسيا السوفييتية فى ٢٩ يناير من عام ١٩٤٢ . وتعهدت بريطانيا وروسيا فى أول مادة من هذه المعاهدة باحترام سيادة إيران واستقلالها السياسى والمحافظة على حدودها ، كما وافقت الحليفتان على بذل المحاولات اللازمة لتأمين الكيان الاقتصادى للشعب الإيراني لحفظه من الفاقة والصعوبات التى تكون نتيجة للحرب . وعينت المواد الآخرى النسهيلات التي يجب منحها للحليفتين فى أثناء حربهما صد المانيا ، وأكدت المعاهدة أن وجود القوات المتحالفة فى أثناء حربهما صد المانيا ، وأكدت المعاهدة أن وجود القوات المتحالفة تنسحب من الأراضى الإيرانية لا يعنى احتلالا عسكريا ، وأن هذه القوات يجب أن الحرب بين قوات الحلفاء وبين ألمانيا وحليفاتها .

وفى أوائل عام ١٩٤٧، بدأت الإمدادات المقررة لروسيا تصل إلى رأس الخليج الفارسي، وتدخل بو اسطة الخطوط الحديدية الإيرانية، وطرق السيارات المؤدية إلى الشمالكما وصلت أولى القوات الأمريكية إلى إيران في ديسمبر١٩٤٧،

وهى قوات عرفت باسم دقيادة الخليج الفارسى، (Persian Gulf Command) وبلغ عددها _ فى النهاية _ . . . و و و استغل الأمريكيون الخط الحديدى الممتد من الخليج الفارسى إلى طهر ان ، وكذلك قوافل السيارات التى تنتقل من الخليج إلى شمالى إيران حيث كانت الإمدادات تسلم للروس ، فحمل خط النقل بالسيارات . . . و . . و عن من مواد الحرب ، بينها نقل الخط الحديدى . . . و . . و و عن من الإمدادات سلمت جميعها لروسيا السوفييتية وإيران ، وقد استطاع الحلفاء بفضل تعاونهم وكفايتهم أن ينقلوا خسة ملايين طن من مواد الحرب عبر إيران ، ويسلموها للجيش الروسى .

ولم يكد يحل ربيع ١٩٤٢، حتى كان.. اله لاقات الدبلوماسية قد قطعت مع ألمانيا وإيطاليا واليابان، وأخرجت جالياتها من إيران، وفي ٩ سبتمبر ١٩٤٣ اعلنت إيران الحرب على ألمانيا كما أعلنت تمسكها بميثاق هيئة الامم المتحدة.

وفى آخرنو فبر ١٩٤٣؛ جاء روز فلت وتشرشل وستالين إلى إيران لحضور مؤتمر طهران، وكان ميثاق طهران ذا أهمية حيوية بالنسبة للإيرانيين، فقد اعترف الزعماء المتحالفون فيه بالمساعدة التي قدمتها إيران في الحرب، ووافقوا على مواصلة تقديم المساعدة الافتصادية لإيران، وقرروا أن المشاكل الاقتصادية التي سوف تواجه إيران بعد الحرب ينبغي أن تعطى عناية بواسطة المؤتمرات الدولية أو ممثلي الدول، كما عبروا عن رغبتهم في رعاية استقلال إيران وسيادتها، وسلامة حدودها.

وكان صغط الحرب شديدا على إيران ، فكان الطعام قليلا ، والبضائع — من كل نوع نادرة ؛ وساعد التضخم المالى على ارتفاع الاسعار ، وكانت المقادير الكبيرة من العملة الصادرة لمواجهة نفقات القوات المتحالفة داخل البلاد تعمل عملها فى ارتفاع الاسعار وازدياد النضخم المالى ، وكانت الوزارات المتتالية قصيرة الاجل ، تهتم بالضروريات اليومية فلا تستطيع أن تقدر المشاكل الجوهرية الناشئة من التغير السريع من حكم رضا شاه الارستقراطى الى حكم ديموقراطى ، وقد فشل رضا شاه فى تكوين حزب يمثل الاغلبية

فى داخل البرلمان ، كما فشل أعضاء البرلمان المنتخبون فى ١٩٤٣ فى إعطاء ثقتهم وتأييدهم للحكومات المتتالية ، نظرا لقلة التعاون ، وانعدام الهدف بينهم ، وكان رؤساء الوزارات يتلو بعضهم بعضا فى فترات متقاربة ، وكانت الحكومات المتتابعة تهتم برعاية مصالح الشعوب الاجنبية ، وبأن تكون محافظة جدا ، أو متعلرفة جدا .

وفى ١٩٤٤؛ قدمت شركات البترول الأمريكية والإنجليزية عروضا لآخذ امتيازات فى جنوب شرقى إيران ، كما طلبت روسيا السو فييتية — فى أكتوبر من نفس العام — امتيازا لاستغلال البترول فى شمالى البلاد ، وكان جواب البرلمان أنه صدق على مشروع قانون — فى ديسمبر ١٩٤٤ — يمنع أى موظف رسمى إيراني من عقد أى اتفاق مع أية دولة أجنبية أو شركة يتعلق بأى امتياز . وقرر الزعماء الإيرانيون أن المشروعات الحيوية بالنسبة للشعب يجب ألا تتم وقرر الزعماء الإيرانيون أن المشروعات الحيوية بالنسبة للشعب يجب ألا تتم الا بعد انتهاء الحرب ، وفى أكتوبر ١٩٤٥ وافق البرلمان على قرار بتأجيل الانتخابات للدورة البرلمانية القادمة لمدة ستة أشهر بعد جلاء القوات الاجنبية جميعها عن البلاد .

وكانت الآحراب السياسة الجديدة ذات أسماء رنانة ، وكان حرب ، توده ، (الكتلة الشعبية) المتطرف — في إقليم آذربيجان ، قد أبدل اسمه باسم ، الحرب الديمقراطي الآذربيجاني ، وكانت جماعة هذا الحرب — الذي تحتل القوات السوفييتية ميدان نشاطه — تتهم الحكومة المركزية بشدة ، وتهاجم حاميات الجيش الإيراني ومراكز الشرطة في كل مكان في الأقليم ، مما جعل المنطقة في فوضي شاملة واضحة ، وفي نوفير ١٩٤٥ ؛ أرسلت الإمدادات الحكومية من طهران ، ولكنها لم تتقدم إلى أبعد من شريف آباد — إلى الغرب من طهران ، ولكنها لم تتقدم إلى أبعد من شريف آباد — إلى الغرب من طهران — حيث أوقفتها القوات السوفييتية المعسكرة هناك . وفي ديسمبر أعلن الحرب الديمقراطي الآذربيجاني تأسيس دولة مستقلة في آذربيجان ، وفي يناير ١٩٤٦ ؛ أخطرت الحكومة الإيرانية بجلس الأمن التابع لميئة الأمم وفي يناير ١٩٤٦ ؛ أخطرت الحكومة الإيرانية بجلس الأمن التابع لميئة الأمم المتحدة بتدخل روسيا السوفييتية الواضح في شئون إيران الداخلية بواسطة المتحدة بتدخل روسيا السوفييتية الواضح في شئون إيران الداخلية بواسطة

موظفيها الرسميين ، وقواتها المسلحة ، فاتخذ المجلس قرارا بالإجماع بأن إيران وروسيا ينبغى أن تخطرا مجلس الآمن بنتائج المفاوضات التى تدور فى هذه المسألة ، واستبق لنفسه الحق فى أن يطلب معلومات عن سير هذه المفاوضات .

وفى فبراير ١٩٤٦؛ أصبح أحمد قوام رئيسا للوزارة الإيرانية ، فسافر إلى موسكو بالطائرة ــ فورا ــ لإجراء المفاوضات ، فوصل اليها في ٢ مارس ، وهو التاريخ الذى اتفقت عليه الدول المتحالفة لجلاء جميع قواتها عن إيران جلاء تاما ، وكانت القوات الأمريكية قد جلت قبل ذلك ، كما جلت القوات. الإنجليزية في التاريخ المحدد ولكن روسيا السوفييتية أعلنت أن جلا. قواتها عن بعض المواقع في الشمال الشرقي من إيران سيبدا في ٢ مارس ، وأن قواتها ستبقى فى بعض المواقع الأخرىحتى يتضح الموقف ، فشكت إيران فى ١٨مارس. ـــ إلى مجلس الأمن ـــ من أن روسيا السوفيينية تحتفظ بقوات داخل حدود إبران ، مخالفة بذلك المعاهدة الثلاثية ، وأن عملاءها ، وموظفها الرسميين ، وقواتها المسلحة مستمرة في التدخل في شئون إيران الداخلية ، وقد نوقشت المسألة في المجلس ، ولكن المفاوضات بين أحمد قوام وأعضاء السفارة. السوفييتية في طهران؛ وهي التي بدأت حوالي نهاية الشهر انتهت بتبادل المذكرات وأعلنت نتائجها في ٤ أبريل . وقد تم الاتفاق فيها على انسحاب جميع القوات السوفيبتية من إيران في خلال مدة ستة أسابيع ، وعلى تقديم اقتراح في دورة المجلس القادمة بإنشاه شركة بترول إبرانية سوفييتية مشتركة لاستغلال آبار البترول في ولا يات إبران الشمالية ، وإبجاد تسوية سلمية داخلية بين الحكومة المركزية ، والحركة الثورية في آذربيجان ، وأبلغت الانفافية المتعلقة بجلاء القوات السوفييتية إلى بجلس الأمن، فوافق على قرار بتأجيل المناقشة في المسالة الايرانية إلى ٦ مايو ، على أنه بجب على كل من روسيا السوفييتية وإيران أن. تبلغ المجلس — في ذلك الوقت — ما إذاكان جلاء القوات السو فييتية قد تم أم لا . وفي ٢٢ مايو ؛ أجل المجلس مناقشة المسألة الإيرانية ، وأخيرا جلت القوات السو فستة عن إيران.

ووجه قوام رئيس الوزارة عنايته إلى الشئون الداخلية ، ليعنى بالنزاع السافر بين الاجنحة اليمينية واليسارية فى الاحزاب السياسية ، وبالاضطراب القبلى ، وبمشكلة آذربيجان وبالإصلاحات الجوهرية ، وكانت الدورة البرلمانية قد انتهت ، فكان حرا فى أن يعمل دون أن تعوقه المعارضات البرلمانية ، إلى أن يحين موعد الانتخابات القادمة ،

وقبض على السيد ضياء الدين طباطبائى ــ رئيس حزب مشيئة الأمة ــ فاختنى حزبه من فوق المسرح السياسى، وأعلن رئيس الوزارة تكوينه لحزبه الشخصى المختص به، المسمى بالحزب الديمقراطى الإيرانى .

وفى صيف ١٩٤٦ ؛ قبل التعاون مع حزب و توده ، وأشرك ثلاثة من مؤسسى الحزب ــ الذين كان ينظر إليهم كشيوعيين فى الوزارة ــ ولكن سرعان ما أعيد تشكيل الوزارة بدون أعضاء حزب و توذه ، وبدأ الديمقر اطيون الإيرانيون يسيطرون ــ وحدهم ــ على مسرح السياسة .

ودارت مباحثات طويلة مع زعماء الحكومة الآذربيجانية المذكورة، واتفق فيها على الاسس العامة للاتفاق، فأصدر الشاه في أكتوبر مرسوما ملكيا يدعو إلى الانتخابات الجديدة، وأعلن رئيس الوزارة أن الانتخابات يجب أن تعقد في جميع أعاء البلاد بمجرد أن تصبح قوات الامن الوطنية في مواقعها في كل مكان للإشراف على هذه الانتخابات، وحينذاك تراجعت حكومة آذربيجان المتمردة عن تنفيذ الاتفاقية، ولم تسمح بمثل هذا الإشراف، ولذلك؛ فقد أرسلت حكومة إيران المركزية في أوائل ديسمبر ١٩٤٦ ولذلك؛ فقد أرسلت حكومة إيران المركزية في أوائل ديسمبر ١٩٤٦ وانهار نظام الحكم في الحال، وهرب بعض الزعماء عبر الحدود الروسية.

كا أجريت ــ أيضا ــ مباحثات مع الزعماء القبليين للكرد والبختياريين والقاشقائيين ، وعقدت اتفاقية مع القاشقائيين تصلح نموذجا للعلاقات مع القبائل الآخرى ، فن ناحية ؛ كان على القبيلة أن تسلم اسلحتها للحكومة ، ومن ناحية أخرى ، صار للقبيلة الحق في أن يكون لها تمثيل متناسب في البرلمان ،

وأن تتمتع بتسهيلات أفضل فى التعليم والعلاج والمواصلات ، وأن يمين الموظفون المحليون من بين سكان المنطقة .

وبدأت الانتخابات البرلمانية فى أوائل ١٩٤٧ ، وقرر حزب توده الذى كانت قو ته قد ضعفت ضعفا ملحوظا – ألا يشترك فيها ، وفى صيف الذى كانت جميع النتائج قد رصدت ؛ وظهرأن جميع النواب الذين انتخبوا ما عدا حفنة قليلة – ينتمون إلى الحزب الديمقراطى الإيرانى ، وبدا أن قوام الذى بقى فى الحم مدة أطول كثيرا من أسلافه المباشرين وواجه فى خلال هذه المدة مشاكل هامة وعالجها – يريد أن ينفذ سلسلة طويلة من المشروعات النافعة لمستقبل إيران معتمدا على معاونة برلمان مؤيد له .

وفى ربيع ١٩٤٧، وأوائل الصيف، أخذ متخصصون من شركة موريسون سنودس الدولية (Morrison — Knudsen International Company) يشرفون على العمل فى إيران ، وقد استبقت الحكومة الإيرانية هذه الشركة الأمريكية لتقوم بدراسيات ، وتوصيات محددة ، لتنفيذ برنامج اقتصادى يستغرق سبع سنوات ، وحوالى نهاية الصيف ، قدمت الشركة تقريرا مطولا يحدد النفقات المحتملة بحوالى ٠٠٠و٠٠٠و٠٠٠ دولار لتنفيذ الإصلاحات فى ميادين الزراعة ، والوقود والقوى ، ووسائل النقل والمواصلات ، وطرق الرى، والصناعة .

واجتمعت الدورة الخامسة عشرة للبرلمان في ١٧ يوليه ١٩٤٧، واختارت وف ٣٠ أغسطس حقوام، رئيساً للوزارة، وفي ٢٧ أكتوبر قدم قوام هيئة وزارته مع تقرير عن اتفاقية أبريل ١٩٤٦ الخاصة بتكوين شركة بترول إرانية حسوفييتية، فوافق البربلان حفى الحال بأكثرية مائة صوت ضد صوتين على مشروع قانون يتضمن عدة مواد، ألفت اتفاقية ١٩٤٦ باعتبارها مناقضة لقانون ١٩٤٤ الذي يمنع مثل هذه المباحثات بواسطة موظنى المحكومة، وأوصت بوجوب معاينة المختصين للبترول في إيران في السنوات الحكومة، ومعرفة ما إذا كان موجودا في الشمال بكيات تصلح للتجارة، حتى تستطيع الحكومة أن تدخل في مباحثات مع روسيا السوفييتية لبيع مثل حتى تستطيع الحكومة أن تدخل في مباحثات مع روسيا السوفييتية لبيع مثل

هذا البترول لها، وقرر هذا القانون أنه لا يمكن منح أية امتيازات الأجانب في المستقبل، أو لشركات يكون للأجانب فيها أسهم ومنافع، ووجه نظر الحكومة لدراسة الامتيازات الممنوحة للشركات الاجنبية، وخصوصا امتياز البترول الموجود في الجنوب؛ على أساس زيادة المنافع التي يمكن أن تجنيها إران من مثل هذه الامتيازات.

وبعد هذا التاريخ اشتدت المعارضة لقوام بين الديمقراطيين الإيرانيين في البرلمان ، وفي داخل وزارته نفسها ، فاستقال في ١٠ ديسمبر بعد فشله في الظفر — من البرلمان — بقرار بالثقة بوزارته ، وفي ٢١ ديسمبر اختير إبراهيم حكيمي رئيسا للوزارة فأظهرت وزارته نشاطا محدودا في معالجة مشاكل الميزانية وسلسلة الإصلاحات الطويلة .

وفي ١٠ فبراير ١٩٤٨؛ وافق البرلمان الإيراني على قانون يوصى بشراء ما قيمته ٥٠٠و، ١٠٠٥ دولار من المهمات الحربية الأمريكية الفائضة، وهو اقتراح كان يهدف إلى تحسين مهمات قوات الآمن الإيرانية، وعلى العموم؛ فقد فشلت الدورة البرلمانية الخامسة عشرة في مواجهة مسئولياتها، ولم تجز في السنة الأولى من مدتها إلا حفنة قليلة من مشر وعات القوانين، وكان جو المناقشة والمواد الموجودة في بعض هذه المشر وعات يصور عداء متزايدا دون سبب منطق، وقد نوقشت الرغبة في مراجعة عقد شركة البترول الإيرانية الإنجايزية، ووافق المجلس على مشروع قانون تجارى يمنع التجار الإجانب في إيران مناستير اد البضائع ومشروع قانون يوصى الحكومة الإيرانية باستعادة السيادة من التجار التبايدة باستعادة السيادة الميرانية على جزيرة البحرين في الخليج الفارسي ، والبحرين ضمن منطقة المتياز البترول الممنوح للشركة العربية الأمريكية للبترول Arabian - American المتياز البترول الممنوح للشركة العربية الأمريكية للبترول Oilcompany

ويحكمها حاكم محلى له علاقات وثيقة بإنجلترا بمقتضى معاهدة خاصة — واعتقدت الجماعات — فى إيران — أن مثل هذه الإجراءات المشروعة ستكون أفضل وسيلة تعجل بمنح الشاه سلطات أوسع، فقدم مشروع قانون — فى مايو — يقترح إنشاء مجلس للشيوخ وهى هيئة اقترح الدستور تكوينها من قبل .

وفي يونيه ١٩٤٨، اعتلت وزارة جديدة برئاسة عبد الحسين هر ير منصب الحكم — وقد قتل في ١٩٤٩ على يد متعصب دينيم، أثناء الدورة البرلمانية — وفي يوليه زار محمد رضا شاه إنجلترا، وفي نو فبر أعلن طلاقه من الامبراطورة فوزية، وفي نو فبر استقالت وزارة هر ير بعد مقتله، وأصبح محمد ساعد رئيسا للوزارة، وظل ساعد — وهو شيخ سياسي ذو لياقة وخلق — في منصبه للوزارة، وظل ساعد — وهو شيخ سياسي ذو لياقة وخلق — في منصبه إلى مارس ١٩٥٠، وكانت سنة ١٩٤٨ هادئة نسبيا، ولكنها تتميز بظهور البطالة، ومظاهر إحياء قوة حزب توده، وبسلسلة من المذكر ات السوفييتية التي البحدة بإنشاء قواعد حربية في أراضيها،

وفى ٤ فبراير ١٩٤٩ بذلت محاولة فاشلة لاغتيال الشاه ، وكان رد الفعل السريع لهذا العمل مهما ، فن جهة اعتبر حزب توده مسئولا عن الاعتداء ، فورب ، وهرب زعماؤه وحوكم الذين لم يستطيعوا الهرب من الدولة ، وأرسلوا إلى السجن ، ومن جهة أخرى اجتمعت عناصر الشعب المختلفة حول الشاه ، وأظهر البرلمان مزيدا هائلا من النشاط قبل أن تنتهى الدورة البرلمانية في يوليه ، فأقر تكوين مجلس الشيوخ ، كما أقر مشروع السنوات السبع للإنهاض والتعمير . وفى ١٦ نو فبر وصل الشاه إلى الولايات المتحدة فى زيارة سرسية ، واشترك حتى وقت رحيله فى آخر العام — فى عدة حفلات عامة ، وأدلى بأحاديث عن أهداف دولته واحتياجاتها بلغة انجليزية سلسة .

وقد تميزت سنة ١٩٤٩ بنجاحها فى برنامج الإصلاح باستخدام متخصصين من الشركة المساهمة لخبراء ما وراء البحار الاستشاريين Overseas من الشركة شركة موريسون - نودسن Consultants, Inc. خلفت هذه الشركة شركة موريسون - نودسن عشرة، والانتخابات للدورة السادسة عشرة لمجلس النواب، وبتكوين أول مجلس للشيوخ، وباشتباكات مسلحة عديدة على الحدود الإيرانية السوفييتية، وبنقص شديد في محصول القمح.

القصبل الخامس

مسوارد الشروة

أنواع التربة والمعادن والاحجار

تدل الأبحاث على أن إيران تمتلك موارد معدنية كثيرة ، متنوعة للغاية ومنذ خمسة عشر عاما ، كان استخراج المعادن جميعها يتم بواسطة استعمال الآلات اليدوية فكان عملا شاقا ، غير أنه منذ إنشاء المؤسسات الحديثة فى صناعة المعادن ، أدخلت وسائل فعالة فى عملية التعدين .

وقد كانت ثروات البلاد التي تحت سطّح الأرض موضوعا عالجه قانون خاص بالتعدين ، نقح أخيراً في ١٩٤٧ . وقسم القانون جميع موارد الثروة إلى ثلاثة أنواع ، فإذا وجدت المعادن التي تدخل تحت النوع الآول — مثل حجر البكلس ، وحجر البناء ، والرخام ، والجبس في أرض مملوكة ملكا خاصا ، فإن الحكومة تمنح أحد المستغلين حقوق استخراجها في مقابل حصولها على ٥٪ من قيمة هذه المواد ، على أن يعطى المالك ١٪ ، أما إذا تم استخراج المعادن في أرض مملوكة للحكومة ، أو لا مالك لها ، فإن الحكومة تأخذ ٦٪ من قيمتها ، في أرض مملوكة للحكومة ، أو لا مالك لها ، فإن الحكومة تأخذ ٦٪ من قيمتها ، وإذا كانت المواد المستخرجة من النوع الثاني ، — مثل المواد المعدنية ، والوقود اليابس ، والأملاح ، والاسبستوس (١) ، والكبريت ، وأكسيد والوقود اليابس ، والأملاح ، والاسبستوس (١) ، والكبريت ، وأكسيد الجديد — فإن الدولة تأخذ ٣٪ من قيمتها ، أما النوع الثالث — ويشمل المبتول والمعادن الثمينة ، والأحجار الكريمة فإن حقوق استغلالها من اختصاص الحكومة وحدها ، بصرف النظر عن مالك الأرض . ويمكن للحكومة أن تعطى حقوق استخراج هذه المعادن للشركات المجلية ، أو أن تشرف

⁽١) ممدن ذو ألياف غير سريم الإلتهاب .

هى بنفسها على عمليات استخراجها ، وتمنح الشركات الاجنبية امتيازات تحديد أماكن البترول والمواد المعدنية واستخراجها ؛ ولكن بشرط الحصول على موافقة خاصة من البرلمان .

ويعد المستغل من الموارد المعروفة ــ فعلا ــ قليلا نسبيا فى الوقت الحاضر؛ وليس المقصود من القائمة التالية أن تتضمن جميع مصادر الثروة المعروفة، وإنما هى دالة ــ فقط ــ على أمثلة من المعادن مع ذكر أماكنها.

وقد حددت فعلا أماكن مناجم: الفحم، ومعادن الكروم، والحديد، والرصاص، والكبريت، والنحاس، والفضة، والذهب، والنيكل، والزرنبخ، والكونالت (١)، وحجر الكحل، والاكسيدالاحمر، وأكسيد المنجنين، والصفيح

ويستخرج الفحم من حقول الفحم الواقعة على سفوح سلسلة جبال البرز الشمالية والجنوبية ليسد حاجة المطالب الصناعية فى مدينة طهران ، كا يوجد الفحم فى شقوق الصخور الدقيقة فى شمالى إيران ، وفى إصفهان ، وفى مناطق أخرى كثيرة ، ويستخرج معدن النحاس بصفة عامة فى زنجان، وبالقرب من سبزوار ؛ بينها يشتمل الإقليم الواقع إلى الشمال من تبريز على مناجم كثيرة قديمة ، وتتناثر مناجم الحديد على طول سلسلة جبال البرز ، وهناك جبل غنى بالحديد بالقرب من كرمان ، ويصدر سنويا حوالى ٢٠٠٠٠٠٠ طن من الأحمر من جزيرة هرمز فى الخليج الفارسي .

وتدل الدلائل على أن المناجم الموجودة فى أناراك Anarak داخل حدود دشت كوير قد استغلت لمدة قرون عديدة ، وكانت الفضة تستخرج منها فى الأصل ، ولكنها تستغل الآن فى استخراج النيكل والرصاص أيضاً ، ويبدو أن مناجم الذهب المعروفة تحتاج إلى تعدين دقيق حتى يقوم استخراج هذا المعدن النفيس على أساس مربح تجارياً .

وتوجد الأملاح الكيماوية ـــ مشـــل البوراتس Borates والسلفات من مختلف المعادن في طبقات غنية بها ، بينها يحصل على ملح الطعام

⁽۱) معدن صلب رمادی (المترجم) .

أما باستخر اجه من الصخور الملحية أو بالسماح لفيض الينابيع الملحية بالانصباب في أحواض الترسيب والتبلور .

وتوجد مواد البناء ـ وتشمل الحجر والجبس والكلس ـ فى جميع أنحاء البلاد ، كما توجد محاجر للمرمر والرخام بالقرب من مراغه ويزد وشيراز ، والمناطق الآصلية للفخار والآجر ، والآجر الحاص المصقول المطبوخ فى النار ، كثيرة شائعة ؛ كما توجد ـ كذلك ـ المعادن النفيسة أو نصف النفيسة مثل : الياقوت الآصفر والزمرد ، والياقوت الآزرق ، والعقيق والفيروز . وبالقرب من نيسابور ؛ توجد مناجم وأروقة كثيرة تستخرج منها قوالب مطمورة ذات فيروز بديع استخرجت منذ سنوات طويلة عديدة .

البــــترول:

فى السنوات الحاضرة، أصبحت إيران رابعة الدول المنتجة للبترول فىالعالم فهى تتلو الولايات المتحدة وفنزويلا وروسيا السوفييتية، وتنتج الآن ٨٥٪ من جموع الإنتاج السنوى للبترول.

وكانت ينابيع البترول تنساب خلال الصخور في إيران منذ ظهر الإنسان الأول على سطح الهضبة الإيرانية ، ومن المحتمل أن تدفقات البترول ، أو الغاز المنساب من القيعان المحملة بالزيت قد اشتعلت بفعل البرق ، وأصبحت هدفا للإعجاب والعبادة ، وبعد ذلك بكثير ، حينها أصبح كتاب زردشت المقدس الديانة الرسمية للاكمينيين ، واحترم الصدق والنور ، أنشى كثير من بيوت النار التي تشتمل على شعلة دائمة فوق منابع الزيت والغاز ، أو بالقرب منها . ولا تزال أطلال واحد من هذه الآثار — وهو مسجد سليمان — ترى في وسط الحقول المنتجة للبترول . وفي عصور متأخرة استعمل البترول الطبيعي استعمال عليا .

وقدكتب أوروبى زار إيران منذ مائتى عام يقول: «يوجد فى الناحية التى يسمونها ما زندران زيت النفط، وهو يستعمل فى الصقل والنقش، والطب، والعلاج، كما أن أفقر طبقات الشعب تحرق الزيت الذى يستخرج منه،

وفى العصور الحديثة بدأ البحث عن آبار البترول فى أواخر القرن التاسع عشر ، وفى ١٩٠١ سمع رجل من رعايا الإنجليز يسمى وليام دى آرسى عشر ، وفى ١٩٠١ سمع رجل من رعايا الإنجليز يسمى وليام دى آرسى William D'Arcy عن إمكان استخراج البترول فى إيران ومنحته الحكومة الإيرانية سائر الحقوق للتنقيب عن البترول واستخراجه فى جميع أنحاء البلاد ما عدا الأقاليم الشمالية وخولته حقى إنشاء خطوط من الإنابيب تصل إلى الخليج الفارسى ، على أن يسرى مفعول هذا الامتياز لمدة ستين عاما .

وكانت أولى شركات دى آرسى تمول من جيبه الخاص، وفى ١٩٠٨ حفر أول بئر يتدفق بغزارة فى منطقة تبعد حوالى ١٢٥ ميلا شمالى رأس الخليج الفارسى، وفى السنة التالية أسست شركة البترول الإنجليزية ــ الإيرانية فى لندن وأخذت على عاتقها مهمة تنفيذ الامتياز، وفى عام ١٩١٢، قدمت الحكومة الإنجليزية أول إعانة لتمويل هذه الشركة، وهى فى الوقت الحاضر تسبيطر على الإنجليزية أول إعانة لتمويل هذه الشركة، وهى فى الوقت الحاضر تسبيطر على ١٩٥٠ من أسهمها.

وفى عام ١٩٣٢؛ ألغت الحكومة الإيرانية الامتياز ، لأنها لم تقتنع ببعض المواد الموجودة فى الاتفاق المبرم بين الشركة والحكومة الإيرانية ، ثم تفاوضت فى عقد اتفاق آخر فى عام ١٩٣٣، وباختصار ، نص الاتفاق الجديد على :

- ١ ـــ منح امتياز إلى سنة ١٩٩٣ .
- ٧ تحديد الامتياز بمساحة و ١٠٠ ميل مربع .
- ٣ فقدان الحق في إنشاء خطوط من الآنابيب تصل إلى الخليج الفارسي .
- ٤ --- دفع أربعة شلنات للحكومة الإيرانية عن كل طن من البترول سوا.
 بيع للاستهلاك داخل إيران، أو صدر للخارج.
- دفع حصة سنوية تساوى ٢٠٪ من جميع الأرباح السنوية التي تحصل عليها الشركة، فضلا عن مبلغ ٢٠٠ و ٢٧٦ جنيها إنجليزيا، وينبغى أن يكون بحموع كل هذه المدفوعات ٢٠٠ و ٧٥٠ جنيه سنويا على الآقل.

وتستخدم شركة البترول الإنجليزية الإيرانية حوالى ٢٠٠،٠٠٠ من الإيرانيين وهيئة إنجليزية وأجنبية كبيرة ، وقد اهتمت الاتماما خاصا بمساكن الموظفين وتعليمهم وتدريبهم ومعالجتهم في مؤسساتها الموجودة في عبدان ، وفي داخل البلاد.

وقد بلغ بحموع إنتاج شركة البترول الإنجليزية الإيرانية فى عام ١٩٤٨ م.٠٠و٥٩٥٥٠٠ برميل ، وارتفع هذا المستوى فى عام ١٩٤٩ ، وقد جاوزت ضرائب الامتياز المدفوعة للحكومة الإيرانية — فى عـــام ١٩٤٨ — م.٠٠و٠٠٠٥ جنيه ، وتنفق شركة البترول مبلغا يساوى ضعف هذا المبلغ المدفوع لضرائب الامتياز — بالجنيهات الاسترلينية — لشراء العملة الإيرانية اللازمة لتنفيذ عملياتها فى إيران ؛ والنقد الخارجى الذى تظفر به إيران من هذين المصدرين ذو أهمية حيوية للاستقرار المالى فى البلاد .

ويوزع البترول المشحون من عبدان على نصف الكرة الأرضية الشرقى بواسطة النظام الذى وضعته الشركة الإنجليزية الإيرانية للتسويق. في عام ١٩٤٧ و تعاقدت شركتان أمريكيتان للبترول – لهما حقوق التسويق في نفس هذه المنطقة – على شراء ٠٠٠ و ١٣٢٠ طن برديل من الزيت الخام من شركة البترول الإنجليزية الإيرانية في خلال السنوات العشرين التالية .

وفى غربى إيران ، استغلت شركة البترول بخانقين ـــ وهى فرع من شركة البترول الإنجليزية الإيرانية ــ حقول نفط شاه (الزيت الملكي) بالقرب من قصر شيرين المجاورة ــ تماما ــ للحدود بين إيران والعراق ، ويسحب الزيت بالطلبات فوق الجبال المشرفة على الهضبة إلى معمل حديث للتكرير أنشى فى مدينة كرمانشاه ، ويوزع الجازولين والكيروسين ــ من هناك ــ على جميع أنحاء شمالي إيران .

وتدل التقارير ــــعن مدى اتساع حقول البترول الموجودة فى إيران ــــعلى أن فى البلاد مخزوناً يبلغ ثمانية بلايين من البراميل على الأقل.

ومن المحقق أن آبار البترول توجد فى جهات أخرى من إيران ، وقد وجدت آثار من الزفت والقار فى شمالى غربي إيران ،كما توجد ينابيع البترول على طول ساحل بحر قزوين ، وعلامات على وجود البترول فى شمال شرقى إيران ،كما لوحظت ينابيع البترول فى إقليم كرمان أيضا .

وفى عام ١٩٣٧؛ منحت الحكومة الإيرانية امتيازا يشمل آبار البترول فى عام ١٩٣٧؛ منحت الحكومة الإيرانية امتيازا يشمل آبار البترول Amiranian Oil Company of وهى فرع من شركة سيبورد الآمريكية للبترول Delaware .

وبدأت أعمال المعاينة فى الحال ، ولكن الشركة الأمريكية تخلت عن الامتياز فى ١٩٣٨ ، وفى تواريخ أحدث من ذلك ، أبدت شركات البرول الأمريكية والانجليزية رغبة شديدة فى الحصول على امتيازات فى القسم الجنوبى الشرقى من البلاد ، وضغطت روسيا السوفييتية لتكوين شركة إيرانية سوفييتية

مشتركة لاستخراج مقادير البترول الممكنة من الولايات الشمالية فى إيران . وفى أثناء الاحتلال السوفييتى فى الحرب العالمية الثانية قامت القوات بمحاولات للكشف فى سمنان ــ شرقى طهران ــ وعلى طول ساحل بحر قزوين ، ولا بد أن الجيولوجيين الروس قد كونوا فكرة واضحة عن حقول البترول المحتمل وجودها فى شمالى إيران .

* * *

النبات والتربة :

إن ثلثى مساحة الأراضى فى إيران قد شغلته سلاسل الجبال العالية ، والصحارى الواسعة ، وهى أجزاء غير صالحة للزراعة ، وتبلغ مساحة الأرض الزراعية فى الوقت الحاضر خمس مساحة الثلث الباقى ــ تقريباً ــ وهى مساحة صئيلة تبلغ إلى من مساحة إيران كلها . ومنذ عام ١٧٠٠م، تهدم كثير من وسائل الرى الصناعية ، وتنافص عدد سكان البلاد بنسبة ٥٠ ٪ على الأقل . ولذلك فإنه رغم أن مساحة الأرض الزراعية المنتجة كافية الآن لسد احتياجات السكان القاطنين فى البلاد ، وتقديم كميات محدودة للتصدير إلى الخارج ، فإنها ليست مناسبة لتزايد عدد السكان .

والتربة الإيرانية لا تشبه التربة المعروفة فى أوروبا والولايات المتحدة ، وهى التربة التى تشتمل عادة على تركيبات عضوية حيوية نتجت عن تحلل النباتات الطبيعية . أما تربة إيران الأصلية فإنها غيرذلك ، فهى خليط من الحصباء والرمل والطين والكلس ، مما جعلها تتعرض — بمضى القرون — للبوار والفساد والتآكل ، وهى رغم ذلك صالحة للزراعة إلا حينها تتشبع بالقلويات (١) .

⁽۱) يقصد أملاح القلى وهي أملاح متجمدة تمزوجة بالأحماض تسمى (Alkalis) وهي مادة ضد الحوامض (المترجم) .

الزراعة والغلات الطبيعية :

يتوقف الإنتاج الزراعى ونمو النباتات البرية على المطر ، وتحدد مقاديرها وفقاً لقلة المطرأوكثرته فى البلاد ، والحبوب هى قوام غلات البلاد ، وتشمل : القمح والشعير والارز ، وتشغل زراعتها . . . و و مدان .

ويزرع القمح فى كل جزء من أجزاء البلاد فيما عدا الأجزاء الواقعة على طول ساحل بحر قزوين حيث تحتل مكانه حقول الأرز الشاسعة الذى يزرع على الهضبة أيضاً فى الأماكن القليلة التى تتوافر فيها كميات كبيرة من المياه ، وقد بلغ محصول القمح فى عام ١٩٤٧: ١٩٤٠، ٢٥١٥ طن ، وبلغ محصول الأرز ٢٤٥,٨٠٠ طن ، كما حصد أيضاً حوالى ٤٠٠،٥٥٥ طن من الشعير ، وهناك محصولات أخرى من بينها الآذرة والحنطة والبطاطس والذرة العويجة والبازلاء والفول والعدس . ويعد العلف — وهو من النباتات المستوطنة فى الأقاليم — أحد المحصولات الجديرة بالزراعة على نطاق أوسع ، لأن جذوره الطويلة تستطيع النفاذ إلى طبقات التربة الرطبة كما يزرع فى إيران حقوما — الكرنب واللفت والبصل والباذنجان والخيار والبطيخ ، ويزرع كذلك البنجر والقطن والطباق والمخشخاش .

و تنتج إيران فواكه رائعة ، لا يساوى أغلبها فى الحجم أصنافنا التى تحسنت كثيراً ، ولكتها ألذ طعما ، و تشتمل الفواكه التى تزرع فى إيران على الخوخ والمشمش والبرقوق والكرز والكثرى والرمان والتفاح . ومن المحتمل أن زراعة الحنوخ وكثير من الفواكه الآخرى قد بدأت أصلا فى إيران ثم انتشرت منها إلى البلاد الآخرى . . . والمشمش هو المحصول الذى يزرع بكثرة وهو يحفف للاستهلاك المحلى والتصدير . والتفاح أصغر فى الحجم من التفاح المزروع فى الولايات المتحدة لآن برودة الشتاء لا تمتد امتداداً كافيا لصيانة فترة الحياة الساكنة اللازمة لاشجار التفاح ، وتزرع الموالح وتشمل: البرتقال ، واليوسنى ، والليمون ، والليمون الحامض على طول الساحل القزويني الدافئ الرطب ، كما تزرع كذلك فى الأقاليم الجنوبية كبلدة شيراز ، ويبلغ متوسط المحصول السنوى تزرع كذلك فى الأقاليم الجنوبية كبلدة شيراز ، ويبلغ متوسط المحصول السنوى

ويقدر عدد أشجار الزيتون في إيران بجوالى ٠٠٠و٠٠٤ شجرة تزرع في مساحة محدودة على المنحدرات الشهالية لجبال البرز ، ومحصولها من الثمار والزيت الذي تغله ذو قيمة محققة ، وهناك محاولات تبذل لإنبات هذه الاشجار في أجزاء أخرى من البلاد .

وينمو على سطح الهضبة أكثر من ثلاثين نوعاً من أنواع العنب وتختلف طرق زراعته باختلاف العادات المحلية ، وهناك طريقة طريقة من هذه الطرق — هي أن تحفر حفرة مستديرة إلى عمق عدة ياردات حتى تصل إلى الطبقات الرطبة من الأرض ، ثم تزرع جذور الكرم في قاع الحفرة ، وتملأ الحفرة بالتراب ، فيأخذ الجذر في النمو نحو السطح ، حتى تصبح الكروم المزروعة جميعها فوق سطح الارض . والعنب غذا ، رئيسي في أثناء أشهر الصيف ، ويحفف فيصير زبيباً للتصدير ويستعمل في صنع النبيذ ، وتصنع أنواع من الانبذة على الطريقة الاوروبية في كثير من المدن ، ولكن خر شيراز القوية هي أكثرها على الطريقة الاوروبية في كثير من المدن ، ولكن خر شيراز القوية هي أكثرها شهرة وانتشارا .

وبالإضافة إلى الحبوب، فإن هناك محصولات أخرى تعد المصدر الرئيسى للإير اد الزراعى وهي القطن، والبنجر، والطباق، والشاى، وشرانق دود القر، والحشخاش. وتشرف الحكومة على الصناعات المتصلة بالإنواع الحسة الأولى منها في مصانع حديثة مملوكة لها.

ويتفاوت محصول القطن المزروع بين سنة وأخرى تفاوتا كبيرا ، فنى السنوات ذات المحصول الوفير بلغ وزن المحصول المصدر ٢٧٫٠٠٠ طن ، وفى عام ١٩٤٧ ، زرعت ٤٠٣٫٥٠٠ طن من البنجر فى مساحات قريبة من المعامل

السبعة الكبيرة لتكرير السكر ، وهي مملوكة للدولة ويبلغ إنتاجها السنوى ٥٠٠و٥٠ طن من السكر ، أي أكثر من ثلث الاستهلاك المحلي للبلاد .

ويزرع قصب السكر على طول ساحل بحر قزوين ، وفى إقليم خوزستان - فى جزئيه الجنوبى الشرقى والجنوبى الغربى - حيث يلائم الجو القصب ، وكان يزرع بكثرة فيما سبق ؛ ويزرع الطباق المسمى بالطباق التركى - الذى يستعمل فى السجاير - فى الحقول الواقعة على طول بحر قزوين ، كما يزرع الطباق المستعمل فى الغليون (البيبة) فى الشمال الغربى .

ويزرع نوع خاص أكثر ملاءمة للنرجيلة (الشيشة) في قرية خوانسار ذات الرى الوفير؛ وقد بلغ محصول الطباق ــ في عام ١٩٤٧ ــ ١٨,٧٠٠ طن. ومنذ سنوات استدعى متخصصون من الصين للعمل على التوسع في زراعة الشاى الموجودة ، ولتحسين النباتات، وتنتج إيران ــ في الوقت الحاضر ــ ٠٠٠و٧ طن من الشـاى سنويا ؛ من نباتاته التي تزرع على طول بحر قزوين ، ولكن هذه الكمية ، تقل عن المقدار اللازم لسد نَصف الاستهلاك المحلى . وفي الصيف، تصيرحقول الخشخاش البيضاء منظرًا مألوفًا، ورغم احتياج زراعته إلى قليل من العناية ، فإنها تغل إيرادا نقديا طيبا ، وكان إعداد الآفيون وبيعه احتكارا حكوميا مربحاء وقد بلغت مشتريات الولايات المتحدة وحدها فى سنة ١٩٤٢ ما قيمته ٥٠٠ و٤٠٠ دولار من الأفيون ، ولكن المجهودات الحديثة التي تبذل لمنع تدخين الآفيون في داخل البلاد ، قد أدت إلى إصدار أمر وزارى ــ فى عام ١٩٤٦ ــ بتحريم زراعة الخشخاش وبيع الأفيون. وغير اسم «القسم الحكومي لاحتكار الأفيون، إلى ﴿ إِدَارَةٌ تَحْرِيمُ زَرَاعَةً الْافيون واستهلاكه ، ، ومع ذلك فقد أغلت البلاد محصولا من الأفيون بلغ ثمنه ٥٠٠٠ و٣٣٠ و دولار، وأستمر إنتاج الأفيون وإعداده خلال عام ١٩٤٩. وتنمو أشجار النوت في جميع أجزاً. الهضبة الإيرانية ، وتربى قرى كثيرة دود القر الذي يتغذى على أوراق التوت ، ولكن أهم مركز لإعداد شرانق دود القز هو السهل الساحلي لبحر قزوين ، ويتراوح إنتاج الحرير بين ٥٠٠٠ طن سنويا.

ولا تزيد مساحة المناطق المغطاة بالغابات الحشبية عن ١٠٪ من مساحة البلاد، و ثلث هذه المناطق مغطى بغابات كثيفة، وهي توجد على طول المنحدرات الشيالية لسلسلة جبال ألبرز، مبندئة من مسافة قصيرة خلف بحر قزوين، من الشريط الساحلي لهذا البحر، وتتدرج في الارتفاع حتى تصل إلى ارتفاع أقصاه ٠٠٠٠و٧ قدم فوق سطح البحر، وتغطى أغلب هذه المساحة غابات بكر من شجر البلوط ولسان العصافير (Ash)، وشجر الدرداد (البقيصاء) والجوز، وخشب الزان، وخشب البقس (Box)، وشجر السرو، وشجر القبقب (الاسفندان) (Maple)، وشجر الحلود.

وتعد هذه الاشجار أهم ثروة وطنية يمكن الحصول عليها، ولذا فإن قطع الاشجار خاضع للقو انين الحكومية، وينقل الحشب في صورة أعمدة للبرق، وألواح خشبية للوقود. إلى أجزاء الهضبة المختلفة بالقطار، وعربات للنقل، ويقوم مصنع حكومي بالقرب من بابل بقطع الاخشاب ودهنها بالزيت ـخشية فسادها ـ لإعداد قو اعد لقضبان السكك الحديدية التابعة للحكومة الإيرانية.

و تنحصر مناطق الغابات فى الهضبة الأصلية فى أعالى الجبال - غالبا و تشتمل على نباتات متفرقة متباعدة من شجر البلوط المنخفض الذى يستعمل قشره فى دبغ جلود الحيوانات، ويقابل النقص الشديد فى الأخشاب فى أجزاء الهضبة الإيرانية بزراعة أحراش من شجر الزان فى بعض الأجزاء ذات الرى الوفير، وتستعمل جذوع هذه الاشجار فى إقامة المنازل، كما تزرع أشجار الصفصاف، والاشجار الباسقة، فى القرى، وعلى شواطى الانهار، كما توجد أحراش من أشجار الجوز السوداء الجيلة فى جميع أنحاء البلاد. وتزرع أشجار اللوز والفستق بكثرة أيضا، وتخر هذه الاشجار إيرادا نقدياً طيبا لكل من البدوى والفلاح، والواقع أن الدخل المتحصل من محصول شجرة جوز ضخمة واحدة يكنى لإعالة أسرة كاملة طوال العام.

وقد استمر قطع الغابات فى الهضبة الايرانية قرونا عديدة ، ولا زال قائما على قدم وساق ، فان البدو يقطعون أشجار البلوط المنخفضة ، ويحرقون الخشب للحصول على الفحم، بينها تلتهم قطعان الغنم والماعز الشجيرات الجديدة. كما أن القرويين ــ فى كل مكان ــ يبحثون بحثا حثيثا عن الوقود. ومن المتيسر تماما إعادة زراعة الغابات فى مناطق معينة من البلاد، ولكن ينبغى أن يحمى كل قسم تعاد زراعته لمدة معينة من السنوات، حتى لا تصيبه أنواع التخريب التى ذكرت.

وتجمع بعض النباتات والشجيرات البرية، ويعاسيبها وعصاراتها ومستخرجاتها بعناية فتكون مادة هامة من مواد التصدير، ومن هذه المستخرجات: صمغ الحثيراء Gum tragacanth والصمغ العربي، وصمغ الحلتيت والبرزد (۱) Gum tragacanth والحنال (العلقم) Colocynth والعرقسوس، ومواد الصباغة ؛ كانيلة والزعفران والحناء المستعملة في تخضيب الآيدي والارجل والشعر والذقن وهي تستعمل الآن أقل كثيراً جداً من ذي قبل وتستخرج من أشجار تسمى بهدنه الاسماء، ويعد نبات القنبس الهندي وتستخرج من أشجار تسمى بهدنه الاسماء، ويعد نبات القنبس الهندي (الجوت) Jute (الجوت) النباتات المحلية المألوفة على الساحل القزويني حيث بلغ أقصى إنتاجه في إحدى السنوات من والكتان والسمسم والخروع والخشخاش. وتحظى الازهار بتقدير عظيم من الإيرانيين، حتى إن أصغر الحدائق وتحظى الازهار بتقدير عظيم من الإيرانيين، حتى إن أصغر الحدائق

وفى أوائل الربيع تزدهر أراضى الوديان وسفوح الجبال بالأزهار البرية . ومن بين الأزهار المألوفة فى إيرار : الشقائق ، والياقوت الزعفرانى Gentian وعباد الشمس Grape-hyacinth والخيلاديولا Poppy والخشخاش Poppy ، والشقيق الأصفر والناقوس الأزرق Bell-flower ، والخشخاش Crocus والقرنفل الأحمر ، وزهرة والسوش (الايريس) Tris ، والخبيزى (الجيرانيوم) Geranium ، وشقائق

المنزلية لتتلألًا بآنيات الزهر ، والنبأتات الموضوعة في الأصص .

⁽١) البرزد أو الفنة صنغ من شجرة الفناوشق (المترجم) .

⁽٢) الجلاديولا: زهر من الأبصال (المترجم) .

النعان القصيرة (Dwarf Hollyhock) ، وكثير من الأزهار البرية التي ليست مألوفة في البلاد الآخرى .

وتعتبر الوردة ــ من بين هذه الزهور جميعها ــ ذات المكان الأول فى قلوب الناس عامة ، فقد امتدحها الشعراء فى أشعار جميدلة ، منذ ألف سنة ، وتزرع أنواع كثيرة منها فى الحدائق ، أو تنمو كا زهار برية على أطراف مجارى المياه ، كما تزرع فى كاشان حقول واسعة من الورود لاستخراج ماء الورد المشهور الذى يصنع هناك .

موارد المياه ونظام الرى :

لقد أكدنا فيها سبق الحقيقة الثابتة ، وهي أنسقوط المطر في إيران محدود ما أوجب أن ينتفع بقدر الإمكان من موارد المياه الموجودة فعلا ، وقد ذكرنا أن قدراً كبيراً من الاراضي يزرع بغير اعتماد على وسائل الرى في الشمال الغربي والشمال الشرقي للبلاد ، ومع ذلك فإن إنتاج إيران الزراعي يعتمد على طرق الرى المختلفة .

والطريقة الفعالة فى زراعة سفوح الجبال هى أن تشق قنوات متفرعة من الأنهار وبجارى المياه فتحمل المياه مباشرة إلى الحقول المزروعة ، وتقسم القنوات الأكثر اتساعا إلى أخاديد ضيقة ، وتتصل الأخاديد المتوازية على مسطحات مختلفة على طول المنحدرات بمجارى المياه الصغيرة التي يمكن أن تترك مفتوحة أو مغلقة بواسطة الأحجار والحواجز ، ورغم هذا ، فإن نسبة كبيرة من موارد المياه الأصلية تضيع ببذه الطريقة بعن طريق التسرب والتبخر في القنوات ، وطبيعى أن كمية كبيرة من المياه تستنفد عند منبع النهر ، بحيث في القنوات ، وطبيعى أن كمية كبيرة من المياه تستنفد عند منبع النهر ، بحيث لا يبتى إلا ماء قليل لرى المساحات الواقعة في مجرى النهر الأسفل ،

وهناك طريقة أكثر منطقية وتعد تحويراً لهذه الطريقة من الرى الطبيعى، وهو تحوير يجعله أكثر نفعا، هي أن تحول القناة الرئيسية بحيث تجرى خلف الحزانات والقناطر المقامة على طول الانهار، ومرس المحتمل أن تاريخ هذه الحزانات والقناطر يرجع إلى العصر الاكميني رغم أنه لا توجد أطلال قائمة

يمكن أن تنسب إلى هذه الفترة التاريخية على وجه التحديد ، ومع هذا فإنه من المعروف أن الخزانات والقنوات المتصلة بها قد أنشتت فى جنوب غربى إيران فى حوالى القرن الأول الميلادى ، وقد وجدت بقايا لخزانات وقناطر كثيرة أنشئت فى أثناء العصر الساسانى — فيها بين القر نين الثالث والسابع الملاديين — على مساحة واسعة من جنوبى إيران وغربيها ، ولا زال قليل منها سليها فى أكثر أجزائه وهو يستعمل فى مشاريع الرى الحالية ، وقد أنشئت سلسلة متينة من الحزانات على طول نهرى قارون وآب در ، وبستطيع المسافر بطريق الجو فوق خوزستان — الآن — أن يلاحظ بسهولة خطوط القنوات الواسعة التى تواصل سيرها خارج الخزانات ، وقد ظلت هذه الخزانات مصونة جيداً بعد الغزو الإسلامي لإيران ، وحتى القرن الثالث عشر الميلادى ؛ وكانت بعد الغزو الإسلامي لإيران ، وحتى القرن الثالث عشر الميلادى ؛ وكانت نظاق واسع ، وقد صارت الآن قاحلة تماما ، وإذا تقدمنا إلى عهود تاريخية نظاق واسع ، وقد صارت الآن قاحلة تماما ، وإذا تقدمنا إلى عهود تاريخية أحدث ، فإننا نجد خزانات قليلة ضخمة قد أنشئت فى القرن السابع عشر ، وقد بق أثنان منها — واحد بالقرب من ساوه والآخر بالقرب من كاشان — في حالة حسنة تماما .

ومنذ ١٩٤١، اقتنع زعماء إيران بأنه ليس هناك مشروع أكثر حيوية بالنسبة لمستقبل البلاد من تيسير التسهيلات في الرى ، فوضعت إدارة الرى مشروعات شاملة وقد بنيت — فعلا — خزانات قليلة صغيرة ، أما المشروعات الآخرى التي في مرحلة الدراسة والتخطيط فتشمل إنشاءات على نطاق واسع سوف تحتاج إلى مبالغ كبيرة من المال ، وأحد هذه المشروعات مشروع لتوسيع نهر زاينده رود وتعميقه ، وهو النهر الذي يجرى إلى ما وراء إصفهان ، ويوجد أخدود ضيق على بعد حوالي خمسة وسبعين ميلا غربي إصفهان في سلسلة جبال كوهرنك ، وهو يفصل بين حوضين رئيسيين من المصارف ، حيث توجد — إلى غربي الأخدود — منابع المياه الوفيرة لنهر قارون الذي يصب في الخليج الفارسي ، ويوجد — إلى شرقي الآخدود — الجزء العلوي لمجرى زاينده رود الذي ينتهي في الصحراء الداخلية .

وكان الملوك الصفويون هم أول من فكر فى ربط نهر قارون بزاينده رود فى القرن السابع عشر الميلادى ، فاشتغل آلاف من العمال بقطع حوض يشبه حرف و ٧ ، فى الآخدود ولكنهم تركوا العمل بعد أن أكلوا ما يقرب من ثلثه. والهدف ــالآن ــ هو أن يشقوا نفقا عبرالاخدود وأن ينشئوا خزانا على الجانب الشرقى ليخزن مياه قيضان كل من النهرين ، وسوف يكون هذا الحزان ــ أيضاً ــ مصدراً للقوة الكهربائية التى ستستعمل لإدارة مصانع إصفهان ، وقد أكمل إنشاء نصف الطريق إلى الحزان . وموقع النفق .

وهناك مشروع آخر سوف يوفر كميات كبيرة من مياه الشرب لمدينة طهران ، كما يروى _ أيضاً _ مساحات واسعة من سهل ورامين جنوبى طهران ؛ فعلى بعد من طهران وعلى الجانب الآخر من سلسلة جبال البرز _ يوجد نهر لار الذي يجرى نحو بحر قزوين ، وقد اقترح إنشاء خزان مرتفع جداً على الجزء العلوى من نهر لار لحزن المياه ، وحفر أنفاق لحل المياه من هذا الحزان تحت الجبال إلى نهر وجاجى رود ، الذي يجرى في المنحدرات الجنوبية لسلسلة جبال البرز ، ثم تحمل أنابيب منفصلة _ تخترق الجبال _ الماء النتي إلى طهران ، وتعد هذه الطريقة الجبارة مشروعاً بالغ الاهمية .

ويجب أن يبين أنه ليس من الضرورى أن تكون مشروعات الرى العملية ذات الفائدة العظيمة للبلاد على النطاق الذى يكون عليه المشروعان اللذان وصفا من قبل؛ وسوف تحدد المعاينات الدقيقة جوانب كثيرة . حيث يمكن أن تنشأ خزانات صغيرة على الوديان الضيقة فى نقط مرتفعة بجاورة للمناطق الزراعية ، وسوف تملاً هذه الحزانات فى الربيع ثم تطلق المياه بالتدريج خلال الأشهر الجافة ، ويمكن أن تبنى هذه الحزانات بواسطة العمال المحلمين ، ومن الحجارة الموجودة فى متناول اليد مباشرة ، ويحتاج فى هذه الحالة إلى نقل الاسمنت فقط ، وبعض الآلات التى تنقل الاتربة إلى موقع الحزان ، ورغم هذا فإن الدراسات الاولية يجب أن تهتم بالاعتبارات الاخرى فى اختيار كل موقع فلا تقتصر على مجرد ملاءمته ، فهناك نماذج معينة من التربة يكنى

توزيع المياه فيها لخلخلة بناء الحزان، وينبغى أن تتخذ عناية تامة حتى لا يساق الماء الأجاج إلى أرض مشبعة فعلا تشبعا شديدا بالأملاح .

والوسيلة الثانية — وهى الأكثر أهمية — للرى فى إيران هى القنوات الجوفية التى تحت الأرض والتى تسمى بالفارسية وقنات، أو دكاريز، وهى طريقة تستعمل فى جميع أنحاء البلاد، وخصوصا فى المناطق التى تفيض فيها أنهار قليلة، ويبدوأن هذه الطريقة خاصة بإيران وحدها ، لأنه يندرأن توجد فى غير هذه البلاد، وتعتقد بعض المصادر أن القنوات الأولى من هذا النوع قد حفرت فى عصور ما قبل التاريخ ، وقد وجد نفق لقناة قديمة — وهى القناة الوحيدة المعروفة فى مصر — فى واحة الخارجة ، على بعد مائة ميل غربى وادى النيل ، ولما كانت القناة قريبة من معبد مشيد بعد فتح الجيوش الإيرانية لمصر فى القرن الخامس قبل الميلاد ؛ فائه يبدو من المحتمل جدا أن الغزاة شيدوا هناك مشروعا كان فى ذلك الوقت معروفا فى إيران .

وقد يحقر بحرى للقناة ليمد قرية منزرعة بالماء، وليروى حقولها الخصبة، كما قد تحفر بئر أوينشأ خزان فى قواعد الجبال فى أقرب نقطة إلى القرية، وتغوض البئر فى الارض بحيث يكون قاعها تحت المستوى المائى فى الصيف، والمستوى المائى هو طبقة من الصخور المسامية تستبق الماء الذى يتسرب إلى أسفل الارض بعد أن يكون الربيع قد أذاب الناوج التى على القمم العالية ويكون عمق البئر الرئيسية مائتى متر على الأقل، وتوجد آبار رئيسية بالقرب من قرية وكناباد، فى شرقى إيران يبلغ عمق الواحدة منها حوالى ٥٠٠٠ و قدم، ومن المعروف أنها حفرت منذ خمسمائة سنة على الأقل ويتفرع من قاع البئر غالبا بحموعة من الدهاليز الافقية حتى يمكن سحب الماء من منطقة أوسع من غالبا بحموعة من الدهاليز الافقية حتى يمكن سحب الماء من منطقة أوسع من البئر الرئيسية يبدأ فى حفر خندق فى المنحدر البسيط الذى يعلو القرية، يتجه مباشرة نحو البئر البعيدة، وحينها يصل إلى عق معين يتحول إلى نفق، وبعد أن

يمتد النفق خلال الأرض تخترقه آبار عمودية تحفر على مسافات تبلغ خمسين ياردة أو أكثر ، وهي تساعد على جلب الهواء للعال الذين في النفق كما تساعد على إخراج المواد المحفورة بسلال تسحب إلى أعلى الآبار بواسطة الحبال . ثم يصل النفق إلى البئر الرئيسية في النهاية ، وتتدافع المياه خلاله إلى القرية .

وقد تخصص في حفر شبكة القنوات عدد محدود من أسرقام أفرادها بهذا العمل أجيالا عديدة ، وتعد مدينة يزد مقر حفرة القناة المهرة ، ويحفر هؤلاء الرجال مجرى النفق بمعدات بسيطة ، ويرسمون انحداره بحيث بجعل المياه في حالة حركة ، وأحياتا يشق النفق من قاعدة البئر الرئيسية نحو القرية ، ويختلف بجرى خط القناة في الطول فيتراوح بين مئات قليلة من الياردات وبين خمسة عشر أو عشرين ميلا ، وقد يستغرق حفر مجرى قناة واحدة سنوات عديدة ، ويبلغ عرض النفق الذي تحت الأرض ٢٦ قدم ، ويبلغ ارتفاعه أربعة أقدام، وهو مكان يكني لأحد الحفرة. ويحفظ سقف النفق من الانهيار ـــ في الأرض الهشة أو الرملية ــ بتدعيمه بأسطو إنات من القرميد. ولا يعد العمل منتهيا بمجرد إتمام القناة ، لأنه ينبغى أن تبقى من الأنقاض والرمل الذي يقع فيها من الآبار العمودية، وتتكون ـ عاجلا أو آجلا ـ كهوف، فيبدأ أولا بحفر أجراء جديدة من النفق حول هذه النقط ، ويصبح جميع خط النفق مغلقا بالحجارة ، وينبغى فى هذه الحالة أن يهجر بعد ذلك. وعلى هذا ، فإنك تستطيع حينها ترى قرية من الجوأن تتتبع مجارى أربع قنوات أوخمس بواسطة أكوام هي التي تؤدي وظيفتها .

ويمكن لمجرى القناة الذى يحمل كمية وفيرة من الما، أن يفيض بمعدل حوالى أربعة أقدام مكعبة فى الثانية ، وهو مقدار يكنى لرى حوالى مائتى فدان ريا دوريا ، ويفيض مجرى القناة على السطح المنحدر البسيط الذى يعلو القرية ، ويكون فى البداية نفقا منفردا مهب القوة الكافية لإدارة الطاحون المحلية ،

ثم يتفرع النفق فيها ورا. الطاحون وتفيض فروعه ــ أولا ــ خلال الحدائق والأراضى الني تحيط بالمنازل ، ثم خلال أزقة القرية ، وتنتشر المياه قرب نهاية المنازل لتغطى منطقة ــ على شكل مروحة ــ من الحقول المزروعة .

وتمر الانفاق أو الجداول عبر الحقول — فى زوايا مستقيمة إلى قطع مستطيلة من الارض محاطة بحاجز من الطين ار نفاعه قدم ، وتروى كل قطعة بواسطة نقل المياه من المجرى إليها حتى يغمرها الماء بار تفاع بوصة أو بوصتين . وتروى حقول القمح فى الشتاء — فى أثناء الجو البارد — ثلاث ريات أو أربعا ، وفى الصيف تروى كل قطعة فى فترات تتراوح بين ثمانية أيام وأسبوعين ، وتكون حقوق الرى عادة معقدة جدا ، لان دخل القناه يمكن أن يكون ملكا لشخص واحد ، أو لعدة أشخاص بالشيوع ، يمتلككل منهم أن يكون ملكا لشخص واحد ، أو لعدة أشخاص بالشيوع ، يمتلككل منهم نسبة مثوية مختلفة من مجموع الدخل ويتولى واحد من الرجال أو أكثر نسبة مثوية مختلفة من مجموع الدخل ويتولى واحد من الرجال أو أكثر ضغير مجوف مثقوب فى قاعدته ، ويوضع فى سلطانية أكبر من الماء ، وذلك لقياس الزمن المطلوب لغطسه فى هذا الماء .

والوسيلة الثالثة للرى هي المياه المسحوبة من الآبار، وتتحقق الآن فائدة محدودة - نسبيا - من هذه الوسيلة، اللهم إلا في جنوب غربي إيران حيث تستعمل الحيوانات لإدارة السواق أو سحب أدلاء الماء المصنوعة من الجلد، وكلتا الوسيلتين مألوفتان في بلاد الشرق الآدني وشمالي إفريقية، ومع هذا فإن من المحقق أن الآبار سوف تلعب دورا متزايد الآهمية في الرى، لآن المياه في معظم أجزاء الهضبة تقع على مسافات ليست بعيدة جدا عن سطح الآرض، وقد بدأت إمكانيات حفر الآبار بالآلات ودفع الماء بواسطة المضخات الآلية تلفت الانظار، وتحظى باهتهام كبير؛ وهناك الآن جملة من آلات الحفر تشتغل في أماكن متعددة . ويمكن بواسطة الآبار الارتوازية أو الينابيع التي تفيض من تلقاء نفسها أن تكثر كبيات المياه ، كالبئر التي تفيض الآن في ناحية شهريار بطهران ، وقد حدد المتخصصون مناطق أخرى قليلة ،

تدل طبوغرافيتها العامة وتكوينها السفلى على إمكان وجود الآبار الارتوازية فيها ، غير أنه ليس من المحتمل أن توجد مثل هذه التكوينات المناسبة فى أجزاء كثيرة من الهضبة .

وســائل الزراعة :

تتم زراعة الأرض – حرثها وبذرها وحصدها – بنفس الطريقة المتبعة في البلاد الآخرى في الشرقين الآدنى والأوسط ، وبالوسائل المستعملة منذ آلاف السنين فتُشَقّ الأرض بواسطة عدد من الثيران تجر محراثا مصنوعا من فرع شجرة متشعب ، حده مصنوع من الحديد ، وتسمى المساحة التي يمكن أن تحرث بواسطة ثورين « جفت ، أى « زوج ، وتنطلب من البدور ألني رطل من القمح أو الشعير ، ويتم بذر الحبوب ، وتنقية الحشائش باليد ، ويقطع القمح الناضج أو الشعير بالمناجل ويحزم في حزم ، ويترك للفقراء حق جمع العيدان الساقطة كما ورد في التوراة تماما .

وتحمل الحزم إلى البيدر ، وهو مسطح من الأرض الصلدة يقع فى حافة كل قرية ، وهناك يكوم القمح كومات ، ويدرس بنورج تجره ثيران ، وهو عبارة عن إطار ضخم له حدود بارزة ، تمر ببط فوق الحزم التى تكون فى شكل دائرة مرات عديدة ، وتتم تذرية الحبوب بمذراة فى ربح قوية ، ويطحن الدقيق فى طاحون التربة للاستهلاك المحلى ، بينها يوضع الباقى فى جوالات ، تحملها الحير أو الجمال إلى المدن الكبيرة ، وتستعمل الحكومة أيضا أسطولا من عربات نقل البضائع لجمع القمح ونقله إلى المخازن الكبيرة .

الفصل السادس الصناعات والتجارة الداخلية والتبادل التجاري

الصناعة والتجارة :

قال رضا شاه حينها افتتح الجلسة الآولى للدورة البرلمانية الثامنة فى ديسمبر من عام ١٩٣٠ : « نريد أن تعرف هذه الدورة البرلمانية ـــ فى تاريخ البلاد ـــ باسم الدورة البرلمانية الاقتصادية » .

ومنذ ذلك الوقت ، بذلت كل المحاولات لجعل إيران تمكني نفسها بنفسها بقدر المستطاع؛ وقد بدأت الحكومة العمل بأن قامت بدور حيئة التنظيم الاقتصادية العليا ، فبدأت بتنمية الصناعة في داخل البلاد على نطاق واسع ، غير أنه كان لابد من أتخاذ مقاييس خاصة قبل إنشاء المصانع وإعدادها للعمل ، وكانت الازمة الاقتصادية العالمية قد أثرت في إيران كثيرا ، فكان لزاما على الحكومية أن تنهض بالسيطرة النامة على المعاملات التي تتم عن طريق التبادل الخارجي ، وأن تشرف على تجارة (عملية) الاستيراد حتى لا تشترى الا الصروويات الرئيسية برأس مالها الصئيل المخصص للمعاملات الخارجية ، وكانت فكرة إنشاء شركات ذات رأس مال Stock Companies وطريقة تشغيلها ، يجب ان تشرح للتجار ولرجال الصناعة الجدد وللساهمين الذين يمكن اشترا كهم فيها ، وفضلا عن ذلك كان من الواجب إعداد جملة من الشركات المساهمة التي تشتغل بمسائل التصدير والاستيراد لتوزيع منتجات المصانع التي كانت تحت التأسيس .

وأنشئت وزارة الاقتصاد الوطنى لتنظيم ميادين الزراعة والتجارة والصناعة . وفى عام ١٩٣١ ؛ ووفق على قانون يحتم تسجيل جميع الشركات ، وإلزام هذه الشركات باتباع بعض التنظيمات المعينة . وفى عام ١٩٣٢ ؛ نفذت لائحة قوانين جديدة ، وتزعمت الحكومة حركة إنشاء شركات جديدة ، كان بعضها كله ملكا للحكومة ، وكانت للحكومة نسبة مئوية غالبة فى البعض الآخر ، وكانت الملكية فى البعض القائم مو زعة بين حملة الأسهم فى الشركة الجديدة والحكومة ، وشركة أو أكثر من الشركات الموجودة ، والواقع أن أعمال بعض هذه الشركات وكيفية تقسيمها جديرة بالذكر .

وأسست الشركة المركزية Central Company لتنهض بالمعاملات التجارية في الحارج، وكانت تمولها وزارة المالية والمصرف الزراعي، وكانت تتحكم في شركة القطن، والصوف، وجلود الحيوانات التي كان عليها أن تعد هذه الأشياء وتصدرها.

وكانت شركة المنسوجات القطنية تحتكر واردات أثواب المنسوجات القطنية وبيعها لأفراد النجار وقد قرر لها رأس مال قدره ٢٠٠٠و٠٠٠و ريال، ٢٥٪ منه يملك المصرف الأهلى، ويملك الباقى وزارة المالية ومديرو الشركة، وكان على التجارأن يدفعوا للشركة ٢٠٪ فوق قيمة البضائع ؛ فكان ١٥٪ من هذا الربح يدفع للحكومة ثمنا لإعطائها حق هذا الاحتكار للشركة ، بينها كانت الده ٪ الباقية تدفع عمولة للشركة .

وفى عام ١٩٣٦ حصلت الشركات — التى للحكومة عدد ضخم من أسهمها، أو التى لها فيها أكبر نسبة من الارباح — على امنياز احتكار تصدير أو استيراد الاشياء الآتية: بيض دود القز، والسكر والكبريت، والحشخاش، والحرير، والمنسوجات القطنية، والجوت، والارز، وأوراق اللعب، وجلود الماعز، والغنم، والزعفران والحلتيت، والسجاد، والجوارب الحريرية، والصوف،

والمشروبات الروحية ، والأطعمة المحفوظة فى العلب ، والفراء ، وحقائب اليد ، والاحذية ، والسيارات ، وعربات النقل ، والإطارات ، وقطع الغيار ، والفواكد المجففة .

وهذا معناه أن الحكومة كانت لها سيطرة مباشرة على ٣٣ ٪ من جميع الواردات ، وعلى ٤٤٪ من مجموع الصادرات .

وكانت أرباح الشركات كبيرة ، فمثلا عرضت شركة أسهما للبيع مع ضمان ربح سنوى لها قدره ١٢٪ ،كما حققت شركة أخرى للغزل والنسيج أرباحا تتراوح بين ٤٠ و ٥٠٪ .

وكان جزء من الأرباح التى تتجمع لدى الحكومة يستعمل لإنشاء المصانع، والمشروعات الصناعية ، وكانت هناك بطبيعة الحال محاولة لجعل ثمن البضائع المستوردة عاليا نسبياً ، وكان أهل إيران — نتيجة لهذا — يدفعون شيئاً للتوسع الصناعى فى بلادهم عن طريق نوع من الضرائب غير المباشرة.

ودخل نظام الاحتكار والمراقبة فى طور جديد حوالى سنة ١٩٣٧ بعقد اتفاقات مبادلة (مقايضة) بين إيران وألمانيا ، وبين إيران وروسيا السوفييتية ، فأرسلت روسيا المنسوجات القطنية والسكر والاشياء الاخرى فى مقابل الصوف والارز .

ولما جلت الحرب العالمية الثانية ؛ لعب نظام الاحتكار دوراً مهما للغاية في الحياة الاقتصادية للبلاد ، لأن مصادر التموين المحدودة ، وصعوبة الشحن في السفن ، جعلت من الضرورى على الحكومة الإيرانية أن تستورد عن طريق عملاء الحلفاء ، فلم تكن تستورد إلا الاشياء الضرورية ، وكان نظام التموين في وقت الحرب _ أيضاً _ من العوامل التي جعلت الحكومة في شغل شاغل .

وقد ألغيت احتكارات كثيرة منذعام ١٩٤٧ ، وأخذ البرلمان والحكومة يدرسان نظام الاحتكار جميعه ، لتقرير ما إذا كان ينبغى أن يبتى الاحتكار جزئياً ، أو أن يلغى تماما .

وكان فى إيران أقل من مائة شركة أجنبية مسجلة فى المدة ما بين ١٩٢٥ وكان فى إيران أغلب هذه الشركات يشتغل بالتجارة والتأمين والنقل ، وكان سبعا منها ـــ فقط ـــ شركات صناعية .

وفى عام ١٩٤٣ زودت إنجلترا رأس المال الآجنبي المستثمر في إيران بمبلغ ٥٠٠و،٥٠٠ جنيه استرليني، وضعت أغلبه في المصرف الإمبراطوري (Anglo—Iranian)، وفي شركة البترول الإنجليزية الإيرانية Oil Company) م اقتفت روسيا السوفييتية أثر إنجلترا فزودت رأس المال الاجنبي بمبلغ ٥٠٠٠و، واحنيه وضعتها في شركات التأمين والنقل، والسياحة، وشراء منتجات البترول، واقتفت دول أخرى أثرهما إلى أبعد حد.

وطبيعى جدا أن تتخلف إيران — كثيراً — عن العالم الغربى فى ميدان التصنيع ، واستعمال الآلات الحديثة ، فنى نهاية الحرب العالمية الأولى كانت هناك صناعات قليلة فى داخل البلاد لا تعدو بعض مصانع توليد الكهرباء على نطاق محدود ، ومصانع قليلة للكبريت . وقبل أن توقف الحرب العالمية الثانية برنامج رضا شاه المفصل لتصنيع البلاد ، استطاع أن ينشى ثلاثين مصنعا متوسطة الاتساع ، تملكها الحكومة وتديرها فضلا عن مائتى إدارة أخرى للصناعة ، وكان الاهتمام منصبا — غالبا — على نسج المنسوجات ، تليها — في المرتبة الثانية — المواد الغذائية ، ومنتجات الحضروات .

وكان البرنامج الصناعى — عامة — ذا هدف واحد، وكان ينفذه متخصصون أجانب ومهندسو في إيرانيون دربوا في الحارج، وكانت المصانع تقام في أماكن معينة خاصة بجوار السكك الحديدية الجديدة، والمناطق التي بها رواسب معدنية، والمساحات التي تصلح لإنتاج المنتجات الزراعية، وقد صمم كثير من هذه المصانع بمعرفة الشركات الاوروبية التي أشرفت عليها، واشتريت لها آلات حديثة جديدة من إنجلترا، وألمانيا، والسويد وغيرها من الدول.

ويوجد فى كل مدينة تقريباً _ أياكانت مساحتها _ مصنع لتوليد الكهرباء للإضاءة وإدارة الآلات ، وتستعمل أغلبها محركات الديزل ، ويدار قليل منها بالفحم .

وتوجد سبعة معامل كبيرة لنكرير السكر ، فى أجزاء مختلفة من البلاد ، حيث توجد مساحات كبيرة من الاراضي الصالحة لزراعة البنجر .

وقد أنشئت مصانع النسيج في أماكن متعددة من البلاد ، ويحلج القطن في محالج محلية كثيرة ، حيث أقيمت مصانع كثيرة تدار بالآلاث ، ويوجد ٢٩ مصنعا للغزل والنسيج فيها ٢٩،٣٠٣ مغزل ، وأكبر من ٢٠٠٠ و ٣٠٠٠ نول ؛ وهي تنتج حالياً ٥٠٠ و ٢٠٠٠ و ٣٠٠ متر من الأقشة القطنية — أى حوالي إ احتياجات البلاد — و ٥٠٠ و ٢٠٤ و ٢٠٥ حزمة (بكرة) من الغزل ، وهناك مصنع ينتج الحنيوط القطنية ، وخمسون مصنعا صغيراً لصناعة الجوارب ، والبضائع المحبوكة على ٥٠٥ نول يدوى ، وتضم عشرة مصانع لغزل الصوف ونسجه ٢٣٦ نول ، وتنتج الآن ٢٥،٤٢٩ متر من القياش — أى نصف الاستهلاك السنوى — و تنتج الآن ١١٥ و ١٤٠ متر من القياش — أى نصف الاستهلاك السنوى — من المصانع مملوك ملكا خاصا ، ويربى دود القز على طول الساحل القزويني ، من المصانع مملوك ملكا خاصا ، ويربى دود القز على طول الساحل القزويني ، حيث يوجد مصنع حكومى في جالوس ، يقدر إنتاجه السنوى بـ ٢٠٠٠ و ٢٢٤ متر من الأقشة الحريرية .

وقد أقيمت مصانع لحفظ اللحوم والفواكه على طول الساحل القزوينى ، وتوجد مصانع أصغر لحفظ الحضروات والفواكه فى شمالى البلاد ، ويوجد مصنع لحفظ السردين فى بندر عباس على الخليج الفارسى ، يبلغ إنتاجه السنوى خمسين طنا . وتعصر الخضراوات ، ويصنع الصابون من زيوتها فى كثير من المصانع ، ويوجد فى جنوبى طهران مصنع للزيوت النباتية يقدر إنتاجه السنوى بد . . . ويوجد مصنع حكومى فى طهران ينتج ويوجد مصنع حكومى فى طهران ينتج . . . و و و و و م طنا من الجلسرين كل عام وينظف القمح والشعير فى سبعة مصانع تملكها الحكومة ، وتخزن الحبوب فى مخاذن كثيرة محكمة ، ثم تطحن فى أحد عشر مطحنا ، ينتج كل منها ٣٠ طنا من الدقيق يومياً .

وقد أنشأت الحكومة ـــ وهي تحتكر الطباق ــ مصنعا حديثا ، ذا إنتاج سريع لمنتجات الطباق في طهران ، وهو ينتج السيجار والتبغ للغليون ، ودخان النرجيلة ، والنيكوتين المركز ، ويستطيع أن ينتج ١٢٥٠٠٥٠٠٥ سيجارة من مختلف الاصناف يوميا .

وفى عام ١٩٤٧، كانت العشرون سيجارة من أرخص صنف تباع بعشرين سنتا، بينها كانت العشرون من أحسن صنف تباع بأربعين سنتا⁽¹⁾، وهي أنمان تساوى ثمانية أضعاف أثمان عام ١٩٣٩، وهذه الزيادة لم تنتج من ارتفاع تكاليف الإنتاج ؛ بل تتجت عن ارتفاع الأرباح التي تأخذها الحكومة عن طريق احتكارها لهذا الصنف المهم .

وتعد طهران ــ أيضا ــ مركزا لإنتاج مواد البناء، حيث يوجد فيها مصنع تملكه الحكومة، ينتج ٣٠٠ طن من الآسمنت يوميا، كما تحرق الآفران الموجودة على الحافة الجنوبية للمدينة حوالى أربعة ملايين مر قوالب الطوب يوميا.

ولكن إنشاء المصانع لصهر المعادن وصنعها لا يساير التوسع الصناعى في الميادين الآخرى. ويوجد مصنع حكومى بالقرب من طهر أن، ينتج السبائك والآسلاك النحاسية ، ولكن الصلب والحديد يستوردان في الوقت الحاضر من الدول الآخرى لجميع الإنشاءات المعهارية ، ولما قامت الحرب العالمية الثانية ؛ كان مصنع كبير للصلب قد تم إنشاء أكثر من نصفه في مدينة «كرج» على بعد ٢٥ ميلا من طهر أن، وكان هذا المصنع يضم أفر أنا للصهر والتفجير، وأسطو انة لبسط المادة ؛ كاكان قريبا من مناجم الفحم والحديد ، وقد أنشى، لإنتاج القضبان ، والحدائد الثقيلة ، والعهادات الحناصة بخطوط السكك الحديدية ، ولصنع الدعائم وكرات الحديد للمنشآت البنائية والمعابر .

وتنتج مصانع أخرى مملوكة ملكا خاصا ، أو مملوكة للحكومة ؛ كربونات الصوديوم ، والصودا الكاوية ، وحامض الهيدروكلوريك ، وحامض الكبريت. (السلفريك) ، وبيكرومات (ثانى كرومات) البوتاسيوم لدبغ الجلود ، والبوراكس ، والجنور والبيرة .

⁽١) كان السنت يساوى فى ذلك الوقت مليمين بالعملة المصرية تقريبا (المترجم) .

والصناعة مركزة فى طهران ، وتوجد مراكز ثانوية للصناعة على طول الساحل القزويني وفى الإقليم الشمالى الغربى لآذربيجان ، ويقدر المجموع الكلى للعمال الصناعيين بما يزيد على . . . و ٢٠٠ عامل ، منهم . . . و ٣٠٠ يعملون فى شركة البترول الإنجليزية الإيرانية ، و . . . و ٢٥ فى مصانع النسيج .

ولم يكن يسمح بإنشاء نقابات للعال فى أثناء عهد رضا شاه ، وقد أنشئت الاتحادات الأولى من هذا القبيل فى عام ١٩٤٢. واستطاع حزب توده — وهو حزب سياسى — أن يسيطر على لجنة مركزية لاتحاد نقابات العال التجاريين ، وأن ينظم لها فروعا محلية فى المراكز الصناعية فى البلاد . وقد استفادت اللجنة المركزية استفادة فعاله من الضغط السياسى والإضرابات للحصول على أجور أعلى ، وتحسين أحوال العمل لاعضاء الاتحاد .

وفى عام ١٩٤٦، أصدرت وزارة العمل ــ المنشأة حديثا ــ قوانين للإشراف على تكوين نقابات العمال، وتنظيم نشاطها، واستوعبت كثيرا من النقابات الموجودة فى اتحاد سمته: «الاتحاد الحكومى لرعاية العمال الإيرانيين».

النجارة الخارجية:

مكنت القوانين التى فرضتها الحكومة الإيرانية وأشرفت على تنفيذها
_ فى المدة التى سبقت الحرب العالمية الثانية _ إيران من الاعتماد على ميزان
مناسب للتجارة الخارجية رغم أنه كان ميزانا مضطربا ، فنى السنوات التى مالت
أسعار الواردات فيها إلى الزيادة ، استعملت البلاد العملة الاجنبية المتحصلة
من استغلال امتياز البترول فى شراء البضائع الاجنبية ، وبذلك تجنبت التصدع
فى نظامها الاقتصادى ،

وتمثل الإحصاءات الواردة فى الجدول التالى المجموع الكلى لتجارة إيران الخارجية خلال بضع سنوات ، وقد أخذت من نشرات إدارة الجمارك الإيرانية ، وتشمل الارقام الخاصة بالواردات مشتريات الذهب والفضة ، ولكنها لا تشتمل على قيمة البضائع التى أعفيت من الرسوم الجمركية ، كما أن

أرقام الصادرات لا تشتمل على قيمة منتجات الزيت المصدرة من إيران عن طريق شركة البترول الإنجليزية الإيرانية ، ولا تضم قيمة التجارة الحارجية التي تمت بمقتضى اتفاقيات المقايضة وقد تم تحويل الارقام الاصلية من الريالات الإيرانية إلى الدولارات الامريكية بناء على السعر الرسمى الذى تتم به المعاملات كما كان سائدا فى كل سنة تم فيها التعامل. وقد كانت قيمة الريال الإيراني سنة ١٩٤٢ سائنسبة للدولار الامريكي أكثر ارتفاعا منها في أى وقت آخر منذ ذلك الحن:

مجموع التبادل التجارى	الواردات	المسادرات	
۲۱۶٫۳-۷٫۰۰۰ دولار	۰۰۰ر، ۱٤٤ دولار	۷۱٫۵۰۷٫۰۰۰ دولار	1920
» ۲۰۰ ₀ ,٦٩١,٠٠٠	» ۱۲٦,٦١٥,٠٠٠	» ٧٩ ₅ -٧٦ ₅	1987
» 18V, 10,	» ٩٥,0٦٩,···	» «۲,۲٤٦,···	1980
۰۰۰ره ۲۱ و ۱۱ «	۰۰۰ر۲۹۸۸ و	* Y E, W79,	1988
۰۰۰ره ۱۸ ۲۸۸ «	» £7,98£,···	» ۲1,771,···	1124
۰۰۰ر۲۹۸٫۲۰۰	» ٣٩,٩٣٩,٠٠٠	» 17,17·,···	1124
» (۱)، «۲٦٦,···	» ٢٣,٧٩٤,···	۰۰۰ و۷۲ و ۳۱	1121
» ۱۰٤٫٦٧٧,٠٠٠	» «·›« ٨٤,···	» « ٤,·٩٣,···	198-
۰۰۰ر۳۷۳٫۳۷۳ «	» ٣٣,٤٤٢,···	» ٤٣,٩٣٤,···	1949

وأغلب الواردات الإيرانية عبارة عن : الآلات ، والسيارات ولوازم السكك الحديدية ومواد البناء ، والمنسوجات القطنية ، والسكر ، والشاى ، وفيها يلى قوائم شاملة — تقريبا — لواردات البلاد وصادراتها :

الواردات :

سيارات المسافرين ، والسيارات العامة ، وسيارات النقل ، والدراجات البخارية والدراجات وقطع غيارها ، والإطارات وأنابيبها ، ولوازم السكك الحديدية ، والقضبان ، والحديد والصلب اللازمان للبناء والصناعة ، والمواد

⁽١)كتب هذا الرقم فى الأصل ٢٦٦٠٠٠ وهو خطأ كما يبدو من يحوع الصادرات والواردات ، والصحيح ما ذكرنا (المترجم) .

الكيميائية اللازمة للصناعة ، والمواد الآقرباذينية وأدوات الزينة ، والورق ، وأوراق اللعب ، والتوصيلات الكهربائية ، ولوازم الإضاءة ، وبيكات (كوبسات) النور ، والاسلاك من جميع الانواع ، وأجهزة التليفون والراديو والموتورات الكهربائية ، والمحولات ، والبطاريات المشحونة ، وموتورات الديزل والمبردات الميكانيكية ، والمواقد ، ومضخات المياه اليدوية ، والميكانيكية ، والادوات الصينية ، والادوات الزجاجية ، والملابس القديمة المستعملة والادوات السيامة والآلات الراعية ، والمسكر والشاى والبن والكاكاو والتوابل ، وأدوات السيارات ، وتوابعها ، والمنسوجات الصوفية والحريرية ، والحردوات ، وتوابعها .

الصادرات: الغنم والماعز، وجلود الحملان، وجلود الحيوانات المفترسة، والصموغ وصمغ الصنوبر، وزيوت البلسم، والعصارات الطبيعية، والقطن والصوف، وجلود الحيوانات، والأرز والقمح، ومصارين الغنم لصنع السجق، والسجاجيد والأبسطة المنسوجة يدويا، والفواكه الجافة، والزبيب، والكافيار، والمعادن، والخشخاش، والزيت، ومنتجات الزيت.

ويبين الجدول التالى الانصبة المتعلقة بالدول الاجنبية فى التبادل التجارى الخارجي مع إيران:

الدول الاجنبية	الخارجية مع	لنجارة إيران	النسبة المئوية
Wa * * *	M	-	***

1184	1127	1111	1127	112.	1944	1940	
							الولايات المتحدة الأمريكية
71,54	10,12	٤,٦٥	•,••	٤,٠٠	٠,٠٠	10,	الملكة المتحدة
1 - , + +							
11,40							
-	٠,٢٨	٠,١٠	1,40	٤٠,٠٠	٤١,٠٠	14,4.	المانيا
٠,١٧		_	1,00		۲,۰۰	۰٫۹۰	اليابان
7,44				,			قرئسا در د
27,77	11,11	۲۰,٦٠	10,	۲۱,۰۰	17,	11,7.	الدول الا خرى

وفى المدة الواقعة بين ١٩٤٥و ١٩٤٠ ازدادت المعاملات التجارية الخارجية بين إيران وروسيا السوفييتية وبينها وبين ألمانيا ونشطت ـــ بسبب اتفاقيات التبادل التجارى ، واتفاقيات الدفع الخاصة ـــ بين إيران وألمانيا .

وفى أثناء الحرب العالمية الثانية ارتفعت الهند إلى المرتبة الأولى فى المعاملات التجارية الخارجية نظراً لقدرتها على الإمداد بالمواد الحيوية التى لم يمكن من المتيسر الحصول عليها من الدول الآخرى .

وقد أصبحت التجارة الخارجية بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية ذات أهمية متزايدة لأن الولايات المتحدة تعد الآن أكثر الدول شراء السجاد الإيراني ، ولجلود الحلان ، كما أنها تقوم بشراء نسبة منوية كبيرة من الصمغ ، والمصارين لصنع السجق ، هذا فضلا عن أن إيران تقوم غالباً بشراء جميع السيارات الحاصة وسيارات النقل وقطع غيارها ، والإطارات وأنابيبها من الولايات المتحدة وحدها . كما تمد الولايات المتحدة إيران أيضاً بما يلزمها من الأدوات الكهر بائية ، والموتورات ، ومضخات المياه ، والأدوات الصينية والزجاجية ، والأدوات الكيميائية وأدوات الزينة . وتضرب مثلا بعام ١٩٤٨ والزجاجية ، والأدوات المتحدة فيه لإيران بضائع بلغت قيمتها ٠٠٠و ٢٥٥٣ و٢٥ دولار ، واستوردت من البضائع الإيرانية ما بلغت قيمتها ٢٠٠٠ ٢٠٥٥ و٢٥ دولار ،

صناعة السجاد:

بلغ فر صناعة السجاد فى إيران — فى خلال القرن السادس عشر (العاشر الهجرى) — مرتبة لم تدرك قط فى أية دولة أخرى، وكانت صناعة السجاد ذى الوبر، والابسطة صناعة وطنية محلية منذ قرون عديدة، غير أن أقدم قطع السجاد المحفوظة يرجع تاريخها إلى نهاية القرن الحامس عشر (التاسع الهجرى)، كما توجد أبسطة مصورة فى المنمنات (منياتور) التى يرجع تاريخها إلى القرنين الرابع عشر والحامس عشر (الثامن والتاسع الهجريين)، أو فى الصور الاوروبية المرسومة بالزيت ويرجع تاريخها إلى هذه الفترة نفسها.

وما زالت الأنوال اليدوية التى تستعمل فى صنع السجاد الفاخر توجد فى إيران على نطاق واسع، ويتبع نظام إعداد المواد، وطرق النسيج، واختيار النماذج والألوان نظام النماذج القديمة نفسه، ويعتز سكان البلاد بهذا السجاد، ويعدونه من أغلى بمتلكاتهم، وفضلا عن ذلك فإن السجاد الايراني يكون أهم جزء من صادرات البلاد، وهو يستطيع منافسة السجاد الذى تصنعه الدول الغربية حتى الوقت الحاضر، وتستعمل الدول الغربية الماكينات فى نسج السجاد، وتصنع الولايات المتحدة الأمريكية سجادا مطابقا تماما للسجاد الإيراني بواسطة الأنوال المدارة بالمحركات، ولكنه يبدو دائما أقل روعة و تلألؤا من النماذج الأصلية؛ وأغلب الظن أن عدم انتظام نماذج الرسم وألوانها فى السجاد الإيراني هو مصدر جماله وسربريقه.

وتشرف الحكومة على نوع السجاد المخصص للتصدير ، فتدعو النساجين إلى استعمال صبغات ثابتة . وتستعمل الصبغات الزيتية إلى حد ما ، بينها تغلى الحيوط ... فى أخلو من أغلب مراكز النسيج ... فى أحواض تحتوى على مواد للتلوين لمدة معينة ، مثل العروق الحمر ، والنيلة ، واللون القرمزى ، وأعشاب الصباغة ، وقشور أو جلود اللوز والجوز ، والفستق ، والرمان .

وتتم صناعة السجاد ــ غالباــ فى مصانع خاصة ، والمصنع عبارة عن منزل عادى واسع ، يوجد فيــه نولان أو أكثر أما المنشآت التى بنيت خصيصا لإقامة الأنوال فيها فقليلة نسبيا .

وفى عام ١٩٣٦؛ كان عدد النساجين الذين يعملون فى بعض مراكز إنتاج السجاد المهمة كالآتى :

أرك وما جاورها	•	٦٦,٦٨٠
قم کرمان		1,700
كرمان		۰۰۰و۸
مشهــــــــــــــــــــــــــــــــــــ		۲
برجنب لم		۲,۸۰۰

Y••	سبزوار
£ • •	كاشـــان
Y, • • •	م_دان
۸۱,۸۸۰	الجمــوع

ولا تشمل هذه الارقام النساجين فى شيراز ، وتبريز ، وبجار ، وسنا ، وبعض المدن الاخرى ، ويحتمل أن يكون بحموع المشتغلين بصناعة النسيج فى فترات العمل المختلفة قريبا من ١٠٠٠٠٠ نساج .

وينسج السجاد غالبا على قاعدة (أرضية) من خيوط القطن ثم يقام الوبر من شطوط من لفات الصوف أو الحرير تعقد حول خيوط القاعدة ثم تقطع بعد ذلك ، ويفضل القطن على الصوف فى خيوط القاعدة ، لأن العقد يمكن أن تعقد على مسافات أكثر تقاربا على الشطوط القطنية الضيقة . وقد تشتمل السجادة السميكة على ستين عقدة فى كل بوصة مربعة ، بينها تشتمل السجادة ذات الصنف الفاخر على ماتى عقدة .

ويحتوى السجاد الرائع الموجود منذ القرن السادس عشر (العاشر الهجرى) على أربع) أنه عقدة فى البوصة المربعة ، وتوجد هذه الحاصية أحيانا فى قطع السجاد الحريرية الغالية جدا ، ولا علاقة لعقد العقد الموجودة فى البوصة المربعة بخصائص النسيج ، ولكن الصناعة البارعة تعطى أهمية فائقة للألوان التى تتكون منها نماذج الرسم .

وفى المصنع، يعد رسم أولى لكل سجادة ،كما تعد صورة دقيقة كاملة لمنظر الألوان المستعملة فى أجزاء النموذج ، وإذا أريد صنع سجادة كبيرة ، فإن ثلاثة أو أربعة من البالغين ، أو من الأطفال يجلسون أمام نول ، ويرشدهم ملاحظهم حميعا الرسوم المعدة ـ إلى عدد العقد ولونها ، فتعقد بواسطة كل واحد منهم ، ويسير العمل و يتقدم على هذا المنوال .

وينتهى صنع السجادة ، وهى لا تزال على النول ، وحينها يتم صنع جزء طوله قدمان يقطع ملاحظ العهال الوبر ويضعه علىسطح مستوعلى نسق واحد، وهكذا يتقدم العمل ببط ً حتى تنتهى السجادة . ويستغرق صنع سجادة ـــ من الحجم المتوسطـــ شهرا تقريبا ، بينها تستغرق صناعة سجادة ضخمة ـــ يبلغ عرضها ١٥ قدما وطولها ٣٥ قدما ــ أكثر من سنتين ، ويصنع هذا النوع من السجاد في بعض الاحيان .

ويعرف السجاد فى التجارة بو اسطة أسماء المدن أو الآقاليم التى يصنع فيها . وهناك مدن كثيرة لها نماذجها الخاصة ، ولها تركيبها الخاص للألوان بحيث يمكن أن يعرف السجاد المصنوع فى كل منها بسهولة . ورغم هذا ما فقد قام مركز صناعة السجاد فى وأرك ، بصناعة سجاد لشركات تعمل فى الولايات المتحدة ، فأخرج نماذج من السجاد تروق الذوق الامريكى . وهذا السجاد المسقريبا من النماذج التقليدية للسجاد الذى يصنع فى الاقاليم الاخرى ، كما يصنع فى أرك أيضا سجاد بعدد كبير لينى بحاجات الفنادق الامريكية والمطاعم، والمبانى العامة الاخرى . وتتبع النماذج والاحجام الخاصة بهذا السجاد الرسوم المعروفة فى الولايات المتحدة .

كما تنسج قطع كبيرة كثيرة من السجاد أيضا بواسطة نساء البدو، أو بواسطة الجمعيات الزراعية ، وهي لا تصدر غالبا ، ولا يعمل لها رسم أولى ، وتكثر فيها الرسوم الهندسية الكبيرة ، كلما اتسع النسيج .

وقد أسست منذ عشر سنوات شركة تعرف باسم شركة السجاد الإيرانية ، وهى مؤسسة حكومية تشرف على جميع الأنوال المستعملة فى صناعة السجاد فى أنحاء البلاد ، وحينها ظهرت هذه الشركات كانت نشيطة تنتج السجاد وتبيعه وتملك حوالى ٤٠٠٠ نول .

والولايات المتحدة ــ منذ زمن بعيد ــ هي أكثر الدول شراء للسجاد الإيراني وتليها إنجلترا ثم تركيا .

وقد اشترت الولايات المتحدة فى المدة الواقعة بين ١٩٣٢ و ١٩٤٣ممن السجاد الإيرانى ما تزيد قيمته على ٥٠٠٠و٣٠ دولاركل عام .

وقد بدأت الصادرات تقل فى الوقت الحاضر نظرا لنفقات الإنتاج المتزايدة ، إذ تبلغ نفقات نسج المتر المربع من السجاد — الآن — حوالى ٢٥ دولارا ، بينها يبلغ متوسط إنتاج النول حوالى عشرة أمتار مربعة سنويا ، كما يشترط فى السجاد الذى يمر من الجمارك الإيرانية — لتصديره للخارج — أن يشتمل على صبغات ثابتة ، وأحيانا تعمل اختبارات للصبغات التى تتكون منها ألوان السجاد . وتعد شركة السجاد الإيرانية أكبر شركة لصناعة السجاد وتصديره .

الفصلالسابع

النسست

الطـــرق:

يرجع تاريخ الطرق، والتجارة الخارجية، والسفر في إيران إلى عهد موغل في القدم؛ فني العصر الآكميني امتد الطريق الملكي الشهير من مدينة السوس عبر ما بين النهرين وآسيا الصغرى إلى مدينة سرديس القريبة جدا من الساحل الإيجى، وكان بحوع طوله حوالي ١٥٠٠ ميل. ويعتمد نظام البريد الموضوع في الوقت الحاضر، الذي ينفذ بطريقة أو بأخرى في القرن العشرين على الفكرة القديمة التي كانت تقوم على إنشاء بحموعة من الاستراحات على طول الطريق على مسافات متناسبة، لينزل فيها الرسل الحكوميون أو المسافرون حيث يجدون المسكن والمأكل، والحيل القوية المستعدة.

ومنذ بداية العصر المسيحى استعمل الطريق الرئيسى الكبير —الذى يربط بين الشرق والمغرب — بكثرة وهو يمتد من الصين إلى البحر الآبيض المتوسط، وكان يطلق عليه اسم وطريق الحرير، (Silk Route) ولم يكن يحمل عبره الحرير فحسب بل كانت تحمل أيضا كميات من الحزف والتوابل والسلع الآخرى من الشرق الآقصى إلى أسواق العالم الغربى، وكانت قو افل الجمال—التى خلدت مناظرها على النتوءات المشهورة فى برسبوليس — هى الطريقة الرئيسية النقل خلال قرون كثيرة، إلى أن وجدت شبكة من طرق التجارة، وأخذت تنتشر حتى شملت إيران، وبعض خطوط هذه الطرق مطابق الطرق الحديثة، أما الطرق الآخرى، فيمكن أن تعرف معالمها بالخانات المهجورة التى كانت معدة لمبيت القوافل، وبواسطة القرى الخربة، وكانت سلامة القوافل تحظى معدة لمبيد من الحكومة؛ فمثلا فى أوائل القرن الرابع عشر الميلادى أنشئت

مراكز للحراسة على طول الطرق المهمة ، وكان الموظفون المحليون يجبرون على تعويض أية خسارة تصيب القوافل نتيجة للهجهات التى تتعرض لها وهى تمر في المناطق التى يشرفون عليها.

ويمكن أن تشاهد الحانات المعدة لمبيت القوافل على مسافات تباغكل منها عشرين ميلا على طولكل طريق ، وقد أنشأ الشاه عباسكثيرا منها فى أوائل القرن السابع عشر الميلادى (الحادى عشر الهجرى) .

ويصل عدد هذه الخانات تبعا للأقوال الشائعة إلى ٩٩٩ خانا ، وبعضها أقدم عهدا من ذلك العصر ، بينها بنى الحديث منها بواسطة الحكومات المحلية ، والصالحين من الاغنياء ، أو بواسطة أصحاب الفنادق أنفسهم ، وهذه الخانات مبنية من الآجر أو الاحجار فى شكل مستطيل ، وهى مصممة على أساس وجود فناء واسع مفتوح فى وسطها ، وبثر فى وسط الفناء ، وتوجد — حول الفناء — حجرات للرجال ، واصطبلات للحيوانات ، وكانت الخانات تستعد للترحيب باستقبال القادمين فى نهاية كل يوم بحيث يبدو منظرها بهيجا . وقديما لم يعجب مسافر بهذه الخانات ، فكتب يقول : « وحينها وصلنا إلى الخانات لم نجد مضيفا ، ولا فتيات صغيرات للترحيب بنا ، كما لم نجد أثانا اللهم إلاحيطانا لم نجد مضيفا ، ولا فتيات صغيرات للترحيب بنا ، كما لم نجد أثانا اللهم الاحيطانا عارية ، فكان كل ما وجدناه ينحصر فى منزل مفتوح ليس فيه كأس من الخر المنعش يطرد عنا متاعب السفر . غير أننا — بعد أن تناولنا بقايا الاطعمة الني كانت معنا بالامس — عدنا إلى الراحة فى لهف شديد وسط ضوضاء أجر اس الحالين ، وأكل الحيوانات وصهيل الخيول ونهيق الحير ، وغناء الحدم وأحاديثهم ، وطنينهم ، وطنينهم » .

ولم تذكن الطرق القديمة التي تخترق السهول الفسيحة معبدة تماما، أما في الممرات الجبلية، فكانت تنحت درجات عريضة ـ أشبه بدرجات السلم ـ في الصخور الجرداء، وقد أنشأ الشاه عباس نوعا أحسن من الطرقي يسمى وسنك فرش، أي و البساط الحجري، وهو عبارة عن رصيف من الحجري يقام على جسر عال من الارض، ولا زالت توجد أجزاء منه جنوبي طهران، وعلى طول الساحل القرويني .

ولا تشاهد قوافل الجمال بكثرة — الآن — عبر الطرق الكثيرة المعدة للسيارات، ولكنها مازالت مألوفة فى الجزء الشرق من البلاد، حيث توجد الطرق القديمة التى تختمق الاراضى الصحراوية التى لا تصلم لمرور السيارات.

والجمل نفسه من الحيوانات العجيبة في طبيعته — كما تصوره قصة عربية قديمة — تقول إن الله قد خلقه بعد أن خلق جميع الحيوانات، وأنه قد أبدعه عا تخلف من هذه المخلوقات من نفايات عجيبة، وقد كتب رحالة أوروبي ساح في الأراضي الإيرانية منذ حوالي قرنين يقول: والجمال من الحيوانات المنتشرة في الران، وهي عظيمة الفائدة والقيمة والثمن في تلك الأجزاء الشرقية، وهي تعمر طويلا، فكثيراً ما تزيد أعمارها على ستين عاما، وهي ذات طبع هادئ لطيف، وهي صبورة في السفر، ذات قوة عظيمة، تستطيع أن تحمل بسهولة حملا يزن حوالي ١٠٠٠ رطل، وتقنع بالقليل من الطعام من أرخص الانواع كأوراق الشنجر والحسك، والحشائش المهملة وما شابهها، وتكتني بالقليل من الشراب؛ فني مثل هذه البلاد الجافة، تستطيع عادة أن تكف عن الشرب من أربعة أيام، .

وإذا خرجت القوافل فى رحلة طويلة ، فإنها تبدأ السير - غالباً - فى وقت الغروب وتسير ما يقرب من ثلاثة أميال فقط ، ثم تتوقف ويعد لها المناخ ، ويراجع ما معها من رجال ويرسل شخص لجمع الأشياء التى تكون القافلة قد خلفتها عند بدء تحركها . ويقاس طول الطريق بالفراسخ التى لا يطرد طولها على نسق واحد ، فالفرسخ فى الأرض المنبسطة حوالى أربعة أميال ، وتقطع القافلة حوالى بينها هو فى المناطق الجبلية حوالى ثلاثة أميال . وتقطع القافلة حوالى نصف فرسخ فى الساعة ، ويبلغ متوسط سيرها فى اليوم الواحد أربعة أو خسة فراسخ .

وتبدأ القوافل سيرها بعد الغروب إذا كان الجو حارآ أو كانت الرحلة طويلة ، وتواصل سيرها طوال الليل ، ويحمل كل من الجمل الذى فى المقدمة ، والجمل الذى فى مؤخرة الموكب الطويل جرسا ضخها معلقا فى رقبته ، وتظل القافلة سائرة ما دامت الآجراس تدق وتعلم كل مرحلة من مراحل الرحلة بالحان ، حيث تحط الأحمال من فوق ظهور الجمال ، وتطلق الجمال للرعى في أثناء النهار ، بينها يذهب الرجال في النوم .

وقد أصبحت الحاجة ملحة إلى طرق حديثة بعد إدخال السيارات النقل منذ القرن التاسع عشر ، ويبدو أن أول طريق حديث أنشي في إيران هو الطريق بين طهران وقم ، الذي أنشي في ١٨٨٣ ، وفي عام ١٨٩٩ افتتح طريق جديد من رشت على بحر قزوين إلى طهران وقد أنشي قسم منه بواسطة شركة روسية ، وأنشي الجزء الباقي بواسطة الحكومة الإيرانية ، وهناك طرق أخرى أنشئت منذ مدة لتربط روسيا بمواقع في شمالي إيران ، وقد نظر إليها على أنها نوع من الامتيازات ، وسمح لمنشئها بصيانة هذه الطرق واستعهالها ، والإنفاق على الخيل والمنازل التي على طول هذه الطرق . وقد منحت امتيازات لشركة روسية وأخرى إنجليزية تسمى الشركة الإيرانية للطرق والنقل . وجدت شبكة جديدة من هذه الطرق المخصصة لسير السيارات امتد فرع منها من طهران إلى الخليج الفارسي في عام ١٩١٤ . ولكن النقل بالسيارات ظل محدوداً جداً ، وفي عام ١٩١٩ ؛ سافرت قوة بريطانية في سيارات فورد من بغداد إلى قزوين فاصطرت إلى القيام بكثير من الاعمال الميكانيكية لإصلاح السيارات وهي تعبر الجزء المرتفع من الطريق .

وقد بدأ إنشاء الطرق فى العصر الحديث بعدعام ١٩٢٥ بأمر من رضا شاه، وظل يتقدم باطراد حتى عام ١٩٤١، ثم تمت أعمال إضافية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، ولم تكن الطرق التي أنشئت فيها سبق - متسعة اتساعا كافيا، كما لم تشيد على أساس متين يستطيع أن يتحمل سيارات النقل الثقيلة ، فأعيد إنشاؤها جميعاً من الحصباء على قاعدة من الحجارة المسحوقة .

ويوجد فى إيران عدد يتراوح بين ٢٠٠٠٠٠ و ٣٠٠٠٠٠ سيارة، وهذا العدد يشمل أكثر من ٨٠٠٠٠ سيارة لنقل البضائع ، وحوالى ٢٠٠٠٠ سيارة لنقل الركاب ، ويمكن أن ترسم على الخريطة الطرق الرئيسية فى البلاد، ويوجد منها

- فى الوقت الحاضر - حوالى ٠٠٠ و ميل ويخترق كل طريق منها ـ مهما كان طوله ـ الممرات الجبلية المرتفعة ، ويستخدم ـ فى كل شتاء ـ مئات من القرويين فى صيانة الطرق ، وحفظها مفتوحة . ولا تزيد أحسن الطرق على ٢٪ ، ويبلغ متوسط نصف قطر المنحنيات ٢٧ ياردة ، وتوجد المحطات المزودة بمضخات الجازولين على مسافات لا يزيد البعد بينها على ٥٠ ميلا ، ويمكر . بمضخات الجازولين فى كثير من القرى فى صفائح تسع كل واحدة منها خسة الحصول على الجازولين فى كثير من القرى فى صفائح تسع كل واحدة منها خسة جالونات ، وفى عام ١٩٤٩ كان الجازولين يباع بسعر محدد قدره ٤٥ سنتا(١) للجالون رغم أنه كان يستخرج ويكرر فى إيران .

وبوجد حوالى ٥٠٠و١٥ ميل من الطرق الفرعية التي تعد في المرتبتين الثانية والثالثة ؛ والطرق التي في المرتبة الثانية تتحمل عدداً أقل من العربات ، وهي أضيق ، وأخف رصفا ، أما الطرق التي في المرتبة الثالثة فهي تربط بين الطرق الرئيسية والمدن والقرى المعزولة ، وهي غالبا عبارة عن طرق مهدة ولكنها ليست مرصوفة ، وهي لا تصلح للعبور بعد أمطار الربيع في كثير من الأحيان . وتساعد الطرق غير المعبدة التي تمتد من قرية إلى أخرى — والتي تتسع لمرور سيارة — على السفر بالسيارات في كثير من المناطق التي لم تعد فيها طرق صالحة لسير العربات ، و تبدو الصعوبات الحقيقية في الصيف وفي أثناء سقوط الإمطار، وذلك بسبب الأخاديد التي يقطعونها للرى في عرض الطريق ، وبسبب الإضاران حول القرى التي لا تصلح دروبها الضيقة لمرور السيارات .

وقد رصفت الطرق الرئيسية الثلاثة الخارجة من طهران قبل عام ١٩٤١، وفى أثناء الحربكان ثقل قوافل السيارات المستمرة التى تحمل الإمدادات من الخليج الفارسي إلى روسيا أكثر من أن تتحمله الحصباء، فكانت محتاجة إلى طبقة أصلب وأكثر دواما من هذه الحصباء، فاضطرت الوحدات الميكانيكية الإنجليزية والامريكية والروسية إلى أن تقوم أو تشرف على رصف مسافات

⁽١) « ٤٥ سنتا » كانت في ذلك الوقت تساوى ٩٠ ملها بالعملة المصرية (المترجم) .

طويلة من طريق الإمدادات بالاسفلت، فرصفت الطريق من خانقين - على حدود العراق - إلى قزوين ، والطريق الطويل الذي يصل تمن خرمشهر إلى همدان - عبر الاهواز وخرم آباد، وملاير - وجزءا من الطريق من رشت - على بحر قزوين - إلى قزوين قبل نهاية الحرب ويبلغ بحموع طول هذه الطرق أكثر من ٥٠٠ ميل ، ومنذ نهاية الحرب أبرمت الحكومة الإيرانية عقودا لرصف أجزاه أخرى ، وقد أكمل رصف الطريق الذي يربط بين طهران وقزوين قد أوشك على طهران وقم ، كما أن الجزء الذي يربط بين طهران وقزوين قد أوشك على الانتهاء ، وحينها يكمل هذا الطريق سيكون من السهل أن تسير العربات من طهران إلى رأس الخليج الفارسي على طريق مرصوف ، وسوف يمتد طريق مرصوف ، وسوف يمتد طريق مرصوف آخر من طهران إلى بغداد ثم يمتد بعد ذلك مخترقا - بادية الشام - الى دمشق وبيروت ،

السكك الحديدية:

في خلال القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين، وجدت كل من بريطانيا العظمى وروسيا لذة في إنشاء خطوط للسكك الحديدية في إيران كوسيلة لتنمية المنافع الاقتصادية والتجارية لسكل من الدولتين، وكان الخط الذي اقترحه الإنجليز يرى إلى اختراق المنطقة الواقعة جنوبي ما بين النهرين، وجنوبي فارس وجنوبيها الشرقى، وبلوخستان ليربط الهند بالبحر الابيض المتوسط، أما روسيا فقد اقترحت خطا يخترق المنطقة الشهالية من إيران ليربط بين القوقان وتركستان، وليساعد أيضا على تقوية نفوذها الاقتصادى في المنطقة التي اختارتها مجالا لهذا النفوذ.

ولكن كلامن الدولتين لم تستطع أن تنفذ ما وضعته من مشروعات ، واكتفت بانشاء عدد قليل من الخطوط القصيرة ذات الفائدة المحدودة بالنسبة لإيران ، وكان أول هذه الخطوط خط ضيق ــ بنى فى عام ١٨٩٢ ــ ليربط بين طهران والقرية التى فيها مزار شاه عبد العظيم (١) ، وهى على بعد ستة أميال

⁽۱) يقصد قرية « الرى » القديمة ، وكانت الرى — قديما — مدينة كبيرة ، وكانت طهران لمحدى ضواحيها (المترجم) .

1

جنوبى طهران، وهذا الحط لا يزال يستعمل حتى الآن، ويقوم بهذه الرّحلة قطار قصير ذو قاطرة صغيرة، وبضع عربات مكشوفة حاملا جموعاً من المتريضين والزائرين فى كل يوم من أيام الجمعة .

وفى عام ١٩١٤، بدأت شركة روسية فى إنشاء خط حديدى طوله تسعين ميلا ليصل بين جلفا و تبريز ، وقد أكل هو وفرع له طوله خسون ميلا إلى ساحل بحيرة رضائية فى عام ١٩١٦، وكان هذا الخط يعد امتدادا للخط الروسى العريض ، فكان يتصل مباشرة بالخط الروسى الرئيسى عن طريق معبر على نهر أرس على الحدود بين روسيا وإبران ، وقد آلت ملكية هذا الخط إلى الحكومة الإيرانية بمقتضى إحدى مواد المعاهدة التى عقدت بين إيزان وروسيا فى عام ١٩٢١ ، كما أنشأت شركة البترول الإيرانية الإنجليزية خطا حديديا ضيقا قصيرا جدا فى عام ١٩٢١ — وهو يمتد بين مدينة رشت وساحل بحر قروين لنقل الإمدادات والمعدات داخل منطقة حقول البترول ، وفى أثناء قروين لنقل الإمدادات والمعدات داخل منطقة حقول البترول ، وفى أثناء من دميرجاوه ، على حدود إيران وبلوخييتان إلى زاهدان أى إلى حوالى خسين من دميرجاوه ، على حدود إيران وبلوخييتان إلى زاهدان أى إلى حوالى خسين ميلا داخل الاراضى الإيرانية ، وكان الخط أوسع الخطوط الهندية ، فكان التساعه ٢٠٥ من الاقدام ، وقد ازداد الاهتمام بإنشاء الخطوط الهندية ، فكان داخل إيران بعد الحرب ، كما أعيد إنشاء الخطوط الحديدية بعد عام ١٩٤١ ، داخل إيران بعد الحرب ، كما أعيد إنشاء الخطوط الحديدية بعد عام ١٩٤١ ، داخل إيران بعد الحرب ، كما أعيد إنشاء الخطوط الحديدية بعد عام ١٩٤١ ، داخل إيران بعد الحرب ، كما أعيد إنشاء الخطوط الحديدية بعد عام ١٩٤١ ، داخل إيران الخط الذى يربط بين زاهدان والهند يستعمل فى الوقت الحاضر .

وقد اتخذت أيضا خطوات قبل تولى رضا شاه عرش البلاد الإنشاء شبكة خطوط حديدية عبر إيران لتساعد على ربط إيران بالبلاد المجاورة أكثر من أن تكون وسيلة لترويج مصالح إيران نفسها، وقد أدى الطريق الحديدى الذى أنشى "بين الخليج الفارسي وبحر قزوين خدمات جليلة ، فقد مكن الحكومة المركزية من الاعتماد على وسيلة أقرب للاتصال بالأقاليم المجاورة ، ويسر النحرك السريع للقوات اللازمة لكفالة الأمن الداخلي فيها ، وسوف تساعد على توزيع أفضل لموارد البلاد الطبيعية ، فإن منتجات الطعام في الساحل القزويني

الخصيب سوف تنقل بسهولة إلى المناطق الجنوبية القاحلة ، وسوف تصل مستخرجات المناجم والمواد الخام إلى المشروعات الصناعية التى أنشتت حديثا، وسوف تساعد أيضا على تقليل اعتماد إيران على بريطانيا العظمى وروسيا فى تجارتها ، بعد أن يتم إنشاء ميناء إيرانى على الخليج الفارسي لدخول البضائع .

ومنذ عام ١٩٢٥ سن البرلمان قانونا أعطى الحكومة حق احتكار السكر والشاى ، وخصص جميع الآرباح الناتجة عن ذلك لإنشاء السكك الحديدية ، ووافق فى عام ١٩٢٧ على إنشاء لجنة لتخطيط المشروع ، وفى عام ١٩٢٧ صدر قانون يخول حق إنشاء الخط الحديدى الذى يمتد من الخليج الفارسى إلى بحر قروين ، كما تم التعاقد _ فى عام ١٩٢٨ _ مع شركات هندسية أمريكية وألمانية لإتمام الخط كله ، والبدء فى إنشاء الآجزاء التى تقع جنوبى بحر قروين ، وإلى الشهال من الخليج الفارسى بأجر قدره ١٠٪ من جميع التكاليف ، وفى عام ١٩٣١ ألفت الحكومة الإيرانية هذا العقد ، وحول العمل إلى شركة كامساكس (Kampsax) وهى عبارة عن شركة متحدة من المؤسسات السويدية والدانمركية فتقدمت بالعمل ، ووكلت بعض أجزائه إلى بعض المقاولين والأجانب .

وفى عام ١٩٣٨ بدأ استعمال الخط الحديدى المنفرد الذى امتد من ميناه بندر شابور الذى بنى حديثا على الخليج الفارسى مارا بطهران حتى ميناء بندر شاه فىالركن الجنوبى الشرقى من بحر قزوين ، وقطع مسافة قدرها ٨٠٨ أميال.

ومن الجائر أنه لا يوجد خط حديدى فى العالم واجهت إنشاءه صعوبات طبيعية مثل هذا الخط الذى يمر فى الأراضى الإيرانية ، فقد مر أكثره فى أراضى جبلية وعرة للغاية ، ويمر الجزء الجنوبي منه الذى يمتد بين الخليج الفارسي وطهران مسافة أميال عديدة على حافات نسفت من الحيطان المنحدرة للمفازات الجبلية العميقة ، ويتسلق فى النهاية عمرا ارتفاعه ٧٥٧و٧ قدما فوق سطح البحر حتى يصل إلى السهل المنبسط ، وقد أدى هذا إلى إنشاء مئات من المعابر والجسور ، ويوجد فى هذا الجزء الشالى

من الخط فيصعد من ساحل بحر قزوين إلى الهضبة فى مسافة قصيرة كثيرا ، ويتدرج فى الارتفاع بنسبة ١: ٣٦، ويعترض مرحلته الآخيرة نفق يزيد طوله على ميلين ، ويبلغ ارتفاعه ٩٢٤ و٦ قدما ، ويبلغ بحموع طول الانفاق الحسة والاربعين الموجودة فى هذا الجزء — التى استعمل فى إنشائها عدد يتراوح بين أربعين وخمسين ألف عامل — اثنى عشر ميلا ، وينحنى الخط فى أحد امتداداته مسافة ٣٣ ميلا ليعبر مسافة طولها ١٨ ميلا فقط (على خط مستقيم).

وقد أنشتت المحطات، والمخازن، والمحولات، وصهاريج الماء على طول الحفط كله على مسافات لا تزيد على عشرين ميلا، وقو بلت صعاب كثيرة ممثل المواد اللازمة لترشيح الماء مس ولكنها ذلك ، كما استوردت القضبان، والقاطرات، والعربات، ومواد البناء والآلات جميعها من الحارج، وقد صنعت الدعامات الحشبية محليا، وقد قدرت التكاليف النهائية لإنشاء هذا الحط بما يتراوح بين ٥٠٠٠و٠٠٠و٠٠٠و٠٠٠و٠٠٠و٠٠٠ودولار أخذت جميعها من ثروة البلاد وكانت عبارة عن استنزاف شديد للدخل القوى .

ولم ينته إنشاء خطوط السكك الحديدية بإتمام هذا الخط الرئيسي عبر الأراضي الإيرانية لأن العمل لم بلبث أن استؤنف بعد ذلك مباشرة لإنشاء خطين طويلين آخرين يتصلان في النهاية بالخطوط الحديدية المستعملة في الأقطار الجاورة ، وكان أحد هذين الخطين يمر في شمالي البلاد ، وقد سارت القطارات وفي عام ١٩٤٢ — على الجزء الغربي منه بين طهران وميانه ، أي حوالي ثلثي الطريق المؤدى إلى تديز ، ولا زالت أعمال إنشاء بقية الخط تسير إلى الآمام من ميانه إلى الحدود التركية ، ومن المحتمل أن يواصل الجزء الآخير من هذا الخط السير من تبريز إلى الحدود التركية ، حيث يتصل هناك بشبكة خطوط الحنط السير من تبريز إلى الحدود التركية ، حيث يتصل هناك بشبكة خطوط السكك الحديدية التركية ، وقد خطط الجزء الشرق من هذا الخط بحيث يصل المسكك الحديدية التركية ، وقد خطط الجزء الشرق من هذا الخط بحيث يصل حوالى ستين ميلا شرقي طهران ، وقد جرت القطارات — في عام ١٩٤١ — على هذا الخط حتى شاهرود ، أي حوالى نصف الطريق من طهران إلى مشهد ، على هذا الخط حتى شاهرود ، أي حوالى نصف الطريق من طهران إلى مشهد ،

وقد مهد الطريق الذي يمتد عليه هذا الخط إلى أبعد من شاهرود بحوالي ١٢٥ ميل، وسيمتد هذا الجزء الشرقى من الخط في النهاية من مشهد متجها إلى الشمال ليتصل بالخط الذي يمر عبر بحر قزوين حتى يصل إلى الحدود الروسية، مع احتمال مد خط في المستقبل يصل بين مشهد وزاهدان.

أما الخط الآخر الجديد فإنه يتفرع من الخط الرئيسي عبر الأراضي الإيرانية عند مدينة قم على أساس أن يتجه نحو الجنوب الشرقى عبر كاشان ويزد حتى يصل إلى كرمان ، وقد عبد الطريق الذي يمتد عليه الخط الحديدي حتى يزد في عام ١٩٤١ ، وفي عام ١٩٤٩ افتتح الجزء الذي يمتد من قم إلى كاشان ، وسوف يواصل هذا الخط امتداده حتى يبلغ فى النهاية كرمان ومنها إلى بام وزاهدان حيث يتصل بالخط الموجود فعلا ، وهو الخط الموصل إلى الهند. وفي أثناء الحرب، تولت القوات المتحالفة أمر تشغيل خطوط السكك الحديدية الإيرانية لتسهل مهمة إرسال الإمدادات إلى روسيا ، واتفقُّ على أن تتسلم الحكومة الإيرانية أجر استعمال شبكة خطوطها الحديدية تبعا لمقدار الشحنات المنقولة؛ ولكن الاتفاق النهائي لم يتم ، وكانت القوات الإنجليزية والامريكية والروسية مسئولة عن تشغيل أجزاء مختلفة من الخط ، وقد أحضرت عشرات من القاطرات إلى البلاد ، كما أحضرت مثات من العربات ، وحملت ملايين من الإمدادات على هذا الخط . وقد قام الأمريكيون والإنجليز بإنجاز منشآت إضافية ؛ فبني الإنجليز خطأ جديداً يمتــد من الأهواز إلى خرمشهر ، على الخليج الفارسي ثم مدوا هذا الخط إلى البصرة في العراق ، ويبلغ طول الخطوط الحديدية المستعملة في إيران حاليا ١٥٥٥ ميلا .

الخطوط الجوية :

حصلت شركة ألمانية على امتياز بنقل الركاب والبريد داخل إيران فى المدة الواقعة بين ١٩٣٧ و ١٩٣٧ - مم بدأت الحكومة الإيرانية – بعد عام ١٩٣٥ - فى افتتاح خطين جويين: أحدهما من طهران إلى بوشهر، والآخر من طهران إلى بغداد.

وحوالى عام ١٩٤٦، بدأت الحطوط الجوية الإيرانية ، التابعة لمصلحة الطيران المدنى عملها داخل البلاد، وأصبح لها بعد ذلك خطوط طيران شرقى إيران وغربيها، وفى عام ١٩٤٩ بدأ نادى الطيران الاهلى فى نقل البريد للحكومة على طول ساحل الخليج الفارسي جميعه .

أما الخطوط الجوية العالمية إلى طهران فنديرها الشركات الإنجليزية ، والهولندية والفرنسية ، والسويدية والعراقية ، ويشتمل مطار مهرآباد ـــ وهو أفضل المطارات الاربعة الموجودة فى طهران ــ على أرضية صلبة من الخرسانة ، وبمراته طويلة طولا مناسبا لنزول الطائرات ذات الاربعة محركات وصعودها . ويجرى الآن توسع فى تهيئة التسهيلات اللازمة للمواصلات من هذا المطار ، كما أن هناك فندقا على وشك البناء فى طرفه .

وتشتمل كل من آبادان (عبدان) وزاهدان على مطار واسع ذى بمرات مرصوفة ، كما تشتمل كل المدن الكبيرة فى إيران ــ تقريبا ــ على مطارات ذات أرضية بمهدة أو مرصوفة بالحصباء . ومنذ انتهاء الحرب الثانية أصبحت طهران المحطة النهائية للخطوط الجوية الفرعية التى تسيرها الشركات الامريكية والإنجليزية والفرنسية وغيرها .

الملاحية:

يحمل المسافرون والبضائع عبر بحر قزوين بواسطة سفن روسية ، والموانى الإيرانية الواقعة على طول الساحل القزويني هي : بندر بهلوى ، ونوشهر ، ومشهد سر ، وبندركاز ، وبندر شاه ، ولكن بندر بهلوى وبندر شاه هما أهم هذه الموانى . وتستطيع السفن ذات الحولة الصغيرة أن ترسو في ميناء بندر بهلوى ، بينها يوجد في مينا، بندر شاه رصيف طويل لتموين السفن التي تصل حمولتها إلى ألف طن .

والموانى الرئيسية الواقعة على طول الساحل الشمالى للخليج الفارسى ، والتى تشتغل فيهاكثير من خطوط الملاحة التابعة لكثير من الدول الاجنبية هى : خرمشهر ، وبندر شابور ، وآبادان (عبدان) وبوشهر ، وجاسك ، وبندر

عباس، ولنكه، ولكن السفن التجارية لا تستطيع أن تدخل الميناء وترسو الإفى الموانى الثلاث الأولى، وفي عبدان إمكانيات واسعة لمرسو حاملات البترول، وقد أنشئت الميناء التي ينتهى عندها الخط الحديدى الرئيسي عبر إيران واصلا في بندر شابور في جهة منعزلة على مسطحات من الطين بدلا من خرمشهر، لأن الحدود بين إيران والعراق تقع هناك في منتصف قناة من شط العرب حيث يصب نهرى دجلة والفرات، ولكن الجزء الفارسي من القناة هو الذي تكون المياه فيه منخفضة المستوى.

على أن القوات المتحالفة ، وخصوصا القوات الأمريكية ، بذلت الكثير _ف أثناء الحرب _ لتهيء كثير من التسهيلات في ميناء خرمشهر ، فأنشأت رصيفا على الشاطىء الإيراني يكني لرسو ثماني سفن في وقت واحد ، كما أنشأت خطا حديديا يمتد من الاهواز إلى هذا المرفأ مباشرة ، وكان من نتيجة ذلك أن أصبحت ميناء خرمشهر الميناء الرئيسية على الخليج الفارسي ، وصارت تفوق غيرها بكثير .

والملاحة فى بحيرة رضائية مقصورة على مرور الصنادل، والسفن البخارية الصغيرة التى تعبر البحيرة فى شكل دائرى، وترسو فى نقاط مختلفة على طول ساحلها، ولا يوجد بين أنهار إيران الكثيرة نهر صالح للملاحة إلا نهر قارون الذى يصب فى الخليج الفارسي بالقرب من خرمشهر.

الفصلاالشامن

نظم الحكم في إسيران

كانت إيران خلال أكثر من عشرين قرنا من الزمان تحت حكم ملكيات مطلقة حتى قامت حركة ١٩٠٦ الثورية التى أنتجت لإيران حكومة نيابية . وإذا أخذنا هذا فى الاعتبار إلى جانب أنهاكانت فى الاربعين سنة التى تلت ذلك عرضة لضغط أجنبى فى أحيان كثيرة ، فإن التقدم الذى أحرزته إيران فى الحسكم الديمقراطى ملحوظ جدا .

الحكومة النيابية :

عدل دستور ١٩٠٦ بملحق ألحق به فى عام ١٩٠٥ ، وبتعديلات أدخلت عليه فى عامى ١٩٠٥ و ١٩٤٩ فجعلت الآجزاء النى كانت موجزة فى مواد عامة أكثر دلالة وشمولا بقانون أصدره المجلس النيابى ، وأصبح الدستور أكثر تجددا وتحررا ، ولكنه ما زال يشتمل على بعض نصوص خاصة بدين إيران أى بالمذهب الشيعى أحد المذاهب الإسلامية ، ويدعو هذا الدستور إلى قيام حكومة تتبكون من ثلاثة أفرع : الهيئة التنفيذية التى تتمثل قوتها فى هيئة الوزارة ، وموظنى الحكومة الذين يحكمون باسم الشاه ؛ والهيئة القضائية المكونة من بجموعة من المحاكم تبتدى محاكم الأقاليم وتنتهى إلى محكمة عليا ؛ والسلطة التشريعية النى لا تصير تشريعاتها قانونا إلا بعد إمضائها من الشاه .

ويقرر الدستور قيام مجلس الشيوخ ، لم يصبح له وجود قانونى إلا فى عام ١٩٤٩ ، وقد اجتمع لأول مرة فى عام ١٩٥٠ ، ومجلس النواب ، تظل دورته عامين ؛ وأعضاء هذا المجلس ينتخبون من كل إقليم بنسبة عدد السكان ، وليس ضروريا أن يكونوا من القاطنين فى تلك الأقاليم التى ينتخبون فيها ، وليس غيروا رغبات الشعب بصفة عامة ، وينبغى أن يكون سنهم بين الثلاثين بل أن يمثلوا رغبات الشعب بصفة عامة ، وينبغى أن يكون سنهم بين الثلاثين

والسبعين ، ويمكن أن يعاد انتخابهم لمدد متتابعة ، والقوانين الحاضرة تحدد عدد النواب به ١٣٦٠ نائبا وإن كان الدستور يجيز الوصول بعددهم إلى مائتين. وتختار الطوائف الارمنية نائبين لتمثيل مصالحها ، كما يختار كل من اليهود والزردشتيين نائبا ، أما فيما يتعلق بالشيوخ فإن ثلاثين منهم يعينهم الشاه بينما يختار ثلاثون بطريق الانتخاب .

ويستقبل المجلس التشريعات التي يقترحها أعضاء الوزارة ، ويحيلها عادة إلى لجنة من اللجان الثماني المختصة ، ثم يناقش تقارير اللجان بعد وصولها ، والنشريعات المقترحة ، ويجب أن يصدق عليها بأغلبية الأصوات ، وينبغي على النواب أيضا أن يناقشوا التشريعات التي يقدمها الأعضاء ، ما دامت معتمدة من خمسة عشر نائبا ، وللمجلس الحق في أن يطلب من أعضاء الوزارة الحضور والإجابة على الاسئلة الشفوية أو المكتوبة ، ويحضر الجلسة عادة واحد أو أكثر من أعضاء الوزارة .

ويعطى الدستور للمجلس الحق فى الإشراف على سياسة الوزارة وتصرفاتها فى المسائل التى تعد حيوية بالنسبة لمصالح الشعب، وينبغى أن يصدق على كل مشروع يتصل بثروة البلاد أو باعتمادات مالية ، وعلى كل التراخيص والامتيازات التى تمنح لهيئة داخلية أو أجنبية ، وعلى قروض الحكومة ، وما تقترحه من إنشاء للظرق أو السكك الحديدية .

وتعقد جلسات البرلمان فى مبناه المسمى و بهارستان ، وهو يقع فى وسط حديقة كبيرة مفتوحة للجمهور بالقرب من وسط مدينة طهران الحديثة ، وتنشر محتويات الجلسات فى جريدة رسمية يومية . وتعقد الجلسات الخاصة أو السرية بناء على طلب كتابى يقدمه عشرة من النواب أو واحد من أعضاء الوزارة . وقد كانت المناقشات فى الدورات الآخيرة للمجلس حامية وكانت تبلغ مبلغ الحدة أحيانا ، ولكنها كانت دائما حرة غير مقيدة .

وتجرى الانتخابات لعضوية المجلس كل عامين ، ويقسم قانون الانتخابات الأصلى الناخبين إلى ست طبقات اجتماعية ولكن هذا التمييز قد نبذ منذ عهد

طويل ، ويدعى جميع الذكور الذين بلغوا الحادية والعشرين من عمرهم إلى التصويت باستثناء رجال القوات المسلحة والمجرمين المحكوم عليهم ، والاقتراع سرى وللناخبين الحرية السكاملة فى الإدلاء بأصواتهم ، ولا تجرى الانتخابات فى الوقت الحاضر فى يوم واحد فى جميع أجزاء البلاد ، ولكنها تتم فى مدة تتراوح بين أسابيع وأشهر ، وعدد الأصوات المجموعة يكون عادة قليلا جدا بالنسبة لعدد الذين يحق لهم الإدلاء بأصواتهم ولذلك يدور الآن بحث حول تغيير النظام الذى يجرى على أساسه الانتخاب .

ومنذ أو اخر عام ١٩٤١؛ لعبت الإحراب السياسية - ولا تزال تلعب - دورا بالغ الاهمية في توجيه الحكم والحياة العامة ، وما زالت الاحراب الجديدة حتى الوقت الحاضر تتأرجح بين اليمينية المنطرفة ، واليسارية المفرطة . وقد كانت الاحراب الاولى التي أسست في عام ١٩٤٢ واقعة تحت نفوذ التجار وملاك الارض، وكانت تستعمل صحف طهر أن لنشر مبادئها ، ولكنها كانت ضعيفة في تنظيمها وفي برامجها . وكانت هذه الاحراب التي أسست في الفترة الاولى تحمل أسماء تجذب الجهور مثل : العدل ، والشعب ، والوطن ، والمواطنون - وقد أعلن الاخير برنامجا اجتماعيا - أما الاحراب الاخرى التي كانت أكثر تحررا فإنها كانت تحمل أسماء أخرى منها الحزب الوطني أو حزب إيران .

وأكثر الاحزاب أهمية في المدة الواقعة بين ١٩٤٤ و ١٩٤٦ حزب و توده ، وأو جماهير الشعب ، وحزب و الإرادة الوطنية ، ، وقد نظم حزب و توده ، طائفة من الرجال المثقفين الذين سجن الكثير منهم في عهد رضا شاه بتهمة الشيوعية ، وسعى هذا الحزب جاهدا ليجعل تنظيمه سحكا ، فظفر بشهرة مسموعة ، وضم أعضاء من النقابات التجارية التي أسست حديثا ، ومثله ثمانية نواب في الدورة البرلمانية التي امتدت من ١٩٤٤ إلى ١٩٤٦ وفي إقليم آذربيجان اختار نوع الحزب المجاهد اسم و الحزب الديمقراطي بآذربيجان ، وقاد حركة انفصالية فصلت هذا الإقليم عن سائر البلاد منذ أواخر عام ١٩٤٥ إلى شتاء عام ١٩٤٦ .

وكان السيد ضياء الدين طباطبائى زعيا لحزب و الإرادة الوطنية ، وهو الذى كان رئيسا لوزراء إيران فى خلال مدة قصيرة من عام ١٩٢١ ، وقد أقصى عن البلاد سنوات عديدة ؛ ثم عاد إلى إيران فى عام ١٩٤٣ ، وانتخب عضوا فى البرلمان ، وقد أعلن حزبه برنامجا مفصلا يتضمن إصلاحات اجتماعية واقتصادية ، ولكنه هوجم هو وأتباعه بواسطة المعارضين من حزب توده بينما تعرضهو شخصيا لهجوم الصحافة والإذاعة الروسيتين . وقد اختنى الزعيم وحزبه معا من فوق المسرح السياسى فى عام ١٩٤٦ .

وفى عام ١٩٤٦ رأس أحمد قوام —رئيس الوزارة — الحزب الديمقر اطى الإيرانى الذى اكتسح الانتخابات فى عام ١٩٤٧ ، وبدا فى خلال بضعة أشهر أن المسرح السياسى معد بالضرورة لحزب الاغلبية الساحقة فى البرلمان ، ولكن الديمقر اطيين الإيرانيين فقدوا الكثير من قوتهم فى أواخر عام ١٩٤٧ .

وهناك نسبة كبيرة من الإيرانيين من النجار وكبار الملاك ، والمثقفين ، والعمال الصناعيين والطلبة تبدى اهتهامها البالغ بالسياسة ، وهي على استعداد دائما للدخول في مناقشات لا نهاية لها حول مستقبل إيران ، ولكن أغلب أعضاء الجمعيات الزراعية لا يعرفون إلا القليل عن المشاكل القائمة وسياسة الحكومة في طهران ، وعدد قليل جداً منهم هم الذين يدلون بأصواتهم في الانتخابات ، وهؤلاء أيضاً لا يكادون يعرفون شيئا عن المؤهلات الواجب توفرها فيمن ينتخب لعضوية المجلس النيابي .

الشاه:

فى عام ١٩٢٥ ؛ أعلنت الجمعية التأسيسية الحاصة رضا خان المبراطوراً لإيران. وقد اختار اللقب الفارسي القديم «بهلوى» اسما للأسرة الحاكمة الجديدة، واتخذ ــف أثناء تتويجه فى أبريل من عام ١٩٢٦ ــعبارة «رضا شاه بهلوى» اسما ولقبا له.

وقد نص الدستور على أن ولى العهد هو الابن الأول للملك الحاكم؛

بشرط أن يولد من أم إيرانية الاصل ، فإذا لم يكن هناك ابن للملك ، فإنه يقترح خليفة له على أن يصدق البرلمان على هذا الاقتراح .

وقد ولد ابن رضا شاه الأول ، صاحب السمو الملكى شاهبور (۱) محمد في ٧٧ أكتوبر ١٩١٩ ، وتلقى علومه في سويسرا ، وأصبح يجيد الإنجليزية والفرنسية إجادة تامة ، وصار ولا يزال بارعا في نواحي الرياضة ، ثم تزوج في عام ١٩٣٩ الأميرة فوزية الآخت الكبرى للملك فاروق الأول ملك مصر (٢٠) وولدت ابنتهما الأولى المسهاة ، شاهناز ، في عام ١٩٤٠ ، واعتلى المرش بعد تنازل رضا شاه عن الملك ، وذلك في ٢٧ سبتمبر ١٩٤١ باسم ، « محمد رضا شاه بهلوى » .

وتشمل سلطات الملك — وهى السلطات المقررة له فى الدستور — تعيين وعزل الوزراء، وقيادة القوات المسلحه، وإعلان الحرب، وإقرار السلم، ومنح الرتب العسكرية، كما أن له الحق أيضاً فى أن يدعو البرلمان إلى جلسة خاصة، وتضرب النقود فى المملكة باسم الشاه، وتنقش صورته على السكة، وتطبع على أوراق العملة، وطوابع البريد.

ووظيفة الملك كقائد أعلى للقوات المسلحة تجعله يتصل عن قرب بالقواد العسكريين ، وبالشؤون الحربية ، وإلى جانب سلطاته هذه ؛ فإنه يبذل جهدا في الإشراف على أعمال الوزارة باتصاله الشخصى بالوزراء ، وبالموظفين الرسميين، وقد يحتضن أحيانا بعض الحركات والإصلاحات . وقد أظهر فعلا اهتماما بالغا بالمشكلات الاجتماعية الرئيسية ، وقدم مبالغ كبيرة جدا من الاموال التي ورثها عن أبيه رضا شاه لإنشاء المستشفيات ، وتوسيع التعليم ، ولمشروعات الري والمشروعات الآخرى المهمة .

⁽١) « شاهبور » كلة فارسية مركبة معناها « الأمير » (المترجم) .

⁽٢)كان هذا وقت تأليف الكتاب (المترجم) .

رئيس الوزرا. وبجلس الوزرا.:

حينها يراد اختيار رئيس للوزارة يقترع فى مجلس النواب على الأسماء المرشحة لهدا المنصب ، ويعين الشاه من يظفر بأكثر الأصوات رئيسا للوزارة، وبعد أن يختار رئيس الوزراء وزراءه، يقدمهم للملك ليظفر بموافقته . ثم تضع الموزارة برنامجها ، وتقدمه للمجلس ، فإذا ظفر البرنامج بموافقة المجلس ظل رئيس الوزارة متمتعاً بالقوة والسلطة إلى أن يختار هو أن يستقيل أو يقترع البرلمان على عدم الثقة به بأغلبية كبيرة .

وينبغى أن يكون الوزراء من المواطنين الإيرانيين، وأن يكونوا مسلمين، وألا يكون بينهم أحد من أمراء الاسرة المالكة، وللبرلمان الحق فى أن يحيل إلى المحكمة العليا النهم التي توجه إلى من يسىء التصرف من أعضاء الوزارة.

ولا يتزعزع العمل كثيرا فى أفرع وزارات الحكومة بسبب التغيير المستمر للوزارات؛ لأن كل وزارة يديرها وكيل، ويشرف على الإدارات الكبرى فى كل منها مديرون عامون، كما يحتفظ كبار الموظفين بوظائفهم لعدد من السنين، فيلمون إلماما تاما بالأعمال العادية فى وزاراتهم، ويتبع أغلب الموظفين فى الوزارات المختلفة للخدمة المدنية فى الحكومة، التى تمنحهم درجاتهم المعتادة، ومكافآتهم المألوفة.

الوزراء بلا وزارة:

تضم كل وزارة فى العادة وزيرا أو أكثر بلا وزارة ، أو وزراء دولة ، وهى وظيفة مألوفة فى الوزارات الأوروبية ، ولكنها غير موجودة فى الولايات المتحدة ، ووظيفة هؤلاء هى مساعدة رئيس الوزارة ، وتقديم المشورة له ، وإنجاز أعمال خاصة .

وزارة البلاط:

يتمتع وزير البلاط الامبراطورى بنفس المرتبة التي لأعضاء الوزارة ، ولكنه لا يحضر اجتماعات الوزارة وليس مسئولا أمام البرلمان ، وتشرف هذه الوزارة على الأموال الامبراطورية ، ممثلة فى جرّ منها بالمبلغ الذى يعتمد للبلاط فى الميزانية سنويا ، وفى جزئها الآخر بأملاك البلاط الدائمة فى صورة أموال أو أراضى ، وتختص أقسام ميزانيتها بالحفلات والمراسم ، وصيانة القصور والحدائق ، كما تختص بالمراسلات والتقارير وصيانة معدات الصيد الامبراطورية .

ويوجد عدد من القصور الملكية في داخل طهران وبالقرب منها، وقد بني كثير منها منذ القرنين النامن عشر والتاسع عشر، وهذه القصور معروفة بحدائقها الرائعة، فقصر كلستان أى « الروضة ، في طهران قصر أقدم في بنائه من غيره وهو مشهور بحجرة العرش الكبيرة التي تستعمل للاستقبالات الرسمية ، وفي الجزء الآهل بالسكان من مدينة طهران توجد مساحات واسعة من الأراضي تضم القصور الملكية الأخرى ، وهي مبنية ، ومؤثثة بطريقة حديثة ، حيث يسكن الشاه وأعضاء الأسرة المالكة . وفي المنطقة الجبلية المسكونة التي تبعد حوالي ثمانية أميال شمالي طهران توجد منطقة تبلغ مساحتها مائة فدان تابعة البلاط الإمبراطوري ، حيث توجد القصور الامبراطورية والمكاتب الخاصة بوزارة البلاط في أثناء فصل الصيف ، ويقوم قصر سعد آباد على أعلى نقطة من هذه الأرض المغطاة بالأشجار ، وهو يطل على مدينة طهران ، وهو أشبه بصندوق كبير مملوء بالجواهر ، وكل حجرة من حجراته مزينة بطرية خاصة قام بزخرفتها أمهر الفنانين في البلاد .

وزارة الحارجية :

تضم وزارة الحارجية عددا من الإدارات الحاصة التي تختص بالأعمال الرتيبة (الروتينية)، وبالمراسم (البروتوكول) والحفلات، والحسابات، والجوازات، والمسائل الاقتصادية، وما يتعلق بالأمم المتحدة، وتنظيم المكتبة والسجلات، كما توجد أيضا ست إدارات سياسية. تختص الإدارة الأولى بشؤون الأمم الإسلامية المجاورة لإيران؛ وتعنى النانية بالمسائل المتعلقة بروسيا السوفييتية وأوروبا الشرقية، وتهتم الثالثة بشؤون الدول الأوروبية الأخرى،

وتختص الرابعة بالمسائل المتعلقة بالولايات المتحدة والدول الامريكية الاخرى ، وتعنى الخامسة بشؤون الدول العربية ، وتختص السادسة بالمسائل المتعلقة بالهند وباكستان وجنوب شرقى آسيا .

ولإيران قنصليات ومفوضيات وسفارات فى حوالى عشرين دولة أجنبية ، وتوجد سفارة إيرانية فى وشنجنون عاصمة الولايات المتحدة ومقر حكومتها ، بينها توجد قنصلية إيرانية عامة فى مدينة نيويورك .

وقدكانت إيران عضوا سابقا فى عصبة الأمم ،كما ساهمت فى إنشاء وتنظيم هيئة الآمم المتحدة ، وتوجد معاهدات واتفاقيات سارية المفعول بين إيران والدول الآخرى تتعلق بالتجارة والرسوم الجركية ، والملاحة وحقوق المواطنين فيها وفى هذه الدول . . . الح .

و تقوم صلات إيران بجاراتها على أساس معاهدة « سعد آباد ، التي وقعتها كل من إيران وأفغانستان والعراق وتركيا فى طهران فى عام ١٩٣٧ .

وقد تعهد الموقعون على هذه المعاهدة بامتناع كل دولة عن التدخل فى شؤون الآخرى الداخلية ، وعلى احترام الحدود المشتركة بين هذه الدول ، والامتناع عن الاعتداء من جانب دولة على أخرى ، وأن تتشاور هذه الدول معا فى حالة حدوث نزاع عالمي يهدد مصالحها المشتركة .

وزارة الحربية :

وتضم وزارة الحربية الجيش والبحرية والقوات الجوية ، وهي مكلفة بالدفاع عن الوطن.

وتزيد قوة الجيش الإيرانى — فى الوقت الحاضر — على مائة ألف جندى، وضعت فرقتان منه فى طهران، بينها وضعت الفرق الآخرى فى مراكز مختلفة فى الأقاليم . والتجنيد إجبارى فى إيران، ويستدعى الشباب للتجنيد حينها يبلغون الحادية والعشرين من عمرهم، ويبقون سنتين فى الحدمة، ويستشى من ذلك الأشخاص الذين تشتد الحاجة إليهم فى إعالة أسرهم، وتقدم بعض

وقد كانت الوظيفة الأولى للجيش أن يعالج حالة الاضطراب الداخلية ، وقد وجه الجيش حملات تأديبية ضد القبائل البدوية منذ عهد قريب جداً ولكن الإيرانيين يتمنون أن تنتهى مثل هذه الحالة وأن تصبح من مخلفات الماضى ، وتستطيع قوات الأمن أن تنهض جيداً بمهمة المحافظة على النظام فى الظروف العادية ، ولا تلعب قوات الفرسان دوراً حيويا كالذى كانت تلعبه الظروف العادية ، ولا تلعب قوات القرون القديمة الماضية . ويضم جزء من الجيش الإيراني الحديث قوات ميكانيكية . و تصنع جميع الأسلحة الصغيرة ـ تقريباً _ الإيراني الحديث قوات ميكانيكية . و تصنع جميع الأسلحة الصغيرة ـ تقريباً _ والملابس والمعدات الحقيفة للجيش في المصانع والترسانات الحكومية .

ومنذ عام ١٩٤٢؛ تعمل بعثة أمريكية استشارية فى إعداد وتموين وتدريب أجزاء من الجيش الإيرانى . وقد كان يرأس هذه البعثة ـــ أولا ـــ ماجور جنرال دوبرت و جرو Major General Rodert W. Grow ثم رأسها منــذ سبتمبر ١٩٤٨ ماجور جنرال فيرنون إيفانز ١٩٤٨ ماجور جنرال فيرنون إيفانز ١٩٤٨ ماجور جنرال

أما البحرية الإيرانية فتنحصر عملياتها فى الخليج الفارسى وبحر قزوين ، حيث توجد سفن قليلة ، ذات أحجام متوسطة تقوم بدوريات لمنع تهريب البضائع ، وتحول دون حدوث اشتباكات مسلحة .

وتضم القوات الجوية — فى الوقت الحاضر — أقلمن ثلثمائة طائرة أغلبها طائرات تدريب ولكن الإيرانيين — فيها يبدو — يخرجون طيارين ممتازين ، ويلق حماسهم للطيران داخل القوات الجوية أو خارجها تشجيعا من نادى الطيران الوطنى الإيرانى ، وهو ناد شبه رسمى له ميادينه ومعداته الخاصة به خارج طهران ، ويتبعه ناد ضخم يجرى بناؤه بالقرب من ميدان التدريب ، ويمتلك النادى حوالى عشرين طائرة من الطائرات ذات المقعدين المصنوعة

فى أمريكا ، ويشرف على تدريس برنامج خاص بالطيران المدنى وهو مفتوح للشباب من كلا الجنسين .

وزارة الماليـة :

تستخدم وزارة المالية عددا كبيراً من الموظفين ، وتشمل أعمالها الحيوية كثيراً من أوجه النشاط . وفي عام ١٩٤٧ ؛ صمم بناء ضخم من الحرسانة المسلحة والآجر ليسد جميع حاجات الوزارة ، لأن المساحة التي خصصت للمكاتب كانت قد أو شكت على أن تشغل تماما .

ويوجد بهذه الوزارة قسمان رئيسيان : القسم الخاص بالميزانية ، وهو مخنص بمصلحة الجمارك، والضرائب المباشرة، وغير المباشرة، والميزانية السنوية، والحسابات والمراقبة والمباني ، والتبادل الحارجي ، وإدارة سك النقود ، وممتلكات الجكومة ، والمحاكم الحكومية ، والدخل من امتيازات الشركات ، والبترول والمناجم ، ومدرسة للتدريب غلى أعمال الميزانية ، وهناك عدد قليل من الإدارات الكثيرة الخاصة بالقسم الاقتصادى تختص بالمشتريات ، والحسابات ، والتفتيش والمخازن ، والنقل ، ومخازن الحبوب ، والطباق ، وتعد ميزانية البلاد السنوية من واقع الإيرادات والمصروفات التي تقدمها جميع الوزارات ، وفي السنوات الآخيرة زادت الميزانية بانتظام بحيث وصلت إلى درجة تعادل فيها أكثر من أربعة أمثال الميزانية في أية سنة سابقة للحرب الغالمية الثانية مباشرة ، وكانت ميز انية عام ١٩٤٩ قد قدرت أن يكون الدخل . . . و . . . و ١٩٤٥ دولار وأن يكون المنصرف ٢٩٠٫٠٠٠٠، وكانت مصادر الدخل المتوقعة لسنة ١٩٤٩ كالآتي: الدخل من العوائد الجمركية ٢٤ ٪ ، عوائد الطياق واحتكار الأفيون ٢٣٫٢٪ ، عوائد شركة البترول الإنجليزية الإيرانيــة ١١.٨٪ ، الضرائب المباشرة ٩و١٤٪ ، الضرائب غير المباشرة ٥و٧٪ الأرباح من العمليات النجارية التي تقوم بها الحكومة ٧٥٧٪ .

وأهم المصروفات المقترحة لعام ١٩٤٩ تدخل تحت العناوين التالية : وزارة الحربية ٣٤٢٪ ، وزارة المالية ٥٩٤٪ ؛ وزارة التربية والتعليم ٣٩٨٪ ،

وزارات الصحة والبريد والزراعة والعدلكل منها ٢٪ زيادة ، المبالغ المخصصة للمصرف الاهلى لسداد القرض الحكومي ٨٥٠٪ .

وقد خصص أكثر من ٣٠٪ من مجموع المصروفات لنفقات قوات الأمن في البلاد، بنها تدفع من الـ ٧٠٪ — من مجموع المصروفات — مر تبات الموظفين عما فيهم أفراد القوات المسلحة . وفى خلال السنوات الكثيرة الماضية كانت أوجه العجز المنصوص عليها فى الميزانية أكثر فى نهاية السنة المالية من أن توازن أو تسوى بالدخل المتوقع ، وقد استتبع العجز فى الميزانية ، اضطرار الدولة إلى الاقتراض من المصرف الأهلى الإيرانى ، بحيث أصبحت الحكومة — فى عام ١٩٤٩ — مدينة للمصرف مجوالى ٢٠٠٠،٠٠٠ دولار .

وينبغى عند هذا الحد أن يذكر الآساس الذى يقوم عليه النظام المالى ، وأن تعطى قائمة للمصارف التى تديرعمليات الصرف داخل البلاد ، مع ملاحظة أن المصارف المملوكة للحكومة مستقلة فعلا عن وزارة المالية .

وقبل بداية القرن العشرين ؛ لم يكن فى إيران نظام منسق للإيرادات الحكومية ، وكان الدخل القومى يعد دائما ملكيا شخصيا للملوك الذين كانوا يتصرفون بأنفسهم ويقدرون المبالغ اللازمة للانفاق على الجيش ، أو على أصدقائهم . وقد أدى نقص العملات الحاضرة إلى أن تأخذ الحكومة قروضا مم من الدول الأوروبية بشروط تجعلها تتنازل عن دخلها من الجمارك أو تضطرها إلى منح امتيازات للدول التي تمنح هذه القروض .

وحينها نفذ الدستور؛ أيقن الزعماء أن البلاد في حاجة إلى متخصصين من الدول الآجنبية ليساعدوا على إيجاد نظام ثابت للميزانية ، فاستخدم البلجيكيون والفرنسيون — أولا — وفي عام ١٩١١ استخدم أمريكي يدعى مورجان شوستر Morgan Shuster ، وقد أكسبه ولاؤه وإخلاصه حب الإيرانيين ، غير أن الضغط الآجنبي على الحكومة الإيرانية قد أجبره على مفادرة البلاد ، وسادت الفوضي حتى عهد رضا شاه ، ثم طلبت المشورة الأمريكية من جديد جاء أ . س ، ملسبو A. C. Millspaugh — على رأس بعثة ،

نجحت فى السنوات الحنس التالية فى إنشاء ميزانية متوازنة ، وفى تأكيد الاهمية العظيمة لجمع الضرائب العادلة ، وبعد سفر البعثة فى عام ١٩٢٧ اعتمدت الحكومة ميزانية متوازنة لمدة سنوات عديدة ، ولكنها اضطرت فى النهاية إلى أن تشرف بنفسها على التجارة والصناعة وكانت تحاول بذلك أن تقف فى وجه المشاكل التي نجمت عن الازمة الاقتصادية العالمية بصفة عامة .

وفى أثناء الحرب العالمية الآخيرة ارتفعت نفقات المعيشة حتى بلغت ، فثلا كان ثمن البيضة فى عام ١٩٤٤ كافيا لشراء مائة بيضة قبل ذلك بخمسة عشر عاما وكانت الاحوال الداخلية أبعد عن أن تكون مرضية .

وقد رجع مستر ملسبو إلى إيران فى عام ١٩٤٣ بدعوة من الحكومة الإيرانية وطلب منها سلطات واسعة فمنحته الحكومة هذه السلطات، وقدبذلت الهيئة التى تعمل معه من الامريكيين — وكان عددهم يبلغ خمسين شخصا — جهدا شاقا لإصلاح النظام المالى بصفة عامة، وفرضت ضريبة دخل تدريجية .

وقد تعثر برنامج بعثة ملسبو وتأخر بسبب ظروف الحرب الاضطرارية، بحيت جعلت هذه الظروف من الصعب على الإيرانيين، أن يلاحظوا أى تقدم أحرزته هذه البعثة، وبدأ البرلمان يحد من السلطات الممنوحة لها، وكان من نتيجة ذلك استقالة ملسبو، ومغادرته للبلاد في عام ١٩٤٥.

وأهم مصرف بين المصارف الاجنبية الموجودة فى إيران المصرف الامبراطورى الإيرانى (١) Imperial Bank of Iran وهو مؤسسة إنجليزية انشئت فى نهاية القرن الماضى وكانت عاملا قويا فى الحياة المالية والاقتصادية للبلاد ، وفى عام ١٩٤٩ غير مديرو المصرف اسمه إلى « المصرف البريطانى لايران والشرق الاوسط ، British Bank of Iran and Middle East وذلك على أثر مباحثات دارت بين المصرف والحكومة الإيرانية عقب انتهاء مدة الستين عاما وتمت الموافقة على وضع ٥٥٪ من جملة الودائع ، فى صورة

⁽١) توقف هذا المصرف عن العمل منذ بضع سنوات على أثر إقدام الدكتور مصدق على تأميم شركة البُترول الإنجليزية الإيرانية (المترجم) .

حساب حر فى المصرف الاهلى الإيرانى ، وقد نال المصرف السوفييتى الذى أنشى منذ مدة طويلة فى إيران هذه الحقوق نفسها فيها يتعلق بالودائع .

وقد شجع الدستور الإيرانى على إنشاء مصرف للدولة ، ولكن لم يؤسس « بانك ملى إيران، أو «المصرف الأهلى الإيرانى، قبل عام ١٩٢٧، وقد نما هذا المصرف بسرعة فائقة ، وحدد رأس ماله المدفوع بمبلغ يزيد على ٢٠٠٠،٠٠، و دولار ، وفى عام ١٩٣٢ أخذ من المصرف الامبراطورى حق إصدار أوراق العملة ، وفى عام ١٩٤٩ كان له ١٤٧ فرعا أو توكيلا فى مختلف أجزاء إيران كاكان له مندوبون فى عشرين دولة أوروبية تقريباً .

والأرقام التالية تبين العمليات التي اضطع بها المصرف المذكور، وهي موضحة بالدولار الآمريكي على أساس أن سعر الدولار ١٩٤٥ ريال إيراني وهو السعر الرسمي للتبادل منذ عام ١٩٤٦؛ فني عام ١٩٤٩ وصل بحوع الموجودات من الأوراق المالية المصرفية إلى ٥٠٠و٠٠٠و١٥٥ دولار وكانت قيمة أوراق العملة التي أصدرها ٥٠٠و٠٠٠و١٤٠ دولار ، أي بزيادة تصل إلى سبعة أمثال ماكان موجودا في عام ١٩٣٩ وذلك لظروف الحرب ، وما أدت إليه من تضخم في الميزانية . وكان غطاء العملة من الأوراق وهو ١٠٠٪ من قيمتها ، وهو الغطاء الذي تتطلبه التنظيمات الحكومية ، يتمثل في عام ١٩٤٩ في صورة الغطاء الذي تتطلبه التنظيمات الحكومية ، يتمثل في عام ١٩٤٩ في صورة التاج ، و ١٩٤٥٪ ديون للمصرف على الحكومة يتقاضاها من الزيادة التي تطرأ في ثمن مجوهرات التاج .

وقد شجع المصرف الأهلى على إيداع حسابات للتوفير، وهوشى. يعد جديدا بالنسبة إلى إيران ؛ فني عام ١٩٤٠ كان فى المصرف ١٥٥ و٥٥ حساب يبلغ بجموعها ١٩٤٠ دولار ، وقد ارتفع عدد هذه الحسابات فى عام ١٩٤٦ إلى ١٩٢٨ و ٢٩ حساب ، وبلغ بجموع ما فيها ٥٠٠ و٣١٧ دولار ويبلغ عدد من لهم حسابات توفير فى المصرف فى مدينة طهران سدس عدد المدينة ، ويبلغ متوسط ما يوفره الفرد ٩٠ دولادا .

ويعد المركز الرئيسي المصرف في مدينة طهران من أنخم الأبنية الجميلة في المدينة فالبناء الرئيسي أحد الأبنية الحديثة التي تثير الإعجاب، ويوجد داخل ساحاته الفسيحة ناد لموظفيه، ومطعم فاخر، ووسائل لتيسير الألعاب الرياضية من بينها ساحات للعب التنس، وحوض للسباحة، وساحات للاسكواش، وساحة للمصارعة « زور خانه » ومستشني وأحسن دار للطباعة في البلاد، وتعد جواهر التاج الإيراني الرائعة ميراثا وطنيا في الجمعه ملوك البلاد منذ القرن الثامن عشر إلى الوقت الحاضر، وهي معروضة عرضا جميلا في حجرة حصينة مستقلة ، والواقع أن الوضع المالي المدعم ، والشهرة الممتازة التي يتمتع بهما المصرف الأهلي الإيراني مدينتان لجهود مديره العام أبي الحسن ابتهاج.

ومن المؤسسات الآخرى المملوكة للحكومة . المصرف الزراعي الصناعي ، الذي أسس في عام ١٩٣٣ ، والمصرف العقارى المؤسس في عام ١٩٣٩ ومصرف الجيش . بانك سبه ، و مصرف . الصناعة والمعادن ، .

ويقدم المصرف الزراعى الصناعى قروضا للزراع وأصحاب الاعسال، أما المصرف العقارى فيمول مشروعات المبانى ويقدم قروضا تضمنها الاملاك، أما مصرف الجيش، فهو مؤسسة صغيرة نسبيا، وقد أسس ليسهل الاعمال المصرفية والقروض لافراد الجيش الإيرانى، ولكنه يقوم الآن بهذه الاعمال للجمهور عامة.

وقد أسس «مصرف الصناعة والمعادن » — فى عام ١٦٤٦ — ليشرف على الصناعات والمصاخ والمعادن التى تملكها الدولة ، ولكن أعماله صفيت فى يناير ١٩٥٠ ، وخصصت أرصدته لمشروع الإنشاء والتعمير.

وفضلا عن شركات التأمين المهمة المملوكة محليا فى إيران ، فإن كثيرا من شركات التأمين الاوروبية تدير فروعا لها فى طهران .

وزارة الداخلية :

تعد وزارة الداخلية مسئولة عن الإدارة الداخلية للبلاد ، وإيران مقسمة إلى عشر ولايات . استان ، تطابق حدودها ـــ تقريبا ـــ حدود التقسيم القديم

للبلاد مثل: آذربيجان، وخراسان، وكيلان، وفارس، وخوزستان، وسيستان (سجستان)، ويشرف على كل إقليم حاكم يعين من قبل وزارة الداخلية ، كما أن هناك موظفين كبارا فى الأقاليم معينين من قبل هذه الوزارة، وتختار المدن أعضاء المجالس البلدية، وترسل جميع الضرائب التي تجمع من الولايات إلى طهران كجزء من الدخل الوطنى.

ويشعر كثير من الإيرانيين ان حكومتهم مركزة جدا فى جهة واحدة، وينص الدستور على أن تكون الانتخابات لاعضاء المجالس المحلية بواسطة سكان الاقاليم والمناطق الموجودة فيها هذه المجالس، لتكون المجالس مسئولة عن إصلاح الاحوال فى الإقليم، غير أن هذا النص لم يوضع حتى الآن موضع التنفيذ، ويبدو انه من المحتمل جدا أن ينتخب أعضاء هذه المجالس فى المستقبل القريب، وأن يختار هؤلاء حكامهم وأن يخضع هذا لمو افقة الوزارة، وأن تصرف نسبة مئوية معينة من الضرائب التى تجمع فى كل إقليم فى المشروعات الحناصة به مباشرة.

وتقع مهمة المحافظة على النظام العام فى المدن والبلاد والقرى الكبيرة فى أيدى رجال الشرطة الذين يبلغ بجموعهم ٢٠٠٠ رجل، أما حفظ الآمن فى أيدى رجال الشرطة الذين يبلغ بجموعهم ٢٠٠٠ رجل، رجل أما حفظ الآمن ويسمون فى الطرق الجبلية والقرى الصغيرة فمتروك لقوات الآمن ويسمون وثاندارمرى ، وهم قوة مكونة من ٢٠٠٠ و٢٠ رجل ، ومنذ عدة سنوات حينا كانت بعض الطرق المعينة عرضة لآن يغشاها بعض قطاع الطرق ، كان الحراس يتخذون مو اقعهم فى أبراج مبنية بالحجارة ، يقيمون فيها بأعداد كثيرة لحراسة الطرق . وتكون كل جماعة منهم على مرى البصر من الجماعة الآخرى . ومنذ عام ١٩٤٧ ؛ جاءت بعثة أمريكية لتدريب قوات الآمن ، وكان يرأسها أولا الجنراله . نورمان شوارتس كوف (General H. Norman Schwarz Kopf) الجنراله . نورمان شوارتس كوف (Colonel James R. Pierce) وقد أشارت هذه البعثة بإعادة تنظيم هذا الحرس وترقيته وفقا للأساليب وقد أشارت هذه البعثة بإعادة تنظيم هذا الحرس وترقيته وفقا للأساليب الحديثة ، بحيث أصبح الاتصال والانتقال داخل البلاد آمنا جدا .

وزارة العدل:

وتختص وزارة العدل بتنفيذ القوانين الموجودة فى البلاد، والنظام القضائى . فى إيران يحدو حذو النظام القضائى فى فرنسا، وهو عبارة عن مجموعة من المحاكم تتدرج من المحاكم الموجودة فى الاقاليم من أقل مستوى ــ إلى المحكمة العليا، التى يكون فيها الاستئناف النهائى الأحكام، ولكن هذه المحكمة لاحق لها فى تقرير دستورية القوانين الحالية، ويحكم القضاة فى جميع القضايا ما عدا عدد قليل منها يدعى فيها المحلفون الذين يعينون غالبا بصفة دائمة .

ومنذ عام ١٩٢٥؛ حدث تطور شامل لدى الرأى العام الإيراني في فكرة القانون، فقبل ذلك الوقت، كانت البلاد تخضع لمواد القانون الديني المستمدة من القرآن، وكانت تفصلها شروح العلماء من رجال الدين، ويطبقها شيوخ المسلمين. وهذا النوع من القانون لم يكن غير مناسب لظروف الحياة في العهد الحاضر فحسب بل ألتي مسئولية كبيرة على رجال الدين، ووضع في أيديهم سلطة كبيرة، وكان من المدهش حقا أن تمحو بجموعة من القوانين الجديدة تراث قرون عديدة بمثل هذه السرعة.

وفي عام ١٩٢٥؛ وافق البرلمان على لائحة مفصلة للقانون التجارى، وأعقب ذلك بالموافقة على لائحة القانون الجنائى في عام ١٩٢٦، ولائحة القانون المدنى — في عام ١٩٢٨ — ويقع في تسعيائة مادة. وهذه القوانين الأساسية الثلاثة هي التي قام عليها النظام القضائى، بينها توجد قوانين أخرى ما زال بتطلع إليها حتى يتم تطور إيران، وقد ألغى قانون ١٩٢٨ الامتيازات الأجنبية التي كانت سحتى ذلك الوقت — تمنح الأجانب المقيمين في إيران نوعا من الحصانة ضد القبض عليهم كما كانت تهبهم الحق في أن يحاكموا بواسطة بمشلى بلادهم في القنصليات، كما حددت القوانين التي صدق عليها في عام ١٩٣١ و ١٩٣٥ السن القانونية للزواج، ورفعت الرسم المفروض على الطلاق، وبينت حقوق المرأة في الملكية، كما أبطلت القوانين التي أصدرت في ١٩٣٨ و ١٩٣٥ الزي الإيراني القديم، وجعلت الزي الأوربي والقبعة إجباريين، وقد ألغيت الرتب والآلقاب وكل مظهر من مظاهر الأرستقراطية القديمة في عام ١٩٣٥.

وأخيرا دعيت الوزارة لتنفيذ قوانين من نوع يعد جديدا في هذا الجزء من العالم، مثل القوانين التي تحرم التخزين، والتي تشرف على الإيجارات، وهي خاصة بالحرب الآخيرة، وقد نفذ القسم الآخير من هذه القوانين على وجه الخصوص — بكل أمانة ودقة.

وهناك عادة خاصة بالإيرانيين هي عادة الالتجاء إلى المساجد ، بست ، ، وقد اختفت بعد تنفيذ اللوائح الحاصة بالقانون الجديد ، وهي أن يلتجي الهارب إلى المسجد فلا يزعجه أحد ما دام محتميا بهذا الملجأ .

وتوجد مكاتب للتسجيل فى جميع المدن والقرى الكبيرة ، وقد أنشأتها الوزارة لتسجل فيها جميع الوثائق مثل : عقود الزواج ، وشهادات الميلاد ، وعقود الإيجار والملكية ، وحجج الاراضى فهذه جميعها ينبغى أن تسجل فى هذه المكاتب ، وهذا العمل ذو أهمية كبيرة فى إنشاء سجلات مستوفاة ودائمة لملكية الارض ، لأن حدود الاراضى فى العصور السابقة كان من الصعب تحديدها مما كان يؤدى إلى كثير من المنازعات حول حق ملكيتها .

وزارة النربية والتعليم :

وتختص وزارة النربية والتعليم بالتعليم العمام ، والأوقاف الدينية ، والفنون الجميلة .

واصطلاح والأوقاف الدينية ، ترجمة لكلمة عربية معناها والهبات الممنوحة للتعليم الديني أو للأغراض الخيرية ، وقد تكون هذه هبات نقدية ، ولكنها في أغلب الأحيان أراضي زراعية أو دكاكين في الأسواق أو بساتين يخصص دخلها السنوى لعمل خيرى وتشتمل بعض المساجد القديمة على كتابات تشرح بالتفصيل الهبات المخصصة لصيانتها الدائمة والهبات الآخرى المخصصة للإنفاق على الحمامات العامة ، والمدارس الدينية والمستشفيات ، وكانت حجج هذه الهبات والأوقاف جميعها ، وطرق إنفاق الأمو التحفظ قديماً لدى الزعماء الدينيين المسلمين ، ولكن هذا العمل حول منذ سنوات عديدة إلى وزارة التربية والتعليم .

وتقوم إدارة الآثار ــ التى توجد مكاتبها فى المتحف الحديث الرائع فى طهران ــ بتسجيل أبنية إيران القديمة ، وصيانتها ، والإشراف عليها ،كما تقوم بالإشراف على التنقيب عن الآثار فى جميع أنحاء البلاد .

ويساعد وزارة التربية والتعليم فى مشاريعها الكثيرة والمجاس الأعلى للتعليم، وهو مكون من عشرة أعضاء استشاريين ، وعشرة أعضاء مصوتين ، وهو يوافق على القوانين العامة والكتب المقررة ، ويسعى لإدخال الإصلاحات المجديدة والتوسع فى نظام التعليم ، ويعد قوة ثابتة فى وجه التيارات المنظرفة أو الرجعية .

ويرجع تاريخ التعليم في إيران إلى عهد بعيد جدا ؛ فني العصر الأكميني كان الشباب لا يتعلمون الركوب والرماية بالقوس فحسب، بلكانوا يتعلمون أيضا قيمة الصدق، والتمييز بين الحير والشر . وبعد الفتح الإسلامي وأعتناق الديانة الإسلامية ،كان التعليم يقوم على أساس القرآن ؛ كما كان التعليم في أوروبا يقوم على أساس الإنجيل، فظل شبوخ المسلمين يعلمون قرونا عديدة في مقابل مبلغ قليل من المال يؤخذ من الوالدين ، وفي المدارس التي تسمى المكاتب . . يستظهر الأطفال القرآن عن طريق ترتيل آياته في بحموعات، ويتعلمون قراءة الفارسية وكتابتها ، ومبادىء علم الحساب ، وكانت توجد ــــ أيضا ـــ عدة مدارس دينية كبيرة ، وهي شيء أشبه بالجامعات الدينية الغربية ، حيث يجتمع الطلاب الكبار حول الرجال الذين يعينون للتدريس لهم، ويدرسون موضوعات؛ كتفسير القرآن، والتعاليم الدينية، والفلسفة الدينية، ولم تكن هناك امتحانات رسمية ، كما لم يكن هناك مكان مخصص للفتيات في هذا النظام من التعليم، وقد أفسحت المدارس الدينية والمدارس العالية مجالا كبيرا للتعايم الدنيوي ، غيز أنهـا كانت تؤدى وظيفتها ــ خصوصا في المدن الصغيرة والقرى ـــ لتخريج رجال الدين . ويوجد الآن ٢٫٣٩٧ مكتب تضم ٢٩٢٢و٥١ تلميذ ، و ١٣٨ مدرسة دينية عالية يؤمها ١٩٣٤ طالب . وقد أنشئت علاقات وثيقة مع عدد من الدول الأوروبية في أوائل القرن السابع عشر؛ ومنذ ذلك الوقت، آخذت العناية بالأفكار الأجنبية، واللغات، وأسلوب الحياة تزداد في إيران، وبلغت هذه العناية أوجها بحيث أدت — في القرن التاسع عشر — إلى إنشاء مدارس تسير على نمط المدارس الغربية، وقد أسست إحدى هذه المداس وهي « دار الفنون، في طهران في عام ١٨٥٧، وكانت في البداية تعمل على التخصص في الموضوعات العسكرية، ولكن سرعان ما توسعت بعد ذلك في الفنون الحرة، وأدت خدمات فعالة في تعليم شباب الأسر النامة.

وقد أنشئت أول وزارة للتربية والتعليم في عام ١٨٥٥؛ ولكن وجود النظام الأساسي للتعليم في الوقت الحاضر يرجع تاريخه إلى عام ١٨٩٧، حينها أنشي و بجلس التعليم، في الوقت الذي استقر الرأى فيه على اتخاذ النظام الفرنسي في التعليم كنموذج يحتذى، ولا زال هذا النظام قائمًا، وهو يؤكد ضرورة إعطاء أكبر كمية بمكنة من المعلومات، وتوجه المدارس التي تديرها البعثة الأمريكية أكبر كمية بمكنة من المعلومات، وتوجه المدارس التي تديرها البعثة الأمريكية في التعليم، وقد فتحت أول مدرسة تابعة لهذه الإرسالية في عام ١٨٣٠، في التعليم، وفي أو ائل القرن العشرين وجدت مدارس أمريكية وإنجليزية في مدينة رضائية، وفي أو ائل القرن العشرين وجدت مدارس أمريكية وإنجليزية وألمانية وفر نسية وروسية في أجزاء مختلفة من البلاد، وفي عام ١٩٤٠ أديرت هذه المدارس بو اسطة الحكومة الإيرانية

والدراسة في إيران تتطلب نفس عدد السنوات اللازمة للدراسة في المدارس الابتدائية والثانوية والجامعة في بلادنا (أمريكا)، ولكن التقسيم قبل المرحلة الجامعية مختلف بعض الشيء؛ فالمدارس الابتدائية بالمجان، ويوجد منها ١٩٧٥، مدرسة تضم ٧٧٠ و مدرسا و ٢٦٣، تليذا، والدراسة فيها إجبارية، ويدخلها الاطفال في سن السابعة، ويواصلون الدراسة فيها ست سنوات، وفي سنوات الدراسة الأولى يجلس الاطفال والبنات في فصول واحدة، ولكنهم بعد ذلك الدراسة في مدرسة خاصة، وتخصص يجلسون في فصول منفصلة، ويدرس كل فريق في مدرسة خاصة، وتخصص

أغلب حصص الدراسة فى البداية لدراسة اللغة الفارسية والعادات والآخلاق والآلعاب الرياضية والحساب ،ثم تزداد مو اد الدراسة بعد ذلك إلى ثلاث عشرة مادة و تكون موضوعاتها هى نفس الموضوعات التى تدرس فى المدارس الأمريكية ، ويستفيد التليذ فى سنوات الدراسة الآولى من كتب المطالعة استفادة واسعة ، ويضم كتاب المطالعة دالجزء الثانى ، — الآن — موادا قصيرة عن العناية أثناء السير فى الشوارع ، وحين مل المصباح بالغاز ، وعند اللعب بالقرب من حافة الحوض الذى فى وسط فناء المنزل ، وقصصا عن الحيوانات ، بالقرب من حافة الحوض الذى فى وسط فناء المنزل ، وقصصا عن الحيوانات ، ودروسا فى حفظ النظافة ، والمساعدات المنزلية ، وقصصا مبسطة مستمدة من التاريخ الفارسى والشعر والشعر في الشعر أكثر من الموجودة فى كتب المطالعة الأمريكية .

ومدة الدراسة في المدارس الثانوية ست سنوات وهي ليست إجبارية وليست بالجان، ويدخلها التلاميذ عادة في سن الثالثة عشرة، وفي نهاية السنة الثالثة من الدراسة يوجد امتحان عام، وقرب انتهاء مرحلة الدراسة، يمكن للطلبة أن يستعدوا لدراسات أوسع بالتخصص في الادب أو الرياضة أو العلوم التجارية، أو العلوم الطبيعية، وتدرس سبعة عشر موضوعا، ويخصص لكل موضوع من ساعة إلى أربع ساعات أسبوعيا، وتدرس اللغة العربية بتعمق من بين اللغات الاجنبية — لانها لغة القرآن، أما اللغة الفرنسية التي كانت في وقت من الاوقات اللغة الاجنبية الاكثر ذيو عافقد حلت علها — في السنوات الاخيرة — اللغة الإنجليزية، وتوجد ٥٥٥ مدرسة ثانوية تضم ١٩٧٤ مدرسا،

وقد أنشئت جامعة طهران فى عام ١٩٤٣، ويديرها مجلس الجامعة، مستقلا عن وزارة التربية والتعليم، وهى تضم الآن ست كليات أو مدارس عالية. والتعليم فيها مشترك وهى كليات: المعقول والمنقول (العلوم الدينية)، والطب وطب الاسنان والصيدلة، والطب البيطرى، والحقوق والعلوم السياسية، والعلوم الاقتصادية ، والآداب والعلوم الطبيعية والرياضيات ، والهندسة ، وهناك مدرسة أخرى ملحقة بالجامعة هي مدرسة الفنون الجيلة وقد تلقى كنير من أساتذة هذه الكليات دراساتهم العليا في الجامعات الامريكية أو الاوروبية ، ومستوى التدريس وتحصيل العلم فيها مرتفع ارتفاعا مناسبا .

وتشرف وزارة التربية والتعليم على مدرسة التمريض، ومدرسة الموسيق التي يرجى منها الكثير، كما توجد مدارس صناعية وتجارية في مستوى المرحلة الثانوية، وإحدى هذه المدارس مدرسة للصناعة، تمرن الثلاميذ على صناعة نسج السجاد.

ويعتبر إعداد المدرسين أهم نواحى أعمال وزارة التربية والتعليم ، وينبغى على مدرسى التعليم الابتدائى أن يدرسوا ثلاث سنوات فى مدرسة ثانوية يلتحقون بعدها بأحد معاهد التربية الابتدائية ليحصلوا بعد دراسة سنتين على شهادة تخول لهم حق التدريس فى المدارس الابتدائية ؛ فإذا أرادوا أن يدرسوا فى المدارس الثانوية ، فإن عليهم أن يلتحقوا بمعهد التربية للمعلمين ليحصلوا على شهادة أخرى فى التربية من هذا المعهد .

وبعد عام ١٩٢٦، أخذت الحكومة الإيرانية تختاركل عام مائة طالب تقريبا، ثم ترسلهم إلى أوروبا أو الولايات المتحدة، وقد أصبح هؤلاء روادا للتعليم — بعد عودتهم إلى إيران — واحتلوا الوظائف الحكومية المرموقة، وكانت الحاجة ماسة إليهم بعد خبرتهم الفنية.

ومن الطريف أن نسجل أن الإيرانيين منحوا موهبة خاصة فى تعلم اللغات، لأن الطلاب الإيرانيين فى الخارج كانت ألسنتهم تنطلق دائمًا بلغة البلاد التى مدرسون فيها بفصاحة تامة.

وكانت إحدى نواحى سياسة التربية والتعليم الاساسية فى خلال العشرين سنة الاخيرة تشجيع النشاط الجماعى، ويتمتع الإيرانيون بشخصيات فردية قوية، ولم تكن هناك تنظيمات يستطيع الطلاب والفتيات أن يمارسوا فيها نشاطهم أو يقوموا فيها بأعمال نافعة فعالة إلى أن أشرفت الحكومة على حركة

الكشافة، وأحضرت رائدا من الولايات المتحدة لتمرين التلاميذ، فلم يلبث أن تمتع بحب التلاميذ بدرجة كبيرة، وكانت ملابس الكشافة هي نفس الملابس التي ير تدبيها الكشافة الامريكيون، وقد أعطيت عناية خاصة للنظافة، والكشف، والألعاب الرياضية، وفقدت هذه الحركة كثيرا من قوتها بسبب قيام الحرب العالمية الشانية، ولكنها بدأت – الآن – في استعادة قوتها من جديد؛ وقد شجعت المدارس أيضا الرياضة ويسرت سبلها، وهي تقيم في كل عام مهر جانا رياضيا يشترك فبه أحسن الرياضيين من كل جزء من أجزاء البلاد، وقد كان ملك إيران الحالي من كبار الرواد المتحمسين للحركة الكشفية قبل أن يلي العرش وهو شخصيا من أكبر الرعاة للرياضة كما أنه لاعب تنس قبل أن يلي العرش وهو شخصيا من أكبر الرعاة الرياضة كما أنه لاعب تنس كرة القدم يسمى :Soccer) و تعد في المدارس ساحات اللعب، و تزاول فيها كرة القدم يسمى :Soccer) و تعد في المدارس ساحات اللعب، و تزاول فيها الألعاب الجاعية. والمصارحة منتشرة، ولكن الملاكمة أقل انتشارا، ولا تلعب في إيران كرة القدم، والباسبول الأمريكية، ولكن تلعب فيها كرة السلة بمهارة، ومن الألعاب الرياضية الآخرى التي لا تشرف عليها المدارس مباشرة: ومن الألعاب الرياضية الآخرى التي لا تشرف عليها المدارس مباشرة: الترحلق علي المدارس مباشرة:

وتوجد حلقات كثيرة لهذا النوع من التدحرج في طهران ، تؤمها بحموعات كبيرة من الناس .

ومن السهل جدا أن تلاحظ أن نظام التعليم في الوقت الحاضر في إيران معد بطريقة تجعله أفضل للمدن والبلاد منه لمجتمعات القرى الصغيرة ، فمثلا المادة الموجودة في كتب المطالعة المدرسية تعد قليلة الفائدة الأطفال القرويين، وقد اعتقد المسئولون من رجال التعليم الإيرانيين أن المدارس الموجودة في القرى يجب أن تكون وثيقة الصلة بحياة الناس ، وأن المدرسين الذين يقومون بالتدريس فيها يجب أن يكونوا من نفس الوسط الذي يدرسون فيه يقومون بالدراسة في هذه المدارس يجب أن يهدف إلى تحسين وسائل الزراعة وأن برنامج الدراسة في هذه المدارس يجب أن يهدف إلى تحسين وسائل الزراعة

⁽١) نوع من كرة القدم تضرب فيه السكرة بالرأس والجسم والقدمين (المترجم) .

والاحوال الصحية؛ ولا توجد فى الوقت الحاضر إلا مدرسة واحدة لكل ثمانى أو عشر قرى حتى فى المناطق الآهلة بالسكان ، ولذلك فإن نسبة صفيرة من الاطفال القرويين هى التى تتمتع بمزايا التعليم .

وقد اقتنع التقدميون من الإيرانيين بأن حل مشاكل التعليم الريني، وانتشار الجهل وانعدام الاتحاد بين المواطنين يتيسر بإيجاد نظام شامل للتعليم . وفي عام ١٩٤٣ أجاز البرلمان قانونا يفرض التعليم الإجباري بالمجان لمدة معينة على كل طفل إيراني ، وهذا القانون يتطلب جهودا كبيرة ، وإنشاء آلاف من أبنية المدارس الجديدة ، ولم تعتمد المبالغ التي تكفل وضع هذا القانون موضع التنفيذ حتى الآن ؛ ولكن المشكلة الرئيسية ليست مشكلة الاعتبادات اللازمة وإنما هي مشكلة إعداد المدرسين اللازمين .

وقد استطاعت المدارس الآمريكية التي تشرف عليها البعثة الآمريكية التي تشرف على مدارس الإرساليات الآجنبية تدريب آلاف من الإيرانيين على النظام ، والحدمة العامة ، والحلق . وقد افتتحت المدرسة الآولى في رضائية (التي سميت بعد ذلك أورمية) في عام ١٩٣٦ . ثم افتتحت مدارس أخرى على نطاق واسع في المنطقة المجاورة لها ، يؤمها الآشوريون والآرمن بكثرة ، ثم أسس الآمريكيون بالتدريج بمدارس للتلاميذ الآكبر سنا من البنين في أسس الأمريكيون بالتدريج مدارس للتلاميذ الآكبر سنا من البنين والبنات في المدن الآخرى ، فأمها عدد كبير من الإيرانيين في إقبال متزايد ، وقد شيدت مدرسة للبنين في همدان في عام ١٨٧٧ ، وأخرى للبنات بعد ذلك باثنتي عشرة سنة ، كما افتتحت مدرسة للبنين في طهران في عام ١٨٧٧ ، وأخرى للبنات في العام التالى ، وافتتحت المدارس في الوقت نفسه في تبريز ، وأنشئت مدرسة كبيرة في رشت ، ثم توزعت بي عام ١٩٠٧ سفي مدارس مستقبة للبنين والبنات ، وقد افتتحت آخر مدرسة أمريكية في مشهد في عام ١٩٧٧ .

وبدأت المدارس بفصول قليلة للتعليم الابتدائى، ثم توسعت بحيث أصبحت تشتمل على برنامج كامل لكل من البنين والبنات يمتد من مرحلة رياض الاطفال إلى مرحلة التعليم الجامعي، وبلغ عدد البنين الذين يدرسون في المدارس الأمريكية

- فى عام ١٩٢٣ - ١٧٠٨ تلبيذ، بينها كان عدد البنات ١٣٤٦ بنت؛ أى أن عدد الجنسين كان يزيد على ثلاثة آلاف، وقد تسلمت كلية ألبرز فى طهران وهى التى كانت المدرسة الأمريكية العليا للبنين - براءة مؤقتة - فى عام ١٩٣٢ - من مجلس جامعة ولاية نيويورك، وأصبحت هذه البراءة دائمة فى عام ١٩٣٢، وكان نشر هذا النظام هو الشغل الشاغل لناظر المدرسة صمويل مارتن جوردان وكان نشر هذا النظام هو الشغل الشاغل لناظر المدرسة صمويل مارتن جوردان عادته لها - عينها أصبحت كلية - إلى أن اعتزل الخدمة فى عام ١٩٤٠، وكان تقدير أهل إيران له وحسن إظهارهم لهذا التقدير نتيجة طبيعية لحبهم له. وقد عاد آرثر س بويس (Arthur C. Boyce) الذى اشترك مع الدكتور جوردان فى هذا المشروع من إيران أخيرا بعد خدمة استمرت سنين طو الا فى هذه الملاد.

كما اتسعت في الوقت نفسه كلية البنات الأمريكية (Sage College)، وهي التي كانت في الأصل مدرسة نوربخش للفتيات، وقد استولت الحكومة الإيرانية على جميع المدارس الاجنبية في عام ١٩٤٠.

وزارة الزراعة:

تنقسم وزارة الزراعة إلى الاقسام الفنية الآتية :

١ ـــ الديوان العام للتقارير والحسابات والتفتيش .

۲ سـ مكتب فنى لدراسة البنجر ، وقصب السكر ، والزهور ، والخضراوات ،
 و الغابات ، و الطب البيطرى ، و تناسل الحيوانات ، و إنشاء الخزانات ومشروعات الرى ، و للصناعات الزراعية .

٣ ــ مكتب فني آخر للتجارب الزراعية ، وفحص البذور والأبحاث .

إدارة المعاهد وهي تشمل: مدرسة زراعية ثانوية ، وكلية للزراعة في كرج،
 ومعهدا للبصل في حصارك ، ومدرسة لتناسل الحيوان في حيدر آباد
 أشرفت على تطعيم بجموعة كبيرة من الحيوانات في جميع أنحاء البلاد ،

وإدارة للتأجير فى كرج، ومشروع لإبادة الحشرات فى كرج.

وتدرس المدرسة الزراعية ، وكلية الزراعة فى كرج للطلاب برنامجاكاملا ، كما تهيي لهم تمرينا عمليا كافيا فى الحقل والبستان والحديقة ، ولكن أكثر طلبتها ينتمون إلى طهران والمدن الأخرى ، ولذلك فإن القليل منهم هم الذين يجدون لذة ... بعد التخرج ... فى العمل فى المجتمعات الزراعية الصغيرة .

والاعمال الاساسية للوزارة هي تحسين أنواع الحبوب والحشائش وطرق إنتاجها، وتقديم النصائح الزراعية للمتخصصين والزراع، وتوسيع رقعة الاراضي المروية، وقد وجدت الإدارة الحاصة بهذه الاعمال في صورة وزارة مستقلة لمدة سنوات قليلة فقط، ولكنها صرفت جل اهتمامها في الابحاث النظرية وإلدراسات الإحصائية، ووجهت عناية قليلة للاتصال المباشر بالبيئات الزراعية، وتعد أعمالها المنشورة عن مصادر الثروة الزراعية في كل قسم من أقسام البلاد الاسس الثابتة لنشاط عملي أكثر.

وفى عام ١٩٤٣؛ اتخذت خطوة هامة إلى الأمام وذلك بإنشاء إدارة للرى كقسم مستقل عن الوزارة وكانت ذات ميزانية مستقلة ، قدرت فى الأصل بأكثر من مليون دولار سنويا ، ومنذ عام ١٩٤٩ إلى عام ١٩٤٦ استخدمت الحكومة الإيرانية أمريكيا يدعى الاستاذل . م . ونسور (١٨٤١ الله الله في غربى وجعلته مستشارا لها في مشروعات الرى ، وكانت له خبرة بأعمال الرى في غربى الولايات المتحدة لمدة سنوات عديدة . وسوف تنفذ مشروعات مد المدن بالمياه النقية بعد أن تتيسر الاعتمادات اللازمة لذلك . وقد حضر بئر ارتوازى بالمياه النقية بعد أن تتيسر الاعتمادات اللازمة لذلك . وقد حضر بئر ارتوازى بالمياه النقية من طهران ، كاقو بل إمكان حفر آبار أخرى فى أجراء مختلفة من البلاد بحاس كبير .

وفى عام ١٩٤٥، تم مسح الأرض فى إيران بواسطة مؤسسة الشرق الأدنى (Near East Foundation) ، وهى مؤسسة أمريكية اضطلعت منذ الحرب العالمية الأولى بمشروعات المساعدات العالمة، والتعليم الريني والتدريب الزراعى فى الدول التى تقع فى النصف الشرق من البحر الأبيض المتوسط، وقد نفذ

المشروع الإيرانى للمؤسسة برغبة شديدة ، ورعاية تامة من الحكومة الإيرانية ، وتم تنفيذه فى المدة ما بين ١٩٤٦ و ١٩٤٨ تحت الادارة المباشرة للدكتور ليل ج. هيدن Dr. Lyle J. Hayden والزارع إللينوى برد Dr. Lyle J. Hayden والمدرب كورنيل تريند Cornell trained ، وأخذت هيئة موظفيها تعمل بمعاونة كل من وزارتى الزراعة والتربية والتعليم ، وكان هدفها رفع مستوى التعليم ، والصحة العامة ، وطرق الزراعة والإنتاج فى عدد من القرى المختارة تتخذ كمعمل للتجارب ، ثم تطبق نتائج هذه التجارب فى بقية أجزاء البلاد .

وزارة الصحة:

وزارة الصحة هي آخر الفروع الحكومية التي أصبحت وزارة مستقلة ، وأحرزت نجاحا كبيرا في معالجة مشكلات الصحة العامة منذ عام ١٩٣٥، ولكن هناك أعمالا كثيرة أخرى ما زالت تحتاج إلى أداء . وإن انتشار الداء والمرض ليرجعان إلى قلة التغذية وانخفاض مستوى السكن والمعيشة ، وينبغي أن تقوى مصارعة المرض بالإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية التي سوف تساعد على رفع المستوى العام للمعيشة .

ويندر أن توجد الكوليرا في إيران ، وقد انتشر النيفوس في السنوات الأخيرة ، ولكن قوانين الحجر الصحى الدقيقة — في كل مناسبة — كانت تحصر هذه الحالات ، ويوجد في البلاد نوع مؤذ من الجدرى بطريقة وبائية، وكانت في وقت من الأوقات تعد خطرا حقيقيا ، ولكن تطعيم الأطفال — في المدارس — والبالغين قد أثبت أنه فعال جدا في محاربة هذا المرض ، والأمراض التناسلية جميعها مألوفة جدا في البلاد رغم أن أنواع المرض تبدو أقل أطرارا وإبادة من الأنواع الموجودة في الدول الغربية .

والرمد الحبيبي منتشر على نطاق واسع ، كما أن الدمامل منتشرة أيضا ، هذا إلى جانب الدمامل المنقيحة التي تسببها لدغات الحشرات المرعبة الموجودة في الرمال ، وهي تترك غالبا أثر واضحا .

كما تنتشر الأمراض التي تتسبب عن الماء والطعام ، مثل حمي التيفود ،

والدوسنطاريا الاميبية و لكن أضرارها أقل بكثير بما كان يتوقع ، لأنه يبدو أن عند الناس مناعة ـــ إلى حد ما ـــ ضد إصاباتها .

والتدرن الرئوى يصيب كلا من الفلاحين وأهل المدن، ولم يعرف إلا أخيرا أن الملاريا هي سبب الحيات التي تنهك قوى نسبة كبيرة من السكان، وقد عرفت الملاريا بانتشارها على طول الشريط الساحلي الرطب لبحر قزوين غير أنه قد تأكد أخيرا أن الناموس الذي ينقل عدوى الملاريا يعيش أيضا في القمم المرتفعة ذات الجو الجاف في الهضبة الإيرانية .

ونسبة عدد الوفيات بين الاطفال كبيرة فى كل من القرى والمدن، ومتوسط عدد أفراد الاسرة خمسة أشخاص، وتفقد كل أسرة تقريبا واحدا من أطفالها على الاقل فى سن مبكرة، وقد قررت المصادر الموثوق بها أن الحالة الصحية العامة بين السكان القروبين سيئة، ولكن بعض الدارسين يعتقدون أن مثل هذه التقارير مبالغ فها.

وتحاول إدارة الحدمات الطبية بالوزارة أن تقاوم المرض، وتحول دون انتشاره ، وقد أفلحت الحملات الآخيرة التي قام بها رجال الصحة في عربات مجهزة بآلات الرش في تطهير كثير من المناطق من ناموسة الملاريا ، ولكن المقضاء على الميكروبات الموجودة في المياه مشكلة أكثر صعوبة ، لأن المدن والبلاد والقرى تفتقر جميعها إلى أنابيب للمياه ، ونظام للصرف .

وتشتمل مدينة برجند على أنابيب للبياه ، كما تشتمل مدينة مشهد على هذه الانابيب في جزء منها ، وهناك كثير من مجارى المياه يزمع إنشاؤها في المدن الاخرى . وقد درست مشروعات كثيرة حديثة لإنشاء شبكة لانابيب المياه في طهران دراسة تفصيلية ، ومن المتوقع أن تبدأ الاعمال الإنشائية في المستقبل القريب(۱) وليس من المحتمل أن يتم إنشاء شبكة للصرف قريبا ، ويعد جو إيران الحار الجاف عاملا ملطفا يمين على منع انتشار العدوى .

⁽١)كان هذا وقت تأليف الكتاب ، وقد تم إنشاء هذه الشبكة الآن (الترجم) .

وتدير هيئة علمية بمتازة معهد باستير في طهران ، وقد أسس في عام ١٩٢١، وأدى خدمات عامة فعالة في دراسة الأمراض المحلية ، وتحضير حقن وأمصال ضد الجدري ، وحمى التيفويد ثم ضد التيفوس في السنوات الآخيرة .

وقد أنشأت الحكومة المستشفيات منذ عام ١٩٣٠، وتشتمل طهران على عدة مستشفيات كبيرة جدا، أكبرها وأحدثها مستشفى يسمى و مستشفى الألف سرير، (١) كما توجد أيضا مستشفيات خاصة بالسيدات فى طهران، وتحتوى أغلب المدن الكبيرة على مستشفيات حكومية؛ ومستشفى مشهد على وجه الخصوص حسن الإعداد والإدارة، كما تشرف الحكومة على عيادات طبية حرة فى المدن، وقد حاولت فتح مثل هذه العيادات فى القرى الزراعية، ولكن قلة الممرضات، وعدم رغبة الأطباء المهرة فى المعيشة فى القرى إلى جانب قلة الاعتبادات المالية، قد عرقلت تنفيذ هذا المشروع. والواقع أن حيطان العيادات الطبية المبيضة فى القرى، ومداخلها النظيفة الحالية من القذارة تعطى درسا عمليا فى الوقاية من أسباب المرض فى حياة الناس الشخصية والمنزلية، ولا يتعصب القرويون ضد وسائل العلاج الحديثة، ولذلك فهم يهرعون إلى العيادات الطبية، وقد أنشأت الحكومة مصحة للندرن الرئوى فى منطقة عالية عن طهران، فى ساحات أحد القصور الملكية ومبانيه التى يرجع تاريخها إلى القرن التاسع عشر.

وتشرف الحكومة على المعهد إلاقرباذينى الذى أنشئ حديثا، وهو الذى يستورد الادوية والمستحضرات الطبية، ويتولى توزيعها على الجمهور بأسعار منخفضة، ويشرف على الإنتاج المحلى لبعض المستحضرات الطبية.

ويشرف الاطباء الخصوصيون — الذين تلقوا تحصيلاتهم فى الخارج، أو أخذوا درجاتهم العلمية من كلية الطب بجامعة طهران — على مستشفياتهم وعياداتهم الحاصة ، وبين هذه المستشفيات عدد من مستشفيات النساء والاطفال.

⁽۱) يسمَى هذا المستشنى بالفارسية • بيمارستان هزار تختخوابي » (المترجم) •

وقد أدت المستشفيات التي يملكها الأجانب ويقومون بإداراتها خدمات جليلة لأهل إيران، فنذ مدة طويلة أنشأ مجلسالبعثة الأمريكية الذي يشرف على الإرساليات الآجنبية مستشفيات في شمالي البلاد، وقام بإدارتها، ومرن فيها كلا من الاطباء والممرضات، وحاول في الوقت نفسه أن يستأصل من نفوس الناس الاعتقاد السائد بأن التمريض ليس عملا محترما، ثم طلبت الحكومة الإيرانية من المستشفيات الآمريكية أن تؤسس أولى مدارس التمريض التي تتولى الحكومة الإشراف عليها وإعانتها، وتفتح المستشفيات الأمريكية أبوابها في كرمانشاه، وهمدان، ومشهد، وتبريز ولكن المستشفي الكبير في طهران مغلق بسبب قلة الأشخاص اللازمين له، وتشرف بعثة إنجليزية في طهران مغلق بسبب قلة الأشخاص اللازمين له، وتشرف بعثة إنجليزية روسيا السوفيينية — الآن — بإنشاء مستشفي صغير في تبريز، وآخر أكبر روسيا السوفيينية — الآن — بإنشاء مستشفي صغير في تبريز، وآخر أكبر في طهران وهو بجهز بعناية فائقة ولكن أسعاره أغلى بكثير من أسعار في طهران وهو بجهز بعناية فائقة ولكن أسعاره أغلى بكثير من أسعار المستشفيات الحكومية أو مستشفيات الارساليات الآجنيية الاخرى.

وتشغيل الأطفال منظم بواسطة قانون ، ولكنه منتشر فعلا ، خصوصا في صناعة نسج السجاد ، حيث تفيد الآيدى الصغيرة في ربط العقد ، كما أن الضغط الاقتصادى في الحياة القروية يجبر الاطفال على المساهمة في حمل نصيبهم من أعباء الحياة ، وذلك بزراعة الحبوب أو رعى الاغنام ، ونظرا لأن هذا النوع من العمل يعد مضرا للنمو الصحى للاطفال ، فإن وزارة العمل التي أنشئت حديثا تفكر في وضع التشريعات اللازمة لذلك ، وتنفيذها بدقة .

وقد أدى إدمان تدخين الأفيون منذ عدد كبير من السنين إلى تقويض محة كثير من الإبرانيين بينها يسر للمدمنين هربا سهلا من العناء المميت . كما أدى استعماله المستمر إلى القضاء على النشاط ، والرغبة فى العمل ، هذا فضلا عن أن ثمن الأفيون قد أرهق دخل الأفراد المحدود ، بحيث أصبح استعماله من وجهة النظر الاقتصادية يهدد بكارثة ، وليس هناك من شك فى أن القضاء على هذا الإدمان سوف يصبح أمرا صعبا للغاية ، ولكن ينبغى على الحكومة الإيرانية

أن تثبت أنها أكثر جدية فى تحريم زراعة الخشخاش، ومنع تدخين الأفيون، كما أن تثبت أنها أكثر جدية فى تحريم الأفيون التى كانت نشيطة منذ عدة سنوات يجب أن تضاعف نشاطها فى هذا العمل فى المستقبل القريب().

وزارة الاقتصاد الوطني :

فى يونيه من عام ١٩٤٧؛ قرر مجلس الوزار. إنشا. وزارة للاقتصاد الوطنى تضم كل إدارات وزارة التجارة والصناعة والمناجم وأقسامها التي أنشئت منذ زمن طويل، وصدق البرلمان على المشروع بعد ذلك.

وقد خصصت اعتبادات عامة لإرساء قو اعد السياسة الاقتصادية للحكومة، وهى كالآتى: الإشراف على التجارة الحارجية ومراقبتها، والإشراف على الصناعات والمناجم المملوكة ملكا خاصا، وتنفيذ مشروع السنوات السبع للإصلاح الاقتصادى وتعمير البلاد، والإشراف على مراقبات النقد الداخلية، وتحسين الزراعة، وطرق المواصلات، كما أن الفنون والحرف تتبع هذه الوزارة، وقد بذلت الوزارة جهدا أكيدا في اجتذاب الرجال ذوى التجربة الواسعة، والحبرة الفنية المعروفة لتولى عددامن المناصب الرفيعة ذات المسئولية.

وتشرف إدارة المناجم على استغلال هـذه المناجم المؤجرة للشركات المحلية ، وتقوم بمعاينة الموارد المعدنية فى البلاد ، وتعد خرائط عن مواقع المناجم والتكوينات الجيولوجية .

ونشاط إدارة الفنون والحرف له أهمية عاصة ، فقد بذلت محاولات لإحياء بعض الصناعات اليدوية القديمة وتحسين كمية إنتاج الحرف الحالية ونوعها، وتشرف الإدارة على مدرسة عليا في طهر ان ومدارس فرعية في مشهد، وتبريز، وإصفهان، وشيراز، وشاهي، وهي تشرف أيضا على مدرسة الفنون الجميلة في طهر ان التي كانت في وقت من الأوقات تحت إدارة أحد كبار نقاشي الصور الصغيرة (المنمنات)، كما توجد مدرسة للصباغة، ومدرسة حرف يدوية للبنات، يدرب فيها الطلبة على نقش الصور الصغيرة، ورسم السجاد ونسجه، وصناعة الفخار

⁽١) حرمت الحسكومة الإيرانية أخيرا زراعة الأفيون وتعاطيه والاتجار فيه . (المترجم)

والآجر ، ونحت الخشب ، ونسج القباش الحريرى المشجر ، وأشغال الفضة والنرصيع ، وطبع النقوش على الأقشة بواسطة النماذج الحشبية ، وتهدف هذه المدرسة إلى إقامة مستوى عال للمهارة الفنية ، وأن تعيد للرسم ذوقه الذاتى الجميل كاكان فى الماضى ، وهو الطابع الذى فقد أغلبه فى أواخر القرن التاسع عشر نتيجة لظهور المنتجات الآلية الأوروبية وهى أقل مرتبة وروعة .

وزارة المواصلات :

أهم الاجهزة التي تديرها وزارة المواصلات: السكك الحديدية للحكومة الإيرانية التي يشرف عليها شباب ذوو خبرة في شؤون السكك الحديدية ، وقد تعاون هؤلاء بإخلاص في أثناء الحرب مع القوات الإنجليزية الروسية الامريكية المتحالفة ، وكانت كل قوة من هذه القوات تشرف على جزء من الخطوط الحديدية ، وقد تعلمت الهيئة الإيرانية الكثير من النظم الغربية خلال اتصالها المستمر بهذه القوات ، وكانت الإدارة تصدر بحلة أسبوعية شاملة تناقش بدقة المشاكل التي تتصل بالعمل ، كاكانت تحاط أو لا بأول بمدى النطور في تأسيس الخطوط الحديدية وترقية نظمها وذلك عن طريق إرسال كبار موظفيها إلى الحارج للقيام بدراسات واسعة عيقة ، وبعد نهاية الحرب؛ أصبحت هيئة السكك الحديدية للحكومة الإيرانية تمتلك القاطرات ، وعربات الشحن ، والادوات الميكانيكية ، والمعدات من جميع الانواع ، وقد اشترت الحكومة الإيرانية هذه الإشياء من الجيش الأمريكي .

ومشاكل إدارة خطوط السكك الحديدية فى إيران كثيرة وصعبة ، فمثلاكل الدعامات ينبغى أن تأتى من الساحل القزوينى مخترقة الجبال العالية ، ويجب أن توجد ماكينات سحب المياه — فى كل منطقة فيها مياه — وأن تكون فى حالة جيدة تسمح لها بالعمل ، كما أن القضبان تستورد من الخارج ، ولماكان الخط الحديدى كله انفراديا ، فإن جداول سير القطارات يجب أن تصمم بدقة ، وأن يحافظ على المواعيد . وليس مقدار البضائع ، وعدد المسافرين كبيرين فى الموازنة بين الإيرادات والمصروفات .

والوزارة مسئولة عن توسيع شبكة الخطوط الحديدية، وإدارتها وتوسيع الطرق والممرات الجبلية وتنظيفها، وقد تم تشييدكل من الخطوط الحديدية، والطرق عن طريق العقود المبرمة مع الشركات الخاصة، ولكن صيانة الطرق وإدارتها في جميع أنحاء البلاد موكولتان للموظفين الحكوميين، وجميع الطرق الرئيسية والطرق الفرعية مرصوفة بالحصباء على قاعدة من الحجارة المسحوقة، والادوات المستعملة في تحطيم الاحجار هي الآلات أو الايدي وتساعد أعمال تنظيف الطرق—التي تقوم نها جماعات العمال المجلوبين من القرى في نوبات مختلفة على طول هذه الطرق — على تيسير حركة المرور، وتقليل الحسائر، لانها تضع طبقة جديدة من الحصباء على سطح هذه الطرق، وإذا لخسائر، لانها تضع طبقة جديدة من الحصباء على سطح هذه الطرق، وإذا لنقل الثقيلة، وسيارات الركاب التي تستطيع قطعها في وقت مناسب.

وقبل الحرب ؛ كانت الموزارة وصلات قصيرة مرصوفة من الممرات الجبلية ، وكان للمجالس البلدية طرقها الخاصة المرصوفة ، وقد رصفت القوات المتحالفة أميالا من الطرق فى أثناء الحرب ، وأبرمت الحكومة عقوداً لرصف الممرات الجبلية المهمة ، وليس من المحتمل أن تستعمل الخرسانة فى رصف الممرات الجبلية لأن الاسفلت متيسر فعلا ، ويمكن أن يوضع على القاعدة المتينة الموجودة ، فى حين أن الاسمنت ليس نادرا فحسب بل يتطلب قاعدة خاصة ، هذا فضلا عن تكاليف الآلات الباهظة وكميات المياه الكبيرة اللازمة فى مثل هذه الحالة ،

وزارة البريد والمسرة والبرق:

تخضع نظم البريد والبرق (التلغراف) والمسرة (التليفون) فى إيران لإدارة الوزارة المباشرة، وتشرف الوزارة على المدارس الخاصة بهذا النوع من التعليم التى تخرج العال والفنيين اللازمين لهذه الأعمال.

وقد أدخل أول نظام للبريد ـــ تقليدا للنظم الموجودة فى البلاد الأوروبية ــ فى عام ١٨٦٥؛ وأصبحت إيران عضوا فى اتحاد البريد العالمى فى عام ١٨٧٧، وينقل البريد داخل البلاد عامة بالسيارات وعربات النقل، كما يوجد بريد جوى داخلى بين طهران والخليج الفارسى، وأجور النقل الداخلية على البريد حتى بالطائرة ـــ أقل بكثير منها فى الولايات المتحدة.

وقد أنشى أول خط البرق في إيران في عام ١٨٥٩ ، وفي ذلك الوقت كانت الحكومة البريطانية ميالة جدا إلى إنشاء اتصال برقى على طول الطرق من أوروبا إلى الهند عن طريق الشرق الآدنى ؛ وفي عام ١٨٦٤ وما بعده منحت شركة البرق الهندو — أوروبية الادنى ؛ وفي عام ١٨٦٤ وما بعده (Indo — European Telegraph عند المخلوط البرق عبر ايران بشرط أن تعمل داخليا كا تعمل خارجيا ، وقد دخلت هذه الخطوط ايران من الغرب وتفرعت في نقطة في وسط الهضبة ، خرج فرع منها ليتصل بالشبكة الرئيسية عند بوشهر على الخليج الفارسي ، ويواصل الخط الآخر سيره فوق سطح الأرض عبر بلوخستان إلى الهند ، وقد أنشأت ايران خطوطا اضافية ملكا لها بعد ذلك بكثير، وأخيرا وافقت بريطانيا العظمي — في عام ١٩٣٧ — على تسليم خطوط الشركة الهندية الأوروبية للحكومة الايرانية ، ويوجد في الوقت الحاضر حوالي الشركة الهندية الأوروبية للحكومة الايرانية ، ويوجد في الوقت الحاضر حوالي

وقد أقيمت محطتان للاذاعة فى تبريز وطهران ، عدا محطات الارسال التى يملكها الجيش الإيرانى ويديرها ، والمحطة التى تملكها الحكومة فى طهران مقامة فى مبنى حديث للغاية ، وهى مجهزة تجهيزا جيدا ، وتدبير المراسلات التجارية مع الدول الاجنبية عن طريق الاتصال المباشر بواسطة أسلاك للإرسال والاستقبال مقامة فى أوروبا والولايات المتحدة ، والقوة الموصلة مناسبة لإقامة اتصال دائم فى الظروف الجوية المختلفة .

ويذيع راديو طهران أيضا برائج عامة على الموجة القصيرة وموجات الإذاعة المتوسطة، وتبدأ الإذاعة كل يوم فى حوالى السادسة صباحا ببرنائج غير عادى يجمع بين التمرينات الرياضية الغربية وبين دقات الطبول وغناء الاشعار الحماسية التي تناسب حلقات المصارعة، وتستمر المحطة في الإذاعة

بعد الظهر حتى العاشرة مساء تقريبا ، والبرامج المثالية فيها هى الموسيق والأغانى المغربية والإيرانية المسجلة ، وبرامج الأطفال ، وقراءات من الأدب والشعر ، ونشرات الاخبار بالإنجليزية والفرنسية ، والروسية والعربية إلى جانب النشرة الفارسية ، والأحاديث عن الحوادث الجارية ، والموضوعات التى تشغل الرأى العام ، وتعجب الذوق العام .

و توجد أجهزة للاستقبال قليلة نسبيا ، تقدر بثلاثين ألفا ، مستعملة الآن في إبران ، ويرجع السبب في هذا — أصلا — إلى ارتفاع أثمان أغلب الاجهزة المستوردة ، وإن كان هناك ميل حقيق عام إلى الإستماع إلى برامج الراديو . وتنابع الصحافة الإيرانية الأخبار التي تذيعها وكالات الأنباء الاجنبية حتى يستطيع القارئ العادى أن يتابع الاحداث العالمية ، ويسمع راديو طهران في جميع أنحاء البلاد ، بينها تسمع محطات مصر ، وتركيا والهند وأوروبا بوضوت في جميع أنحاء البلاد ، بينها تسمع محطات مصر ، وتركيا والهند وأوروبا بوضوح في داخل إيران ، ومنذ مارس ١٩٤٩ ؛ يذيع صوت أمريكا كل يوم برامج بالفارسية موجهة إلى إيران .

وتدار شبكة التليفونات بواسطة شركة خاصة بامتياز خاص من الحكومة ، ويوجد حوالى ٠٠٠ و١٥ تليفون منها ٥٠٠ و ٦ فى سنترال طهران الأو توماتيكى . وتدار الخطوط بين للدن بعناية ، كما أن أسعارها منخفضة .

وزارة العمل:

فى ١٨ مايو ١٩٤٦؛ أقر مجلس الوزراء قانونا شاملا للعمل مدف إلى مواجهة المطالب الملحة التى تقتضيها الظروف الحديثة ، ولم تكن فى إيران أية لائحة للعمل قبل أن يوضع هذا القانون موضع التنفيذ ، ولم تكن هناك شروط ملائمة لتمثيل إيران فى منظهات العمل الدولية ، وكان هذا القانون ضروريا جدا لأن قوانين العمل فى إيران كانت مخالفة للقواعد الموجودة فى الدول الأخرى، وقد نظمت المواد السبع والاربعون الواردة فى هذا القانون ساعات العمل، والأجور، والإجازات، ودفع الأجور فى الإجازات، والعمل بواسطة النساء والأطفال ، ونصت على العقود التى تبرم بين صاحب العمل والموظفين ،

والتأمين على صحة العيال، وعلى إدارة لتشغيل العاطلين ، واتحادات للعيال، ومكاتب للصلح وتسوية المشاكل وديا ، وجمعيات للادخار ، كما نصت على التأمين الاجتماعي .

وفى ١٠ أغسطس ١٩٤٦؛ أنشئت وزارة للعمل بقرار من مجلس الوزراء، ووكل إليها تطبيق قانون العمل. وتشكون هذه الوزارة — التي وافق البرلمان على إنشائها فى دورته الخامسة عشرة — من قسم إدارى وثلاثة أقسام فنية تشمل العمل، والنشر والدعاية، والإصلاحات والإنشاء. وينقسم الجزء المهم الخاص بالعمل إلى مكاتب مستقلة تعالج الموضوعات التي حددها قانون العمل، ومكتب خاص بالعلاقات الدولية الخاصة بالعمل. وقد اشترك ممثلو إيران — فعلا — فى مؤتمرات العمل الدولية.

وكانت إحدى الخطوات الأولى التى اتخذتها الوزارة الجديدة إصدار قانون يقضى بزيادة أنصبة الفلاحين الذين يعملون فى الحقول التى يملكها الآخرون على أن تكون بمعدل 10٪ ابتداء من محصول عام 1957.

الفصلالتاسع

الشعب

السكان:

يقدر إحصاء قامت به الحكومة – حديثا – عدد سكان إيران به المحكومة على مليو نين من القبائل الرحل أو نصف المستوطنة ، ويوجد حوالى ثلاثة ملايين فقط يسكنون المدن التي يزيد عدد سكان كل منها على عشرين ألف ساكن ، ويبلغ عدد سكان طهران العاصمة مدوري نسمة (۲) بينها يبلغ عدد سكان تبريز ومشهد وإصفهان حوالى مدوري نسمة (۲) ، أما باقي السكان فمن الفلاحين ، وهم يسكنون في ٢٠٠٠٠٠ قرية يبلغ عدد منازل كل منها خمسة عشر منزلا أو أكثر .

ومتوسط كنافة السكان فى إيران عشرين نسمة لكل ميل مربع: بينها يصل المنوسط فى الولايات المتحدة إلى خمسة وأربعين شخصا للميل المربع ، ويبلغ متوسط كنافة السكان فى صحارى إيران الكبيرة والجزء الجنوبى الشرقى أقل من عشرة أشخاص فى الميل المربع ، ويصل هذا العدد فى القسم الشهالى الغربى ، وعلى طول الساحل القزوينى ، إلى مائة نسمة للميل المربع ، وقد تعرض سكان البلاد لانقراض شديد فى القرن الثامن عشر ، وأوائل القرن التاسع عشر ، ولكنهم الآن فى ازدياد مطرد وقد كانت هناك حركة هجرة كبيرة من القرى إلى المراكز الصناعية الجديدة ، وقد تضاعف عدد سكان طهران فى خلال السنوات الخس عشرة الأخيرة .

⁽١) كان هذا وقت تأليف الكتاب أما الآن فقد قدر الإحصاء الذي أجرى في العام الماضي السكان بأكثر من سبعة وعشرين مليونا .(المترجم)

⁽٢) يقدر عدد سكان طهران وفقا للإحصاء الأخير بما يقرب من مليونين نسمة (المترجم)

⁽٣) يريد عدد سكان هده المدن في الإحصاء الأخير عن هذا الرقم كثيرا. (المترجم)

وينحدر سكان إيران من جماعة الآريين القدماء الذين وفدوا إلى إيران منذ القدم، في الآلف سنة الثانية قبل الميلاد، ولا يعرف إلا القليل عن سكان إيران قبل الآريين، وهم الذين يذكرون باسم القزوينيين أو القوقازيين، ولكن ليس هناك من شك في أنهم تزاوجوا مع الآريين واندبجوا فيهم، وقد دخل كثير من القبائل العربية البلاد خلال القرن السامع بعد الميلاد، واستقرت في النيمال الشرق وفي شرقي البلاد، كما أن القبائل التركية أوالتورانية هاجرت إلى إيران في أعداد كبيرة في المده من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، وقد جملت القبائل الرحل المسائل التي تتعلق بالجنس واللغة معقدة، فبعضهم بيكن أن نرجح أنهم كانوا يقيمون في إيران منذ عدة قرون ؛ معتمدين على ما يدل عليه التكوين الطبيعي لرؤوسهم (من الباحية الأنثروبولوجية) والآخرون قدجاءوا إلى البلاد في خلال العهد الاسلامي ، ولا يزال البعض يها حرون أو ينتقلون من جهة في البلاد إلى جهة أخرى، وبعض هذه الجاعات يهاحرون أو ينتقلون من جهة في البلاد إلى جهنه أخرى، وبعض هذه الجاعات يتكلم لغات يبدو أنها مقتبسة لآنها لا تتفق مع جنسها الأصلي .

ويتكلم جميع سكان المدن والجماعات الزراعية اللغة الفارسية : وعددهم يتراوح بين نصف بحموع السكان وثلثيهم . ويتكلم خمس السكان لغة تركية تسمى و الآذرية ، وهم يسكنون الإقليم الشمالى الغربى من آذربيجان ، وينتشرون بعد ذلك نحو الجنوب فى صورة مثلث كبير ، وهى لغة ذات قواعد يسيرة ، تضم كثيرا من الكلمات الفارسية ، وقد تلقن عدد كبير من هؤلاء اللغة التى أعقبت الغزو المغولى أو وجدت بعد ذلك فى عصور متأخرة ، ويبدو من الصعب أن تضع خطا يفصل بين العناصر التركية ، والعناصر الإيرانية التى تتكلم الآن اللغة الآذرية ، غير أنه من المحقق أن العنصر التركي يتألف من الاتراك الإيرانيين الذين انحدروا من آسيا الوسطى ، وتربط بينهم وبين الاتراك العثمانيين الذين انحدروا من آسيا الوسطى ، وتربط بينهم وبين ناحية الجنس .

ولذلك فإن سكان إيران يمثلون بحموعة الطوائف التي هاجرت إلى هذه البلاد، وبقايا الغزوات المتلاحقة، ولكن بينهم — في الوقت نفسه — من

التجانس أكثر مما بين السكان فى البلاد الآخرى التى تساوى مساحتها مساحة إيران، كما يوجد أيضا أساس للاتحاد الوطنى ، والوعى القومى فى المجتمع الإيرانى المتماسك المترابط بفضل اتباع المذهب الشيعى ، وهذا الشعور له تأثير كبير فى الآدب الفارسى ، وفى الحضارة والعادات والتقاليد، وفى أسلوب الحياة فى إيران .

و ۹۸٪ من السكان مسلمون، و ۹۳٪ من هذا العدد شيعة ، و ٧٪ من السنيين، وينتشر المذهب السنى بقوة بين الآكراد، وتوجد جماعات من الاقليات قليلة نسبيا ؛ وقد كان الإيرانيون دائما متسامحين ، فلم يظهروا نحو الاقليات من الاجناس أو الاديان إلا تعصبا وتمييزا قليلين إذا ما قيسا بالامم الاخرى، ويوجد في الشمال الغربي من إيران ٠٠٠ و٥٠ أرمنى، وهم أيضا بتجار أغنياه في المدن الكبيرة ، كا يوجد ٠٠٠ و ٣ من النصارى النسطوريين، ويقطن اليهود في المدن الكبيرة ، وفي بعض الجماعات الزراعية القديمة ، كا توجد في إيران أيضا بالاف قليلة من البرو تستانت والكاثوليك، وتوجد مستعمرات من البارسيين ، وهم الإيرانيون الذين ما زالوا يدينون بالدين الزردشي ؛ وهم يقيمون في يزد وكرمان، وفي بحموعات قليلة في طهران وإصفهان وشيراز، وهم مشهورون كأصحاب بساتين وتجار .

والإيرانيون سمر ، ذوو شعر بنى غامق ، أو أسود ، وعيون بنية غامقة ، وهم ذوو طول متوسط وبنية متوسطة ، ويتدرج لون البشرة بين البياض الناصع والسمرة ، ولونهم العام شبيه بلون الإيطاليين أو اليونانيين .

القبائل البدوية

أهم الجماعات القبلية المشهورة فى إيران: الكرد، واللور، والبختيارية، والقشقائية، والشاهسوانية، والعرب، والبلوجية. وقد مالت بعض القبائل ومن بينهم الكردوالعرب إلى الحياة الزراعية المستقرة، ولكن البدو الحقيقيين ما زالوا يلتزمون حياة الرعى، ويقيمون اقتصادياتهم على القطعان الكبيرة من الغنم والماعز، ويتكلم الكرد واللور والبختيارية لهجات يبدو أنها مشتقة من

الفارسية القديمة، أو من أية لغة هندو ـــ أوروبية قديمة أخرى ، ولا يزال العرب القاطنون إلى الشمال من رأس الخليج الفارسي يتكلمون اللغة العربية ، ويتكلم القشقائيون في الجنوب الغربي، وجّزء من طائفة الخسة ـــ منجيران القشقائيين ـــ والشاهسو انيون لهجة من اللغة التركية ، بينها يتكلم البلوجيون فى جنوب شرقى إيران لهجة من اللغة الفارسية . و يعد هؤ لا ـ البدرهم و مجموعات أخرى أقل منهم عددا العنصر الوحيد الجدير بالتصوير من بين سكان إيران، وهم يمثلون أروع نموذج لقوة الأجسام والشجاعة ، وهم دائمًا يغذون الجيش الإيراني بأقوى رجاله، ويعدون عموده الفقرى، وقد انحدرت كثير من الأسر الحاكمة من رجال القيائل المحاربين .

وفي فصل المطر ٬ تتحرك القبائل البدوية إلى السهول المنخفضة الدافئة بالقرب من حدود العراق، أو على سواحل الخليج الفارسي، لتزرع الحبوب وفي الربيع ، يهاجر أفرادها مرة أخرى إلى السهول المرتفعة حيث تستطيع ماشيتهم أن تجد مرعى طيبا طوال فصل الصف، ويتركون خلفهم بعض أفراد القبيلة لحصد المحصول . وقد تمتد الهجرات الموسمية إلى مسافة تزيد على مائتي ميل وقد تستغرق أسابيع، ويمكن أن يحدد معدل التحرك بنسبة التحرك البطيء لقطعان الغنم والماعز التي يسوقها الرجال والصبية أمامهم ، بينها تركب النساء والاطفال فوق الرحال في وضع قلق على ظهور الحمير والجمال، وتنصب الخيام كل ليلة على طول جوانب الطريق، ويستطيع الزائرون لإيران رؤية هذه القبائل في وقت هجراتها فقط . لأن مراكز إقامتها في الصيف والشتاء بعيدة عن الممرات الجبلية التي يمر منها الزائرون.

وتكون عدة بحموعات أو عشائر من عاثلة واحدة قبيلة صغيرة أو قبيلة كبيرة ، ويؤدى هذا بدوره إلى إيجاد مقاطعة مستقلة أحيانا مثل «البختيارية» التي تضم جماعات . هفت لنك (١) ، و . جهار لنك (٢) ، الكبيرة ، وللقبائل قانون خاص بها ، وهي تحكم حكما مطلقا بواسطة زعمائها المنتخبين أو الذين يرثون

⁽۱) « هفت لنك » كلتان فارسيتان ممناها : « المشائر السبع » . (المترجم) (۲) « جهار لنك » كلتان فارسيتان معناها : « العشائر الأربع » . (المترجم)

الزعامة بالوراثة ، ويسمى كل منهم وخان (١٦) ، وكثير منهم رجال ذوو ثقافة متنازة ، فبعض زعماء القبائل فى الوقت الحاضر قد تلقوا تحصيلاتهم فى أوروبا ، بينها درس بعضهم الآخر فى كلية ألبرز بطهران ، وهم يمتلكون عادة منازل فى المدن أو فى أراضى القبيلة ، ولكنهم يمضون كثيرا من أوقاتهم فى الخيام بين الجماعات القبلية .

ويقضى أفراد القبائل حياتهم العائلية فى الخيام السوداء المصنوعة من شعر. الماعز الذى تغزله نساء القبيلة ، وتقوم حيطانها الجانبية العمودية ، وسقفها المنحدر قليلا على قوائم سميكة ، ويمكن أن تنصب الخيمة أو تطوى فى وقت قصير حتى يسهل نقلها من مكان إلى آخر ، ويكون أثاث الخيام بسيطا للغاية ؛ فتفرش الأرض عادة بالسجاد الذى تنسجه النساء ، أو بو اسطة فرش سميكة من اللباد ، وتكوم البطانيات بجوار إحدى الجوانب ، بينما توضع بجوار الجوانب الأخرى الأوانى النحاسية والقرب المملوءة بالسوائل ، والجوار الخزفية ، والجوالات المملوءة بالحبوب ، كما يوضع عادة صندوق خشى للملابس .

و تعد قطعان الماشية عماد الحياة القبلية ؛ فهى التى تمنح اللبن ، والزبد ، والجبن ، وتستخدم أصوافها للمنسوجات القبلية بينها تباع الحيوانات وأصوافها في المدن ، وتشتمل أراضى القبيلة — التى تشغلها في الصيف غالبا — على البساتين والحدائق المملوءة بأشجار البندق التى تضيف جزءا آخر إلى الدخل النقدى للقبيلة ، وتحرق جذور شجر البلوط للحصول على الفحم النباتي الذي يباع في المدن ، وتستعمل القبائل العملة النقدية في شراء الأشياء التي لا تنتجها القبيلة مثل السكر والشاى والمنسوجات القطنية والأسلحة والذخائر ، والجواهر التي تخلب أفئدة النساء وهي تشتمل عادة على الخواتم ، والنقود الفضية والذهبية القديمة ، وتمثل جميع الثروة التي تنجمع لدى أفراد الأسرة . ومن الممتلكات القديمة ، وتمثل جميع الثروة التي تنجمع لدى أفراد الأسرة . ومن الممتلكات المدف ، وهم فورون جدا بأسلحتهم .

⁽١) « خان » بمعنى رئيس القبيلة أو الوالى . (المترجم)

ويقوم الرجال بالصيد، ورعى قطعان الماشية والخيول، وتجمع النساء الوقود، ويحملن جرار الماء، ويقمن بالطبخ، والحياكة، والنسج، ويعد تعدد الزوجات قليلا نسبيا في القبائل، كما أن النساء غير محجبات، وتتركز الحياة الاجتماعية في القبيلة حول خيمة الضيافة التي يقيمها زعيم القبيلة، وهناك تؤدى الرقصات القبلية على نغهات الناى والطبل المثيرة، وتغنى الأغانى، وتروى القصص، والاخبار، وتتبادل الاحاديث والإشاعات، ويدعى الاصدقاء والاجانب إلى رحاب الضيافة السخية في خيمة الضيوف، وتعين حدود القبيلة والأجانب إلى رحاب الضيافة السخية في خيمة الضيوف، وتعين حدود القبيلة بعناية تامة، وقد أوشكت المنازعات الداخلية في القبيلة والحروب بين القبائل على الانتهاء في السنوبات الأخيرة.

وقد تقوم القبائل أحيانا ببعض أعمال قطع الطريق فى الممرات الجبلية ، ولكن هذه الأشياء تعد نوعا من التسلية أكثر منها عملا ثابتا رتبيا .

والمعروف عن القبائل يعد قليلا نسبيا ، وقد كانت العناية قديما تنحصر في تحديد الآسماء الصحيحة لكل قبيلة ، أو بطن من قبيلة أو عشيرة ، وفي تقدير عددها . ولكن هذه المحاولات نفسها لم تكن ناجحة تماما ، لأن تقدير بحموع أفراد القبائل بمليو نين ليس إلا تقديرا تقريبيا ، وقد بذلت عناية ضئيلة لدراسة معتقدات القبائل الدينية وقصصها انشعبية ، وخرافاتها ، وأغانها ، وتفاصيل أساليبها في الحياة ، وهي العادات الآخذة في التطور أو الاختفاء ، كا يختفي كل قديم في إيران ويعطى مكانه للجديد ، ورغم هذا فإن بحموعة صغيرة من أغاني هذه القبائل وقصصها قد جمعت وطبعت في طهران ، كما أن المتحف الآوتوغرافي في طهران يشتمل على عدد من الحجرات المخصصة للحضارة القبلية ، وقد نصبت فيها الخيام ، ووضع فيها الآثاث بصورة معبرة ؛ للحضارة القبلية ، وقد نصبت فيها الخيام ، ووضع فيها الآثاث بصورة معبرة ؛ التي تلبس في الآفراح وفي أيام الآعياد .

وبين الجماعات القبلية ، والسكان المستقرين نوع من الشك المتبادل ، وقد حاولت الحكومة المركزية في العهود القديمة ،كسر شوكة القبائل المسلحة بتحويل جماعات بأكملها إلى الأراضى البعيدة من المواطن التي ألفت الإقامة فيها ، كما تخمد ثورات القبائل في الوقت الحاضر بعنف ، وتبذل محاولات الإسكان البدو في القرى التي بنيت حديثا .

ومسألة الحياة القبلية ذات أهمية حيوية بالنسبة لإيران الحديثة ؛ لأنه لا يستطيع شعب أن يتحد اتحاداً حقيقياً ، ما دام ثمنه يعيش على انفراد عن باقى الشعب ، هذا من ناحية ، كما أنه لا يبدو أن إسكان القبائل فى القرى يعد حلا مناسباً لهذه المسألة من ناحية أخرى ؛ لأن البدو لن يكونوا مستريحين سعدا، منتجين ، وهم يعيشون هذا النوع الغريب عن طبيعتهم ، من الحياة فى القرى ، والواقع أن السبب الرئيسي للحياة البدوية إنما هو النقص الشديد فى الأراضي الزراعية الصالحة ، ولن توجد الأراضي الكافية لمعيشة البدو إلا بعد أن تعالج هذه الحالة بإيجاد مشروعات الرى ، وتوجد اقتراحات فى الوقت الحاضر تدعو إلى منح القبائل نوعا من التثيل فى البرلمان ، وإيجاد إدارة حكومية خاصة تهم بالمسائل القبلية ؛ كما يبدو منطقيا _ أيضاً _ وجوب تقديم نوع مر للساعدات للبدو لتحسين ما شيتهم من حيث الكم والكيف لرفع المستوى العام للمعيشة فى بلاد يحتاج الناس فيها إلى مزيد من اللبن واللحم والصوف . القرى والحياة القروية :

توجد الجماعات الزراعية العديدة في إيران حيثما وجد الماء الذي يستعمل في أغراض الشرب والري ، وأينما وجدت الأرض الصالحة لزراعة الحبوب، وتتجمع القرى حول موارد المياه في الأقاليم التي تكون هذه الموارد بعيدة فيها ، ثم تأخذ هذه القرى في الاتساع والرواج ، أما في الأجزاء التي توجد فيها مجارى وينابيع وقنوات تخترق الجبال ، فإن المزارع الصغيرة تتناثر على مسافات تتراوح بين ميلين أو ثلاثة أميال فقط ، وتزين صفحة المنظر العام ؛ ويستطيع المسافر في الطرق الرئيسية أن يرى الكثير من مثل هذه القرى ، ولكن العدد الأكبر منها يختني في الوديان الجبلية البعيدة ، كما يستطيع أن يرى القرى القرى القرى الخربة والمهجورة ، ويرى آثار الانهيار الاقتصادى ، الذي أوقف في السنوات العشر الأخيرة فقط .

و توجد على سواحل بحر قزوين منازل متباعدة مقامة فى وسط الحقول ، أما فى جميع أجزاء البلاد الآخرى ، فيعيش الفلاحون فى مستعمرات مكتظة مزدحمة ، ويعملون فى الحقول التى قد تقع على مسافة كبيرة من القرى ، وكانت جميع القرى مصانة من عصابات قطاع الطريق بأسوار عالية من اللبن تخترقها بوابة واحدة ؛ وقد استمرت هذه الطريقة إلى عهد قريب ، غيرأن هذه الاسوار ليست ضرورية فى الوقت الحاضر ؛ فقلما ترى قائمة فى حالة جيدة . و توجد فى كل قرية شبكة غير منظمة من الازقة الضيفة التى ترصف أحياما بالحصباء ، ويوجد عادة شارع رئيسى ، تجرى فى محاذاته قناة الماء التى تعد الشى الذى لا غنى عنه لحياة القرية ، كا يوجد عادة ميدان فسيح فى كل قرية ، وهو عبارة عن مساحة مفتوحة مستديرة استدارة غير منتظمة ، تظللها أشجار ضخمة ، ويقع عن مواجهتها مسجد القرية ، أو قبة قبرأحد الأولياء المحليين ، وتوجد — في حافة القرية دائما — الارض التى تذرو الجاعة فيها محصول الحبوب .

وتقع على جوانب الآزقة الضيقة حيطان عالية من الطين تخترقها أبواب مزدوجة تؤدى إلى فناء كل منزل ، ويشتمل الفناء المثالى للمنزل على بعض الأشجار والآزهار ، وحوض يملأ بين الحين والحين من القناة التي تمر عبر القرية ، وهو يمد السكان بالماء اللازم في جميع أغراض المعيشة ما عدا ماء الشرب وتبنى بيوت القرية باللبن ، ويختلف طراز البناء باختلاف الأقاليم ؛ فني المناطق التي يكثر فيها الحشب تصنع أسقف البيوت من دعامات خشبية متعارضة ومن حصر من القش و تكون مسطحة عادة ، و تسوى بعد كل مطر بو اسطة أسطوانة حجرية توضع على سطح المنزل لاستعالها في هذا الغرض ، وتهي الاسقف حجرية توضع على سطح المنزل لاستعالها في هذا الغرض ، وتهي الاسقف المسطحة مكانا رطبا تستطيع الاسرة أن تنام قيه في أثناء أشهر الصيف ، وفي أجزاء أخرى من البلاد ؛ تسقف المنازل بو اسطة عقو د مقببة أو قباب من اللبن ينشئها البناءون المحليون ، ويتخذون في بنائها الطريقة القديمة فيبنونها ، وون عماد تستند إليه .

وتشغل المنازل عادة جانبا صغيرا من الفناء ، ويشتمل كل منها على ثلاث حجرات أو أربع ، ولكن المنازل الكبيرة تشغل جانبين أو ثلاثة من الفناء،

وتتجه المنازل نحو الجنوب حتى يمكن لاشعة الشمس الدافئة أن تصل إلى الحجرات مباشرة فى فصل الشتاء ، وتوجد سدة على الابواب لتحجب أشعة الشمس الحارة فى فصل الصيف ، حتى تظل الحجرات متمتعة بالظل طو ال النهار فى أثناء أشهر الحرارة . وتشتمل أحسن المازل على حجرة استقبال ، أو حجرة للجلوس يمكن أن تعرض فيها جميع شؤون الاسرة المهمة ، ويغطى السجاد _ المنسوج محليا _ الارض ، وتوضع الالحفة والحشيات والوسادات بعناية فى تجويف فى الحائط ؛ ويوضع مصباح غازى فى مشكاة أخرى ، وتوجد دائما مرآة معلقة على الحائط ؛ كما توضع لوحات فيها صفحات كتبت عليها موضو عات دينية ، أو صور ملونة من المجلات الإيرانية والاوروبية ؛ ولا توجد كراسي أو مناضد أو أى أمتعة أخرى من أمتعة الاسرة ، وفى أوقات الطعام تفرش قطعة من القباش على الارض ، ويجتمع رجال الاسرة حول الطعام الذى يوضع فى أطباق أو على صينية نحاسية كبيرة ، وفى وقت النوم تبسط الحشيات والمفارش ، ويأخذ كل واحد مكانه فى ساعة مبكرة .

وتشتمل المنازل الكبيرة على حجرة مقببة فى أسفل الجزء الرئيسى من البناء يظل هواؤها رطبا محبباحتى فى أواسط الصيف ، ويوجد فى فناء المنزل تنور مبنى من الآجر تخبز فيه نساء القرية أرغفة الخبز بالطريقة الإيرانية الخاصة ويتم فيها الطبخ فى الآوانى النحاسية فوق مواقد بها فحم حجرى ، وفى ركن من الفناء توجد ترتيبات صحية يسيرة ، وهى تشبه ما يرتب خارج البيوت فى البلاد الأخرى ، وإذا كان لدى الاسرة ثوران أو حمار فإن هذه الخيوانات توضع فى جزء مستقل من الفناء ؛ وفى بعض الأقاليم يخصص الطابق الاول جميعه للحيوانات المستعملة فى الزراعة ، ويكون الطابق الثانى مخصصا لحياة الاسرة .

وتشتمل كل قرية على حمام ، ويضم بناء الحمام — الذى بنشأ بأموال مالسكه — بحموعة من الحجرات تكون غالبا تحت الأرض ، وتبرز فتحاتها البزجاجية المتلألثة فوق سطح الأرض ، ويشرف على الحمام رجل يكلف بنظافته ، وبملاحظة توفير الماء الساخن فيه فى أثناء ساعات محددة كل أسبوع ،

ويستطيع القرويون أن يستحموا فى الساعات التى يفضلونها ، ويحاول كل منهم أن يعين خادم الحمام بالهبات من القمح أو القش أو الوقود أو الفواكه .

كا تشتملكل قرية عادة على طاحون ، ويقوم محرك مائى فيها بإدارة حجر كبير فوق حجر ثابت ، ويطحن الطحان القمح والشعير للجهاعة فى مقابل الحصول على جزء من الدقيق من كل قروى ؛ والمخازن والمدارس أفل ذيوعا فى القرى من الحامات والمطاحن ؛ وفد يوجد دكان صغير فى كل سبع قرى أو ثمانى قرى و تنحصر مواد تجارته فى: السكر، والشاى، والطباق ، والارز، والتوابل: والخيط، والإبر ، والمسامير ، والملح ، وأدوات الصباغة ، والمنسوجات القطنية ، والكبريت ، والبترول ، وزجاجات المصابح ، وما شابهها من الأشياء ، ولا توجد المدارس الابتدائية أو المكاتب إلا فى كل قرية من بين خمس وعشرين ، أو ثلاثين قرية ؛ والمشاكل الأساسية التى تعترض نشر نظام التعليم العام فى القرى هى :

(أولا) إن متوسط عدد الأسر فى القرية قليل ، مما يجعل مساعدة الأطفال فى زراعة الحقول ضرورة اقتصادية .

(ثانيا) إن منهج الدراسة العام فى المدارس المدنية قليل الصلة بالحياة فى الجماعات الزراعية و و و و و و و و و و و و و و و و الحدائق التى تشتمل على شجر الجوز ، ثم تبدأ الارض الزراعية البساتين و الحدائق التى تشتمل على شجر الجوز ، ثم تبدأ الارض الزراعية خلف أسوار القرية مباشرة ، و يحتفظ القرويون بأغامهم وماعزهم الخاصة ، و يضمونها فى الصيف فى صورة قطيع للقرية كلها ، يرسلونه إلى الجبال للرعى فى حراسة شباب القرية ، وأغلب الغنم له ذيول تتفاوت فى السمن بحيث يبدو منظرها مضحكا إذا شوهدت الأول مرة ، وقد روى مسافر قديم إلى إيران قصة حديرة بالتصديق إذ يقول : « إن الأغنام ضخمة ضخامة عجيبة ، تجر وراءها ذيو لا يبلغ وزن كل منها ثلاثين رطلا من الدهن ؛ وقد تكون فى كثير من ذيو لا يبلغ وزن كل منها ثلاثين رطلا من الدهن ؛ وقد تكون فى كثير من الأحيان عو اثق للأغنام ؛ فإذا لم تخصص عربات صغيرة لحملها ، فإن الأغنام من الأرض وتجرح نفسها كلما مرت على حجر حاد أو مكان خشن من الأرض » .

والغذاء الرئيسي لأهل القرية هو الخبر وقد كان ثمن الرطل منه - في عام ١٩٤٧ - ٥٥ سنت (١)؛ أو الأرز، تبعا للجزء الذي توجد فيه هذه القرى من البلاد، واللبن الرائب ماست، والجبن والزبد المصني (السمن)، وينضم المنائم البسيط أحيانا البيض وصغار الدجاج وقليل من لحم الغنم، والبصل، والخيار، وانفجل، والبطيخ، والفواكه، والبندق، والشاى، وإذا مخض اللبن الحامض) الرائب بشيء من الزبد فإنه يكون شرابا وطنيا يسمى « دوغ» (اللبن الحامض) وقد تستدعى بعض المناسبات إعداد أطعمة أكثر تنميقا على نسق الاطعمة التي تعد - عادة - لدى سكان المدن.

وقد يلبس الفلاحون بعض نماذج معدلة من الزى الأوروبى ، ولكن الزى الوطنى يتكون من قبص من القطن ، وسراويل سوداء قاتمة أو زرقاء من القطن ، وسترة زرقاء طويلة من القطن ، وهو زى يلبس بينهم عامة ، وتلبس النساء سراويل سوداء — تضيق عندكعو بهن — وقميصا ، ويلففن أجسامهن علاءة من قماش قطنى ، وتغطى هذه الملاءة الرأس فتصير غطاء للرأس وحجابا في وقت واحد ، رغم أن نساء القرية لم يكن محببات تماما كما كانت نساء المدن ، ويوجد تقسيم طبيعى للعمل ، فالرجال يزرعون في الحقول ، بينها تعنى النساء بشئون المنازل ونسج السجاد ، ويرتب الزواج بين رؤساء الأسر ، وتعد حفلات الزواج من أبهج المناسبات في حياة القرية ، ويقدم العريس المهر نقدا أوجنسا، وتقوم أسرة العروس بإعداد الألحفة والملابس ومعدات المنزل الأخرى البسيطة .

وإن الفضائل الطبيعية والأخلاق التي يتمتع بها سكان القرى لجديرة بالامتداح إلى حدكبير ، فلديهم ذكا ، فطرى حاد ، وميل طبيعي إلى الفكاهة ، وشغف عظيم بالعالم الذي حو لهم ؛ وهم كرما ، إلى حدكبير ، ميالون إلى الصداقة والمعاشرة وهم يضعون مو اردهم اليسيرة تحت تصرف ضيو فيهم المكر مين ؛ وحياة القرية منظمة جدا ، ومعظم المشاجرات بين الأفراد تنحصر في المناقشات الحامية ، منظمة جدا ، ومعظم المشاجرات بين الأفراد تنحصر في المناقشات الحامية ، بينا تحل المسائل المهمة بو اسطة عمدة القرية ، ولا توجد إلا سرقات قليلة داخل

⁽١) °ر٣ سنت تساوى فى ذلك الوقت سبعة مليمات بالعملة المصرية · (المترجم)

القرى ،كما لا توجد أية رذيلة من الرذائل التى توجد فى الحياة المدنية . ويبدو أن العامل الهدام فى حياة القرية هو الإدمان على تدخين الأفيون ، وقدكان الأفيون وسيلة للتخلص من المجهود اليومى الشاق ، غير أنه كان يعد أكثر أهمية ــ فى نظرهم ــ لتسكين آلام المرض ؛ لأن العلاج الطبى ــ من أى نوع كان ــ لم يكن متيسرا لهم .

وليس للقرويين إلا اتصال محدود بالعالم الخارجي عنهم ، حينها يسافر الرجال إلى المدن الكبيرة بأحمال القش والوقود ، والفواكه والحضر، أو حينها تذهب الاسرة ـ في أحيان قليلة ـ إلى المدينة لتشترى ما يلزمها من الاسواق.

وقد وضعت فصائل صفيرة من قوات الأمن التابعة للحكومة فى قرى معينة ، وهى تقوم بأعمال العسس وحفظ النظام وتضمن جمع الضرائب ، ولكن الفروى العادى عامة يشعر أنه لا يستفيدكثيرا من الحكومة فى طهران .

ولا يوجد تمييز في الحياة القروية بين ساعات العمل وساعات الراحة والتسلية ، ولا يوجد أى تنظيم للاستفادة من أوقات الفراغ كما يوجد في الدول الغربية ، والحقيقة أنه يوجد وقت قليل للفراغ ، اللهم إلا إذا استثنينا فصل الشتاء . و تعد الاحاديث أهم وسيلة للتسلية والاستجهام ، وذلك حينها تجتمع طائفة من الرجال لاحتساء الشاى ، فيتحدثون عن الاحوال الجوية ويتبادلون الاخبار والافكار ، و تساعد هذه الاجتهاعات على تخليد القصص ، والاغنيات والاهازيج الموجودة في الإقليم ، وبقاء حب الشعر — الذي يعد إحدى الخصائص المميزة للشعب الإيراني — حيا في نفوس الناس .

البلاد والمدن والحياة المدنية :

 تجمع وتوزيع للأقاليم الزراعية ، وقد اكتسبت كل من قم ومشهد أهميتها لأن كلا منهما تضم مزارا مقدسا يحج إليه عدد كبير من الزوار ؛ وقد اشتهر عدد كبير من هذه المدن لأن كلا منها كانت عاصمة للبلاد خصوصا فى العصور الإسلامية حينها كانت العاصمة تنقل من جهة إلى أخرى ، ومن هذه المدن : إصفهان ، ومراغة ، وتبريز، وسلطانية ، وقزوين ، ومشهد ، وشيراز ، وطهران وكانت بعض المدن مثل كرمان ويزد ودامغان مقرآ لاهم الحكام المحليين .

و تعد كل مدينة شاهد صدق على برنامج الرقى والتحضر الذى تهم تنفيذه في عهد رضا شاه ، فقد شقت الطرق الواسعة المستقيمة في الأحياء المزدحة في المدة من ١٩٢٥ إلى ١٩٤٠ ، فساعدت هذه الشوارع على التخلص من التجمع الشديد في المدن ، وهيأت مكانا لإنشاء الابنية الحديثة ، غير أن الشوارع الجديدة أذهبت بعض جمال المدينة القديم في قليل من الحالات فني شيراز ، هدم السوق المقبب الجميل ، وخرب أحد القصور القديمة .

وتوجد فى جميع المدن مدارس ابتدائية وثانوية مشيدة حديثاً ، وهى مناسبة تماما لمواجهة الحاجات المحلية ، وتشتمل كثير من المدن على أبنية جميلة هى أبنية أفرع المصرف الاهلى الإيرانى ، ومن بين الابنية الاخرى ؛ المستشفيات وغيرها من المبانى الحكومية ، وتصطف الحوانيت فى الابنية الجديدة ، وتهدف إلى اجتذاب النشاط التجارى بعيداً عن الاسواق القديمة ، وتوجد فى الاطراف مخازن بيع العلف التى أنشئت حديثاً ، ومحطة القوى الكهربائية ، ومحطة تخزين البترول ، والمصانع .

وتشتمل كل مدينة – مهماكانت مساحتها – على فندق أو أكثر ، وتكون الفنادق عادة صغيرة فيها معدات ، وأثاث يسير ، وحجر اتها نظيفة ، والطعام فيها بسيط ولكنه جيد ، كما يوجد مكان على الآقل مجهز بالأدوات اللازمة لإصلاح كل من سيارات الركاب وسيارات نقل البضائع ، ويكون في الوقت نفسه محطة للركاب. وفي بعض المدن ؛ توجد مباني لنزول المسافرين هي خليط من الحانات القديمة التي كانت تنزل فيها القوافل ، ومكان لإصلاح السيارات

بالطرق الفنية الحديثة ؛ ورغم أن الحوانيت تصطف على طول الشوارع فإن جزءًا كبيرًا من بيع القطاعي ، وجميع الببع بالجملة يتم تقريبًا في السوق ، وتشكون السوق أساساً من شارع واحد طويل ، يتراوح عرضه بين خمسة عشر وخمسة وعشرين قدماً ، ويكون مغطى إلى نهايته بالقباب المبنية من الآجر حتى تتسنى للتجار وأصحاب الحيو انيت الوقاية التــامة من حرارة الشمس وأمطار الشتاء، وهو مرصع على جانبيه بالحوانيت الصغيرة، التي يبلغ عرضها عادة خمسة عشر قدما ، ويبلغ طولها عشرين قدما . وتوجد على مسآفات معينة بوابات واسعة تؤدى إلى أبنية تشبه الخانات المخصصة لمبيت القوافل، ويوجد في كل بنا. منها فناء تحیط به ــ من جمیع جوانبه ــ مکاتب و مخازن ، و تکون هذه المکاتب والمخازن في الأسواق آلاكثر جمالا مغطاة بقباب من الآجر . وهذه المباني هي مقر تجار الجملة ، وتكون هذه الساحات عادة مكدسة بأكوام من السجاد والجلود ، وجلود الحيوانات ، وبالات القطن والمنسوجات ، وصناديق التو ابل والبضائع الأخرى . ويقع مدخل السوق في الميدان الرئيسي للمدينة ، وقد تواصل السوق امتدادها إلى مسافة ميل إلى أن تنتهي في الجزء المزدحم بالسكان من المدينة ، وتسير السوق ــ غالباً ــ في طريق ملتو ، وتشتمل الاسواق الكبرى على أفرع ثانوية مو ازية للشارع الرئيسي ، وفي الزوايا اليمني له . وتملأ الحوانيت بكل من البضائع المحلية والمستوردة ، وتتم المبيعات بالمساومة أكثر مما تتم بأسعار محددة ، ومع هذا فإن كلا من التاجر وصاحب الحانوت يكون ملماً بالسِعر الجارى لكل صنف ، ولكن استعمال طريقة المساومة يعد أمراً مستحباً للغاية عندكل من الطرفين.

والحمامات العامة فى المدن أكثر جمالا ورونقا من الحمامات الموجودة فى القرى؛ فبعضها قد أنشى حديثا ، ولكن الكثير منها شيد منذ أكثر من مائة سنة ، وتنخفض الحمامات القديمة عن مستوى سطح الأرض مسافة ثلاثين قدما حتى يتيسر للماء النقى النظيف أن يصل من القنوات التى تحت الأرض ـ أو من الآبار ـ إلى خزانات هذه الحمامات مباشرة . وترصف الأرض ـ أو من الآبار ـ إلى خزانات هذه الحمامات مباشرة . وترصف

أرض الحمامات بالقرميد الملون ، ويبطن أسفل الحيطان ، بالرخام أو المرمر ، ويطلى أعلى الحيطان وأسقف القباب بالملاط، وتزين بالصور الملونة، وتوجد _ عادة _ بين مجموعة الحجرات المعدة لمراحل التنظيف المختلفة قاعة فسيحة تستخدم كمكان عام للاستراحة وتبادل الأحاديث ، وهناك جمل قليلة من تقرير _ عن حمام _ كتب في القرن الثامن عشر تعطى وصفا دقيقاً له هي: د وتوجد في داخل ردهة الباب مباشرة قاعة كبرى مسقوفة ، أو حجرة كبيرة جدا يخلع الناس فيها ملابسهم، ويتركون ملابسهم بعد خلعها ، وفي وسط هذا المكأن يوجد صهريج كبير من الماء البارد، يخزن الماء فيه بو اسطة عدة أنابيب من الماء، وقد صمت جميع حجرات الحمام بحيث تكون مريحة ، وبحيث يستطيع كل واحد أن ينال ما يناسبه من درجات الحرارة، لأن البعض يفضل الحمام الساخن، بينها يفضل البعض الآخر الحمام الفاتر ، ويميل فريق ثالث إلى الحمام البارد ، وجميع الأرصفة من المرمر ويصب عليهـا ما. أكثر سخونة ، بينها تظل النار التي تحت سطح الأرض محتفظة بحرارتها بقدر المستطاع، وهم يتمددون فىالنهاية على هذه الأرضيات الرخامية ، حينها يشعرون أنهم مكثوا في الحمام وقتا كافيا ؛ وحينذاك يأتي الحلاقون وتكون مهمتهم أن يدلكوا كل عضو ، وكل مفصل في الجسم من الأمام والخلف ومنكل ناحية برشاقة وخفة ، بحيث يبدو لطيفا أن تراهم وهم يؤدون هذا العمل، وهم في نفس الوقت لا يتركون عضلة ولاعصبا ولا مفصلا سطحيا إلا حركوه ودلكوه . .

وتكاد البيوت في المراكز السكنية المزدحة تشبه في تصميمها وإنشائها البيوت المقامة في القرى، أما البيوت التي يمتلكها الآغنياء فهي أكثر اتساعا، كما أنها مبنية بالآجر ولكن الفناء المكشوف، واتجاء المنزل نحو الجنوب، ووجود ردهة أمام الباب، ما زالت العناصر الرئيسية في التصميم، وتوجد أفضل المنازل عادة في ضواحي المدينة في وسط الحدائق الواسعة، كما توجد بعض العبارات الكبيرة الحديثة ذات الشقق الكثيرة في مدينة طهران في الوقت الحاضر.

ويعد لباس سكان المدن نتيجة للخطوات التي اتخذت لجعل البلاد عصرية . وقد صدر قانون في عام ١٩٢٩ ينص على إحلال الزي في الصورة الأوروبية ، على الزي الفارسي القديم ، وبعد عام ١٩٣٥ ؛ أصبحت القبعات الأوروبية هي زي الرأس المختار . ويصنع اللباس على الطريقة الأوروبية ، والمعاطف والقبعات – من اللباد – في الحوانيت الصغيرة بأعداد وفيرة . وكانت النساء يلبسن في المدن قبل حكم رضا شاه ملاءات من قناش أسود تسمى و جادر ، كانت تغطى الجسم جميعه ، وكانت تسحب فوق الرأس ، و تتخذ كالبرقع فتغطى جميع الوجه ما عدا العينين ، وكانت النساء اللاتي ينتمين إلى الطبقة الراقية بلبسن قبعة سوداء تبرز فوق عيونهن ، وقد ألغى الحجاب بعد عام ١٩٣٩ ، يلبسن قبعة سوداء تبرز فوق عيونهن ، وقد ألغى الحجاب بعد عام ١٩٣٩ ، وبقيت الرأس دون غطاء ، أو أخذت تنوج بقبعة من النوع الأوروبي .

ومنذ عام ١٩٤٢؛ وجد ميل نحو ملاءة من القياش القطني الملون تلتف حول الجسم وتحمل فوق الرأس ، ولكن هذه الملاءة لا تستعمل كحجاب ، ويوجد كثير من الخياطين والحوانيت التي تبيع ملابس النساء في المدن ، عا يشعر بحاجة ماسة إلى مجلة للأزياء مثل Vogue وغيرها من المجلات المشابهة .

و تنمتع نساء الفرس بدرجة من الحرية والمساواة، مازالت غير معترف بها لشقيقاتهن في أغلب البلاد الإسلامية الأخرى ، وقد صدر قانون في عام ١٩٣١ ، جعل الزواج على أساس مدنى أكثر منه على أساس ديى ، كما صدر قانون آخر في عام ١٩٣٥ ، حدد السن الأدنى للزواج بخمس عشرة سنة بالنسبة للفتيات ، وبثمانية عشر عاما بالنسبة للشباب ، وهناك قوانين أخرى ما زالت تجعل للمرأة حق السيطرة على أملاكها الخاصة ؛ وما زال تعدد الزوجات ما للذكور في القرآن — موجودا في إيران ، ولكنه يحارب في العصر الحديث بوضع العراقيل في سبيله فمثلا : لا يجوز للرجل أن يتزوج بامرأة ثانية قبل علم الزوجتين ورضائهما معا . والواقع عمليا أن تعدد الزواج آخذ في التضاؤل ، وهذا يرجع إلى أسباب اقتصادية من ناحية ، كما يرجع إلى تغير حالة الناس من ناحية أخرى .

ويحظى الأطفال بحب والديهم بدرجة كبيرة تفوق جب أى شخص آخر، ويفصل الذكور بصفة خاصة ، ولكن ليس بدرجة كبيرة جدا، كما كانت فى العهود القديمة ، حينها كان ميلاد الأنثى يعد مناسبة للعزاء أكثر منه فرصة للتهنئة ، وقد نشأت هذه الحالة نتيجة لوضع المرأة المنحط، اجتهاعيا واقتصاديا رغم أن الإسلام قد أعطاها وضعا أعلى كثيرا من ذى قبل؛ لأن الذكركان أكثر أهمية بالنسبة للاسرة إذ أنه كان يتولى — فى وقت ما — إعالتها ، ولا زالت النساء يعوذن أطفالهن من العين الشريرة والضعف والمرض بالطقوس الخرافية والسحر ، ويصبح الأولاد مستقلين ، معتمدين على أنفسهم فى سن مبكرة جدا ، فيصيرون قادرين تماما على إدارة حانوت ، أو الاشتغال فى تجارة ، أو رعى قطيع من الأغنام فى الجبال المرتفعة .

وقبل الحرب؛كان متوسط النفقات فى أسرة متوسطة يتوزع فى ميزانيتها كالآتى : الطعام ٥٦٪ ، والسكن ١٠٪ ، والوقود والإضاءة ٦٩٨٪ ، والملابس ١٩٩٤٪ والمصاريف المتنوعة ٥٪ .

أما الـ٥٦٪ التى كانت مخصصة للطعام فكانت تصرف فى الصورة الآتية: الحبر ٥٥٪ التي كانت مخصصة للطعام فكانت تصرف فى الصورة الآتية: الحبر ٥٥٪ الحبر ١٦٪ والله وزيت الطبخ ٥٥٪ والحم الضأن ٥٤٪ ، والحضراوات ١٪ ، والفواكه ٥٤٪ ، والطباق ٥٤٪ ، والحبن ١٪ ، والدقيق ٥٠٪ ، والأشياء الآخرى ١٥٪ ١٠٪ .

وكانت نفقات المعيشة فى إيران منذ عشر سنوات منخفضة جدا^(۲۲)، غير أن الصدمة التى أصابت الحرب العالمية الثانية البلاد بها قد أدت إلى تضخم هائل فى الأسعار؛ ارتفع إلى درجة يصعب تصديقها، وإذا اتخذنا سنة ١٩٣٦ أساسا، فإن تكاليف الحياة إذا وضعت فى جدول تكون فى الصورة التالية: الأشياء

⁽١) يبلغ يجموع هــذه الائشياء ٧٠ ٪ لا ٩٠ ٪ ﴿ مَنْ الْحَصَلُ أَنْ نَنَابُهُ أَمْعُهُ هَا لَيْسَتُ صحيحة (المترجم) .

⁽٢) يقصدالمؤلف عصرسنوات قبل تأليف السكتاب في سنة ١٩٤٨ أي سنة ١٩٣٨ (المترجم)٠

التى تساوى ١٠٠ فى عام ١٩٣٦ تساوى ١٤٢ فى عام ١٩٣٩ ، و ١٦١ فى عام ١٩٤٠ ، و ١٦٦ فى عام ١٩٤٠ ، و ١٦٠ فى عام ١٩٤٠ ، و ١٠٠٣ فى عام ١٩٤٣ ، و ١٠٠٨ فى عام ١٩٤٣ ، و ١٩٤٨ فى عام ١٩٤

وهذه الأرقام تشير إلى نوع من المقارنة الطريفة بينهـا وبين أرقام نفقات المعيشة فى الولايات المتحدة ؛ فنى الولايات المتحدة ، كان يقابل هذه الأرقام : ٩٩ فى عام ١٩٣٦ ، و ١٠٠ فى سنة ١٩٤٠ ، و ١١٦ فى عام ١٩٤٧ ، و ١٩٥ فى عام ١٩٤٧ .

وغذاء أهل المدن أكثر تنوعا إلى حدكبير من غذاء القرويين ، والأرز هو العنصر الرئيسي في كثير من الوجبات ؛ وهو يطبخ في إيران بحيث لا يكون نديا ولا لزجا بل منتشرا جافا ، ويكون في بحوعه لذيذا ، والوصفة التالية التي تبين طريقة طبخ الأرز عند الفرس قد تكون ذات فائدة عامة ، وهي كالآتي :

غط رطلا من الأرز بالما. وضع ثلاث ملاعق كبيرة من الملح ، وأغسها فيه فى الليلة السابقة لطبخه .

صف الماء ، وضع الآرز فى وعاء متوسط الحجم به ماء يغلى ، وضعه فوق نار حامية ؛ وينبغى أن يكون الماء ملح المذاق بعد وضع الآرز ، وتستطيع أن تضع ملحا أكثر إذا لزم الآمر ، ودع الماء يغلى بشدة ؛ حتى تطفو حبات الآرز إلى السطح ، وفى ذلك الوقت يكون الآرز قد طبخ غالبا ، غير أنه لا يكون قد نضج تماما .

صف الأرز بمصفاة ، واغسله بماء ساخن نتى ، وضعه فى وعاء فوق نار ليست حامية ، وأضف إليه كو بين من الماء ، وثلاثة أرباع كوب من السمن ، ثم غطه ، ودعه يطبخ لمدة عشر دقائق على الأقل حتى تشكون قشرة فى قاع الإناء ، وحتى تشكا ثف قطرات الماء على السطح الداخلي لغطاء الوعاء .

ارفع الإناء من فوق النار ، واثقب ثلاثة ثقوب في الأرز بواسطة سكين، وانثر فيه ثلاثة أرباع كوب من السمن، وضع الإناء في تنور منخفض الحرارة،

ويفضل أن تكون الحرارة فى الإناء أكثر منها فى أسفله ، ويمكن أن يظل الإناء فى الفرن إلى الوقت المناسب لتقديم الآرز ، أى من خس عشرة إلى ثلاثين دقيقة .

ويكنى هذا القدر طعاما لعدد يتراوح بين أربعة وستة أشخاص،

وحينها يطبخ الآرز باللحم والخضر ، والتوابل يسمى « بلو ، ويمكن أن تخلط أطعمة أخرى بالآرز المطبوخ ، أو أن يضاف إليه قدر من الصلصات ، ويقدم نوع منها عادة مع صغار الدجاج المحمر ، ويشتمل على اللوز والفستق وقشر البرتقال والبلح ، ويحتوى طبق آخر من الآرز على قطع من السمك المقلى المقدد ، خليط من قطع البقدونس ، والكرات والشمر والكزبرة ، وهناك نوع من الصلصة الشهية المزة مصنوع من قطع كبيرة من البط ، وعصير الرمان ، ولب الجوز المطحون .

والكباب ــ وهو قطع من لحم الحمل المحمر على السفود ــ من أنواع الطعام المحببة ، لدى الإيرانيين ، كما يوجد حساء محبب يسمى «آش» يشتمل على السبانخ وأفرع نبات البنجر الحضراء ، والحمص ، والفول والعدس ، كما يحتوى غالبا على اللبن الرائب (ماست) ، كما يعد البيض المقلى اللذيد بحيث يشتمل على البقول والحضراوات .

وإصرار الإيرانيين على تناول الأشياء الحلوة أقل كثيراً من الإصرار الموجود فى بلادنا (الولايات المتحدة)، ولكنهم يأكلون كميات كبيرة من الفواكه فى مواسمها الحاصة ، والشمام والبطيخ الإيرانيان مشهوران منذ قرون عديدة ويوجد منهما عشرون نوعا على الأقل ؛ من بينها البطيخ العادى المألوف، وإذا أقبل موسم الشمام فإن كل إنسان يبدأ فى أكله ، كما يثبت ذلك تقرير قديم ؛ فقد جاء فيه ما يلى : إنهم يأكلون فى ذلك الوقت ما وزنه عشرة أرطال أو اثنا عشر رطلا يومياً ، لمدة أسبوعين أو ثلاثة أسابيع متواصلة ، ويكون سبب أكله فائدته للصحة أكثر من استساغته فى الأذواق ؛ لأنهم يعدونه منقيا للدم وملوناً له ، وبعد ظهور بشائر الشهام يتوالى ظهور الأصناف المختلفة كل يوم ؛

غير أن ما يظهر من هذه الفاكهة فى النهاية أحسن بما يظهر منها أولا، ويكون آخره ظهوراً ذا لون أبيض، تستطيع أن تقسم أنه ليس إلا قطعة من السكر الخالص.

وتشتهر إصفهان ـ عاصة ـ بشهامها ، ويزرع فى منطقة صغيرة شمالى المدينة كثير من أنواعه اللذيذة ، وتكون لطيفة سهلة الانكسار بحيث إذا عدا فارس بجواده بجوار ثمرات الشهام فإنها تنشق وتتقطع فى المزرعة .

وفى أثناء القرن السابع عشر ؛ كان الشهام يرسلطول الطريق من إيران إلى بلاط حكام الهند فى أكره (Agra) فكان الرجال يحملون حباته ، فيحمل كل منهم سلتين فى كل منها حبة من الشهام ، تعلقان فى عريش خشبى يحمل على الكتفين، ويسيرون ثمانين يوما حتى يصلوا إلى هدفهم المقصود ، وكان الشهام ذو القشر الجامد يخزن فى كهوف تحت سطح الارض ، فيحفظ جيداً طوال أشهر الشتاء.

وما زالت أنواع الشربات محببة جداً ، ولو أنها أقل استعمالا الآن مما كانت الحال عليه سابقا . وكلمة ، شربت ، (۱) الدالة على هذا النوع من المشروبات كلمة فارسية انتقلت إلى اللغة الإنجليزية انتقالا مباشراً ؛ وكانت المشروبات تعد في صورة مشروبات مثلجة أو في صورة مادة التركيب الاصلية مذابة في ماء مثلج لذيذ ؛ وتصنع المشروبات غالباً من جميع الفواكه المحببة كعصير الرمان والليمون والموالح والبرتقال التي تجلب إلى الاسواق . وهناك شراب محبب على الماء والسكر وعصير البنفسج والحل — وعصير الرمان ، وعصير آخر يشتمل على الماء والسكر وعصير الليمون الحامض وقليل من عصير الثوم . كما يوجد شراب معروف خاص بالجو الحار ؛ وهو يصنع من الماء والحل والسكر وشرائح الحيار ، وفي العصور القديمة ؛ كانت هذه المشروبات تقدم في سلاطين صينية ضخمة وترشف من ملاعق كبيرة ذات أياد منقوشة ، وكان صنع هذه الملاعق هو الحرفة التي تخصص فيها ناحتو الحشب في مدينة آباده ، ولا تزال الملاعق هو الحرفة التي تخصص فيها ناحتو الحشب في مدينة آباده ، ولا تزال

⁽١) هذه السكلمة ليست فارسية أصلية كما يبدو من عبارة المؤلف ، فهي مأخوذة عن العربية (المترجم)

هذه الصناعة موجودة فيها إلى الوقت الحاضر، وتوجد فى المدن الكبيرة آلات ميكانيكية لصناعة الثلج؛ بينها توجد فى أغلب أجزاء البلاد ثلاجات محلية، أهم ميزاتها حائط من الطين ارتفاعها عشر ياردات على الأقل، وتقام فى انجاه شرقى غربى وتفتح فى الجانب الشهالى من الحائط عدة فتحات مربعة، وتكون البرودة — عادة — كافية لتجميد بوصة أو اثنتين فقط فى أثناء الليل، ويكثر الثلج المنجمع كل يوم، ويضاف المزيد من الماء كل يوم، بينها تمنع الحائط المرتفعة أشعة الشمس من أن تذيب الثلج فى أثناء النهار، وبعد أسبوع أو نحو ذلك يصبح سمك كل قطعة من الثلج خمسة أقدام أو ستة، فتنقل إلى عزن خاص تحت سقف معزول جيداً بالألياف والغاب. ويستعمل الثلج فى وقت الصيف عامة، وهو يجمع ثم يخزنه السكان فى القرى الجبلية العالية؛ وحينها يقبل الصيف، يحمل الثلج على الحير إلى أقرب مدينة.

وسكان المدن يحظون عادة بتعليم أفضل ، وبمستوى اجتماعى أرقى من القرويين . وهم نتاج استمرار الحضارة فى البلاد خلال قرون طويلة ، وقد انتشر التجمل فى المجتمع إلى درجة كبيرة كما يبدو مماكتبه زائر لإيران فى القرن السابع عشر ، إذ يقول : « إن الفرس أكثر شعوب الشرق تحضراً ، وأكثر شعوب العالم تكريماً وترحيباً » .

وكتب مسافر آخر يقول: «إن تحيات الصداقة والمؤانسة لاتروج فى مكان أكثر من رواجها بين الفرس، لآن العوام — الذين يبدون أجلافا شكسين فى البلاد الآخرى — يشاهدون فى إيران ودودين، ذوى لطف فهم ليسوأ أجلافا أو مشاكسين،

وفى الحقيقة أن تقاليد الفرس فى الأدب والكرم ترجع إلى عهد قديم جداً ، فنحن نقرأ فى « العهد القديم ، عن التسامح الذى أظهره الفرس نحو الأجناس والأديان الأخرى ، بينها سجل الناريخ أمثلة عن تصرفهم الكريم مع أعدائهم المهزومين ، فى وقت كانت القسوة الوحشية مألوفة فى العالم القديم . وهى غالبا تتنوع وقد نشأت عبارات التأدب الكثيرة من نص دينى قديم ، وهى غالبا تتنوع

تنوعاً لاحد له ، ولا يمكن طرح هذه التقاليد — التى تلقنها الناس فى الحديث — جانباً بسهولة ، ولذلك فإن الناس فى الوقت الحاضر — حتى الذين يقودون الثورة على الماضى ويخالفون تقاليده — يبدأون حديثهم بعبارات مثل وأعرض ملاحظة متواضعة ، أو ويرى هذا العبد أن ، وقد تغيرت عبارة أنت وأنا وفى الفارسية ، بعبارة هى : وهذا العبد وجنابكم ، ورغم هذا ؛ فإن الاسلوب أقل تنميقاً منه فى السنوات السابقة القديمة ؛ فلكى يقال مثلا : وإن الرجل كان ميناً ، اعتاد المتحدث أن يقول : ولقد منح جزءاً من الحياة التى كان يملكها ، وإلا فقد كان من المحتمل أن يعيش سنوات كثيرة ، ولكن نظراً لما كان يكنه لك من حب فقد ضم هذه السنوات إلى السنوات التى سوف تعيشها ،

وهناك طريقة تقليدية لإظهار الاحترام والتأدب في الفارسية ؛ هي استعمال القاب التعظيم والتشريف ؛ فإذا استعمل الشاه هذه الألقاب في خطابه للقواد والنبلا. ، فإنه غالبا يستعملها بدل الأسماء الشخصية والألقاب المألوفة مثل «قوام السلطنة» و «ذكاء الملك» و «فحر الدولة» وهناك ألقاب أخرى فير التي يستعملها الشاه – رائجة في الاستعمالي، وقد صنف كتاب في القرن السابع عشر يرتب الألقاب الخاصة بكل طبقة من الرجال ابتداء من الملك إلى صانع الاحذية . ومنذ سنوات قليلة صدر قانون يحرم منح هذه الألقاب واستعمالها، ولكن أعضاء الوزارة والشيوخ من الأجيال السابقة مازالوا يعرفون بألقابهم.

ويصل النشاط الاجتماعي والجماعي إلى أقصى درجات انتشاره في طهران وتشتمل المدن الكبيرة التي يبلغ عددها خمس عشرة مدينة — تقريبا على دور للعرض ، وتوجد في طهران عشر دور للعرض فضلا عن كثير من المسارح ، وتشتق كثير من الروايات من «شاهنامه » الفردوسي ، ويكون بعضها الآخر تأليفا حديثا مبتكرا ، أو ترجمة ، أو اقتباسا من المؤلفات الغربية ؛ كما أن البرامج الموسيقية مألوفة في طهران ، وتوجد في المدينة فرقة سمفونية صغيرة لا تقوم بأدا القطع الكلاسيكية التي للمؤلفين الغربيين فحسب ؛ بل تؤدى القطع الإيرانية أيضا ، وهي القطع التي تقوم على الموسيقي الشعبية للبلاد ،

وهناك حفلات موسيقية تقيمها فرقة معهد الموسيق ، أو بعض معاهد الموسيق الأخرى.

وهناك أنواع معينة من التسلية كانت أكثر شهرة فى العصور القديمة ، وهى ما زالت توجد فى الأحياء السكنية العتيقة فى طهران ، وفى المدن الآخرى ، فما زال الساحر يعقد حلقاته ، وما زال المنجم يستهوى رواده ، وهناك الحاوى الذى يقدم استعراضات ويعطى فيها — بطريقة عجيبة جدا — درسا علميا . عن حياة أنواع الحيات والثعابين المختلفة ، وأسلوب معيشتها .

وكان الدراويش في ملابسهم الخاصة ، يشاهدون كثيرا إلى عهد قريب ـــ منذ خمس عشرة سنة ــ ؛ ثم قررت السلطات الحاكمة أنه لا محل لهم في الحياة الحديثة ، فمنعتهم من دخول المدن ، ولكنهم بدأوا الآن يظهرون منجديد . وكلمة درويشكلمة فارسية معناها دمتو اضع، أو دفقير، أو دالشخص الذي يعيش على الصدقات . . ويشبه الدراويش في آلحقيقة الرهبان المسيحيين ، وهم مقسمون إلى فرق دينية كثيرة ، لـكل فرقة منها معتقداتها ، وقو انينها . ويعيش الدراويش في إيران حياة هائمة أكثر من حياة الدراويش في الإقطار الإسلامية الآخرى، وهناك أقلية منهم من الرجال المتدينين جدا الذين أخذوا عهودا على أن يعيشوا في فقر وعفة ، ولكن الأغلبية منهم يعيش أفرادها على التحايل، وعلى سرعة تصديق العوام لهم. ويتكون زيهم العادى من عباءة طويلة ملفقة من رقع ذات ألوان كثيرة في الأقشة (دلق)، تحرّم من وسطها بحرام من الحبل، تندلى منه حبات مسبحة خشبية، ويضعون على أكتافهم جسلد نمر أرقط أو جلد ذئب مبطن ، وعلى رؤوسهم طاقية موشاة بآيات قرآنية ، ويتدلى شعرهم المجدل على أكتافهم ، وتكون أقدامهم عارية غالبا ، ويعلقون على كتفهم بوقاً ، ويحملون سلاحا لحماية أنفسهم من الحيوانات المفترسة ، وكانوا يحملون عادة بلطة من الصلب ــ من النوع الذي يستعمل في الحروب ــ أو هراوه خشبية مرصعة بالمسامير، وسلطانية كبيرة للشحاذة مصنوعة من قرعة بحو فة مزينة بالمقوش الجميلة . وعندما يدخل الدراويش قرية أو مدينة ينفخون فى أبواقهم نفخة قوية ويصيحون « يا حق ، يا حق ، ثم يظهرون كل ما عندهم ـــ بما تخصصوا فيه ـــ للفت الانظار والحصول على الهبات من الطعام والمال ؛ ويدعى بعضهم أن لديهم خبرة طبية ؛ ويبيعون « حبات السرور ، وهى مكونة من الحشائش الممزوجة بتراب من أرض المزارات المقدسة . كما يبيعون أيضا الاحجبة والطلسمات ، وهى عبارة عن قطع من الورق تشتمل على آيات دينية تساعد على إبعاد العين الشريرة ، وتمنع المرض والاذى ، كما يقر أون الطوالع مستعملين حيلا محتلفة ، أشهرها نرد واحد من النحاس ، يمكن أن يكون أربعة تربط معا فى سهم من المعدن ــ بحيث تكون منفصلة عن بعضها البعض ــ لتعطى أربعة أرقام متحدة المحدن ــ بحيث تكون منفصلة عن بعضها البعض ــ لتعطى أربعة أرقام متحدة كل رقم منها له تفسير خاص ، كما يقص الدراويش قصصا على الجوع المحتشدة حو لهم . والشعر الفارسي هو ميدان تخصصهم وهم لذلك يحفظون أحيانا مثات حو لهم . والشعر الفارسي هو ميدان تخصصهم وهم لذلك يحفظون أحيانا مثات الابيات من الشاهنامه كما يحفظون مختارات من أشعار حافظ وسعدى .

ونادى المصارعة ، زورخانه ، مؤسسة إيرانية قديمة ، وقد استمر هذا النوع من الرياضة فى الازدهار فى كل من طهر أن والأقاليم ، ويشبه نظام هذا النادى نظام جمعية للتربية البدنية ؛ وينحدر أخضاؤه من كل مهنة ومستوى اجتماعى ؛ ومن المعتقد أن نادى المصارعة نشأ منذ عهد قديم ، حينما كانت إيران محتلة بالأجانب ، وكان شباب البلاد يدربون فى الحفاء انتظارا لليوم الذى يصيرون فيه قادرين على طرد الغزاة . ويشتمل كل ناد للمصارعة على حفرة مربعة طول ضلعها عشرون قدما ، وعمقها ثلاثة أقدام ، وعلى رصيف مرتفع للضاربين على الطبول ، وعلى ساحة للنظارة ، ويدخل اثنا عشر رجلا — لابسين سراويل قصيرة بهيجة موشاة تصل إلى ركبهم — الحفر ، ويستعدون لمصاحبة دقات الطبول بهيجة موشاة تصل إلى ركبهم — الحفر ، ويستعدون لمصاحبة دقات الطبول بالدبابيس الهندية الكبيرة الثقيلة جدا ، ويقفرون إلى ارتفاع شاهق فى الهواء ويدورون ، والإساس العسكرى الذى يقوم عليه نظام نادى المصارعة تثبته المترينات التى تؤدى بالدروع الخشبية ، والأقواس الحديدية ذات الحلقات

المصنوعة من الحديد بدل الأوتار، وتعد مباريات المصارعة التي تجرى على الطريقتين الإيرانية والأوروبية نهاية كل اجتماع وغايته .

ومحلات إعداد الشاى والمقاهي هي الأماكن العامة المحببة التي يجتمع فيها الرجال لاحتساء الشاى ، وتبادل أحاديث المودة ، ولعب النرد ، وتدخين النرجيلة . والشاى هو المشروب الإيراني المحبب، وهو يقدم في أكواب زجاجية ومعه كثير من السكر ، رغم أن الشارب يضع قطعة من السكر بين أسنانه ويمنص الشاي من خلالها ، ويبدو أن عادة شرب الشاي قد انتقلت إلى إيران من روسيا ــ حديثا نوعا ما ــ لأن الإيرانيين كانوا في القرنين السابع عشر والثامن عشر يشربون قدراكبيرا من القهوة التي لم تكن معروفة للغرب إلى أن اكتشفها المسافرون الأوروبيون في تركيا وإيران ، وفي عام ١٦٥٢ م بدأ مستر د . ادوارد (Mr. D. Edwards) ـــ الذيكان تاجرا يتعامل مع تركيا ــ يلقب نفسه برجل القهوة ، وبدأ يستورد حبات البن إلى انجلترا ، حيث أصبح شرب القهوة عادة مستحدثة مألوفة ، وقد كتب إنجليزي زار المقاهي في إصفهان في عام ١٦٢٧ ـــ يقول: ﴿ القهوة مشروب أسودكالهباب ، وهي أشبه بالمرق وتراهم يشربونهاساخنة بقدر ما تتحملهاأفواههم في فناجيل صينية صغيرة ، وهي ذات رائعة قوية ، كما أنها مرة بعض الشيء ، وهي تعد من مسحوق حبات البن ، الذي يغلي في الماء ، وإذا شربت ساخنة فانها تريح الذهن ، وتساعد المعدة الكسولة ، وتعاون على الهضم ، وتطرد الخول والنوم ؛ وهي تبدوغير مستساغة في الذوق في البداية . ولكنَّها تصبح ممتعة لذيذة بالتعود ، .

وتحل المقاهى فى طهران محل أماكن الشاى فى غيرها من البلاد، وهى تقع فى حدائق غناه، تزدحم بعد الظهر بالمجموعات العائلية التى تجلس لتشرب القهوة والشاى، والمشروبات المثلجة، واللبن المثلوج (Ice cream) والفطائر، وتوجد المطاعم بطبيعة الحال فى كل مدينة، ولكن الاسر الإيرانية تفضل الاكل فى منازلها.

ومن أهم تسليات الأسر المألوفة القيام برحلة إلى الريف فى أيام الإجازات، والإجازة الاسبوعية للسلمين يوم الجمعة ، وفيه تحمل الاسر غذاء مناسبا

للرحلات ، وتذهب ـ بالقطار أو السيارة أو سيرا على الاقدام ـ إلى حديقة ظليلة بالقرب من حدود المدينة ، وهناك عطلات رسمية عامة يبلغ عددها خمس عشرة عطلة ، جميعها ذات طابع ديني ماعدا العطلات التي تكون بمناسبة ابتداء السنة الجديدة ، وعيد ميلاد الشاه ، والعيد السنوى للدستور .

ويقع النوروز — الذى هو بداية السنة الجديدة — فى ٢١ مارس، وهو أول أيام الربيع وبداية الاعتدال الشمسى فى الربيع ، وقد احتفل الإيرانيون بحلول الربيع منذ عدة قرون ، كما تدل على ذلك صفوف من النقوش المنحوتة فى برسبوليس ، فهى تشير إلى جماعات من الشعوب من جميع أنحاء الدولة الأكمينية القوية تحضر الخراج للالك الإيراني فى مثل هذه المناسبة .

وتبدأ الاستعدادات الموروز قبل حلوله بكثير ؛ فقبل العيد بخمسة عشر يوما تنبت كل أسرة في سلطانية قليلة الغور حبوبا من القمح أو العدس حتى تنتج عنها في الوقت المناسب عدة أغصان يصل ارتفاعها إلى عدة بوصات، لتكون شاهدا على بجيء الربيع ، وتتحول القرى الصغيرة في عيد النوروز إلى مناظر بهيجة ؛ ويتجول الرجل الذي يحمل البخور (يحرق النار) في الشوارع مصحوبا بجهاعة من العمال المقنعين يلبسون قبعات طويلة وعباءات ذات ألوان مختلفة ، وقد ربطت بها أجراس صغيرة ؛ وقد تضم الجماعة بهلوانا يمشى على الحبل ، ومصارعا ، وقر دا مدربا ، و دبا يجيد الرقص ، ويضرب واحد منهم لوحين من الخشب ، وينشد :

قد جاء مشعـــل النار، وهو يجىء مرة فى العام أنا مشعل النــار وأنا يتيم، أنا فقير يوما واحدا كل عام لقد خرجت الاحشاء والامعاء، وقد جاء كل من لم يكن هنا

ويقام عيد خاص في آخر يوم من أيام الأربعاء في العام المنصرم، ويسمى هذا اليوم وجهار شنبه صورى(١) ، وقد جرت العادة أن تجهز كل أسرة في مساء ذلك اليوم حزما من الخشب الجاف أو الاعشاب الصحراوية ، وأن

⁽١) « جهار شنبه صورى » معناها يوم الأربعاء الصورى أو الأخير . (المترجم)

تشعل نارا للزينة ، ويقفركل فرد فى المنزل فوق شعلة النار بينها يخاطبون النار بهذين البيتين :

خــــذى الصفـــرة منى ، وأنا آخــــذ حـــرتك وخـــذى الــــبرودة منى ، وأنا آخــــذ منــك الدف

ولا ينبغى أن يتنفس فوق النار ، وتنشر مخلفاتها فى مفترق الطرق ، ولا شك أن هذه العادة ليست إلا إحياء للشعائر التى كانت مستعملة منذ أقدم العصور .

ويمنح الخدم في المنازل وصغار موظني الدولة مرتب شهر إضافي بمناسبة النوروز، وينظف المنزل جيداً، فيصبح في أبهي صورة، ويلبس كل إنسان ملابس جديدة وينبغي أن تضاء كل حجرة في المنزل في ليلة رأس السنة الجديدة، وأن تعد منصدة خاصة ، توضع في الجزء الأوسط منها مرآة وشمعدان، وتوضع حو لها نسخة من القرآن وقطعة كبيرة من الخبز، وسلطائية من الماء تطفو فوقها ورقة خضراء، وكوب من ماء الورد، وحبات من البندق، وفاكهة، وحلوى، وبيض ملون، وكتكوت، وسمك، وطبق كبير أو صينية عليها «هفت سين» وهي سبعة أشياء يبدأ اسم كل منها بحرف «س» الفارسي مثل: سبند (۱)، وسين "، وسين "، وساق (۷)، وسين "، وسين "، وساق (۷)، وسين "، وسين "،

وحينها يقترب وقت الاعتدال الشمسى يجتمع جميع أفراد الآسرة حول المنضدة لينتظروا اللحظة التى يبدأ فيها للعام الجديد ، ويقال إنها تعلم بتحرك الورقة على سطح الماء أو بدوران بيضة توضع فوق المرآة ، وفى المدن الكبيرة

المترجم: معنى هذه الـكلمات كالانى:

⁽۱) « سبند » كلة فارسية معناها « بخور » أو « نبات صحراوى (نبات السذاب) » .

⁽۲) « سيب » « « تفاح »

⁽٣) « سير » « « « و وم »

⁽١) «سركه» « « «خل»

⁽ه) «سمن» « « « ياسمين»

⁽۱) د سېزې ته د د خضرت

⁽٧) د سماق ، : السماق .

يطلق مدفع كبير ليعلن بدء السنة الجديدة ولا يجرى الآن جميع هذه المراسيم والاحتفالات الحناصة بالنوروز في المدن ، ولكن الأشياء التي ستذكر فيما يلي هي التي تراعيها كل أسرة :

تبدأ السنة الجديدة بإجازة رسمية لمدة خسة أيام تخصص للزيارات الاجتماعية، وفي اليومين الأولين أو الثلاثة أيام الأولى يبقى أكبر أفراد الاسرة سنا في المنزل ليستقبل الزائرين من الاصدقاء والاقارب؛ وتنفق مبالغ كبيرة في إكرام الضيوف، ثم تؤدى زيارات ردا على الزيارات الاولى، ويكون جو هذه الايام جوا من الابتهاج والفرح.

وفى اليوم الثالث عشر من السنة الجديدة — وهو يعد يوما منحوسا — تلقى أصص النباتات الخضراء التى زرعت فى المناطق الخلوية ؛ ليقوم بنزهة الجارى إذا أمكن — ويخرج كل فرد إلى المناطق الخلوية ؛ ليقوم بنزهة فى الحقول الخضراء النضرة، وتحمل كل أسرة معها نوعا من أنواع الطعام المنمق بقدر ما تسمح به مواردها ، وتمضى طول اليوم خارج المنزل . ويعتقد الناس أنهم بهذه الطريقة لا يحتفلون بالربيع فحسب ، بل يحملون الحظ السي المقترن باليوم الثالث عشر بعيدا عن منازلهم ، ويتركونه فى الخلاء حيث لا يستطيع باليوم الثالث عشر بعيدا عن منازلهم ، ويتركونه فى الخلاء حيث لا يستطيع الحسن ، وهى :

إِنْ قضاء اليوم الثالث عشر في الخلاء فأل جميل .

فقبل مجىء العام التالى

سیجلب لی زوجا عزیزا

وطفلا جميلا أحمله بين ذراعى

وتشرف على أوجه النشاط الاجتماعي نوادوجمعيات من مختلف الأنواع؛ فني طهر ان توجد نواد للسيدات ، وجمعيات أدبية ونواد رياضية وبحمومات موسيقية ، كما _ يوجد _ أيضا _ عدد من التنظيمات الخيرية مثل جمعية الأسد والشمس الحراء (١) ، وهي الجمعية الإيرانية المشابهة لجمعية « الصليب الأحر » .

⁽١) اسم هذه الجمعية بالفارسية « جمعيت شيروخورشيد سرخ » . (المترجم)

والميل العام إلى الآدب قوى ، وقد كتبت بعض الآثار الجميلة فى القصة القصيرة والرواية ـــ وهى نوع لم يمارس إلا نادرا ـــ فى الكتابة الفارسية حتى الآن .

و تتبع الكتابة فى الوقت الحاضر اتجاهين جديدين : الأول الابتعاد عن الأسلوب المنمق التصويرى الذى كان مستعملا فى الآثار القديمة ؛ والثانى إقامة الدليل على النطور الجديد للغة الفارسية بتحويلها إلى فارسية نقية .

وفى عام ١٩٣٧؛ قام المجمع اللغوى الإيرانى بدراسة لغة البلاد، فوجد أن كلمات عربية كثيرة قد استقرت فى اللغة الفارسية خلال القرون الماضية ، بحيث أصبحت هذه اللغة تضم – فعلا – كلمات عربية أكثر بما تشتمل على كلمات فارسية ، فقد وجد الكتاب أنهم يستطيعون أن يؤثروا فى عدد أكبر من الناس إذا كتبوا باللغة العربية ، وكانت هناك – أيضاً – الحقيقة القائمة ، وهى أن معرفة اللغة العربية وسيلة لإظهار اللوذعية وسعة الاطلاع .

ولا تشتمل الآثار التاريخية وغيرها من الكتب التي وضعت في القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين (الرابع والحامس الهجريين) إلا على ٥٪ من المكلمات العربية ، بينها كان المؤلفون واسعى الاطلاع في القرن الرابع عشر الميلادي (الثامن الهجري)، فكانوا يستعملون كلمات عربية تصل إلى ٩٠٪ وقد أشار المجمع اللغوي إلى أن اللغة ضعيفة في الاصطلاحات الفنية ، وأنها تقتبس كلمات أوروبية فيها يتعلق بموضوعات مثل: الميكانيكا والطيران، والهندسة والكيمياء وعلم النبات وعلم الصحة وعلم الطب وتبقيها كما هي دون تغيير . وقد أكد المجمع اللغوي أنه توجد كلمات فارسية فصيحة تقابل جميع الكلمات العربية على نطاق شامل تقريباً . وقرر أن يواجه جميع هذه المشاكل بنشر كتيبات دورية تضم قوائم بالكلمات الفارسية الفصيحة لتحل محل الكلمات العربية ، وتشتمل على اصطلاحات فنية تعتمد على أصول فارسية صحيحة ، وقد تحقق تقدم مطرد في تنفيذ هذا البرنامج ، وأصبح للكتابة النثرية أسلوب سهل واضح ، كما صار للشعر — الذي لم تغزه اللغة العربية غزوا تاما — أسلوب واضح ، كما صار للشعر — الذي لم تغزه اللغة العربية غزوا تاما — أسلوب يشبهه في الوضوح والسهولة .

وتطبع فى إيران مائنا جريدة ومجلة على الأقل. وتعد طهران مركزاً لنشرها ، حيث يوجد البرلمان والمصرف الأهلى الإيرانى ، وتوجد وسائل حديثة معدة جيداً لطبع الصحف وتلتى الأنباء ، وتحصل الصحف والدوريات على رخصاتها من إدارة بوزارة التربية والتعليم ، وتستطيع هذه الإدارة _ أيضا _ أن تلغى هذه الرخصات ، كما أن الحكومة قد تصرفت أحيانا تصرفا مباشراً فى إيقاف بعض الصحف ، ولا يبدو أن القو انين الحالية تكفل حماية كافية فى حالات القذف والافتراء .

وهناك جريدة يومية مسائية تصل صفحاتها إلى ست عشرة صفحة (۱) ، ولكن أغلب الصحف تقع في أربع صفحات من حجم أصغر من مستوى حجم الصحف الامريكية ، ويعد كثير من الصحف أدوات تعبر عن الآراء الشخصية والسياسية أو الاجتماعية و لاصحابها أو لمحريها ، وتكون عادة وصيرة الاجل سريعة الزوال ، وتخصص الصحافة الإيرانية أغلب صفحاتها لنشر الانباء الحارجية أكثر مما تفعل الصحافة الامريكية ، وتكون هذه الانباء عالبا و ترجمة للاخبار التي تذبعها محطات الإذاعة في الدول الاجنبية ، كان العرض السياسي للحوادث الجارية يكتب بإسهاب ، بينها تخصص مساحة قليلة للاخبار المتصلة بالافراد ، أو للقصص الإنسانية الممتعة ، ولم تغز طريقة التيوي به الحديثة الصحف الإيرانية اليومية بعد .

وانتشار الصحف ليس أمراً محقق الربح في إيران ، بل هو نوع من المغامرة الباهظة ، لأن نسبة توزيع أغلب الصحف أضغر من أن تغل دخلا كبيراً ، كما أن عدد الإعلانات يعد قليلا نسبيا ، وترتب مواد الطبع باليد لأن آلات اللينو تيب الإيرانية لم تبدأ عملها بعد ، كما أن جميع أدوات الطباعة يجب أن تستورد من الحارج (٢٠) .

⁽۱) أغلب الظن أنه يقصد جريدة « اطلاعات » وهى تطم الآن فى عشرين صفحة ، وهناك جريدة « كيهان » وهى تطبح جريدة « بست تهران » وهى تطمى في إثنتي بهشرة صفحة ، (المترجم)

ي أينني بهشرة صفحة . (المترجم) المستحافة الإيرانية في سنة ١٩٥٠ ، وقد تقدمت الصحافة الإيرانية في تبويبها وطباعتها ، والأعداد التي توزعها بعض الصحف والمجلات تقدما ملحوطا لاتنطبق عليه هذه المعلومات . (المترجم)

وتسمى وكالة الانباء الرسمية التابعة للحكومة « پارس » ؛ وهى تنشر الاخبار عن الصحافة الاجنبية ، وتذبع الانباء المحلية فى الحارج على نطاق واسع عن طريق الموجة المتوسطة براديو طهران .

وقد أنشى اتحاد للصحافة الإيرانية فى يونيه من عام ١٩٤٦م، ارتبط بعد ذلك باتحاد الصحافة الاجنبية فى إيران، ثم اشترك ـــ منذ ذلك الوقت ـــ فى التنظيم الدولى للصحفيين.

ويوجد عدد يتراوح ما بين خمس عشرة وعشرين نشرة من النشرات الدورية تنشر في إيران بانتظام، وهي: الجرائد الرسمية لأفرع الحكومة المختلفة، والمحدويات الأدبية، والجرائد العلمية، والمجلات الزراعية، ومجلات السينها، ومجلات الأطفال، ومجلتان للنساء، ومجلات تشتمل على موضوعات محببة إلى الذوق العام، ومن هذه المجموعة مجلة «خواندنيها» (مطالعات) التي تعد أوسع المجلات انتشاراً وتوزيعا، وهي مجلة أسبوعية على غرار مجلة (Reader's Digest) وهي تعيد طبع مقالات نشرت في الصحف والدوريات المحلية والأجنبية، وتخصص جزءاً كبيراً من صفحاتها للترجمات التي تنقلها عن المجلاث الامريكية.

الدين الرسمى في إيران :

يعتنق ٠٠٠و ٢٢١ (١) الإسلام بأركانه الاساسية الحنسة ؛ والإسلام — كما ورد فى القرآن — قد أنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ويعنى الحضوع لإرادة الله ، وأركانه الحنسة هى : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقامة الصلوات الدينية الحنس كل يوم ، والصوم من شروق الشمس إلى غروبها فى أثناء شهر رمضان (٢) ، وأداء الزكاة المفروضة ، والحبج إلى بيت الله فى مكة .

* * *

⁽١) هذا إحصاء قديم وتدل الإحصاءات الحديثة على أن عدد السلمين في العالم يزيد على ستمائة منياون نسمة . (المترجم)

⁽٢) عبارة المؤلف ليست دقيقة لأن الصوم يكون من طلوع الفجر إلى غروب الشمس كما يوضحه قوله تعالى: « وكاوا واشربوا حتى يتبين لسكم الخيط الأسود من الخيط الأبيض من الفجر، ثم أتموا الصيام لملى الليل « سورة البقرة آية ١٨٧ (المترجم) .

وقد ورد الحديث عن تاريخ ظهور الإسلام وحالة هذا الدين فى إيران فى قسم آخر ، وينبغى أن تركز العناية — الآن — على أصل الشيعة ، ونموهم ، ومعتقداتهم ، لآن ٩١٪ من سكان إيران ينتمون إلى هذا المذهب الذى له أتباع — أيضا — فى سورية والعراق وأفغانستان والهند .

وقد توفى أبناء محمد فى أثناء الطفولة، وكانت ابنته فاطمة — التى تزوجت عليا — هى الابنة الوحيدة التى أنجبت له وارثين من الذكور، وكان ابنا على منها يسميان الحسن والحسين.

وبعد وفاة الرسول؛ ظهرت فجأة مسألة خليفة الرسول، والزعيم الدين لهذا الدين الجديد، وقد وقع الاختيار على أبي بكر الذي ولى الحلافة في السنتين التاليتين – من ١٩٣٦ إلى ١٩٣٤ م (١١ – ١٩١ه) – ثم خلفه عمر الذي قتل في عام ١٤٢ م (٣٢ه)، ثم خلفه عثمان الصهر الآخر المسن لمحمد. وثار السخط على عثمان في كثير من أنحاء الدولة، وبدأ أحد صحابة محمد المحترمين، وغيره من أصحاب النفوذ يدعون لعلى وحقوق أسرته في الحلافة وتولى الزعامة الدينية. وفي عام ١٩٦٦ م (٣١ه) قتل عثمان؛ وتولى على الحلافة، فرفض معاوية — والى سورية وابن عم عثمان – الولاء له، فاشتعلت الحرب بينهما. وفي عام ١٦٦ م (٤٠هم) قتل على بيد أحد أفراد طائفة أخرى معادية؛ وبعد موته، اختار الشيعة —أو المشايعون الاسرة على —ابنه الحسن خليفة له، ورغم هذا فإن معاوية تولى السلطة ونقل العاصمة من المدينة في بلاد العرب غلفا له، ولكن الحسين الاتح الاصغر للحسن اضطر إلى المطالبة بحقه المشروع خلفا له، ولكن الحسين الاتح الاصغر للحسن اضطر إلى المطالبة بحقه المشروع في الجلافة، ولكنه حوصر هو وطائفة صغيرة من أتباعه المخلصين في سهل كربلاء بالعراق، وبعد مدة عشرة أيام، قتلوا جميعاً.

وفى عام ٧٤٩م (١٣٢ه) أخلى الآمويون المسرح للعباسيين الذين تتصل أسرتهم بعم محمد (العباس)، وقد أقام الخلفاء العباسيون فى بغداد، وتمتعوا بسلطة زمنية وروحية ــ كزعماء للمذهب السنى ــ حتى أسقط المغول دولتهم فى عام ١٢٥٨ م (٣٥٦ه).

وقد واصل المذهب الشيعى قوته فى إيران حينها رعته الدويلات المحلية المتعاقبة ، مثل : الصفاريين ، والسامانيين ، والبويهيين ، عن عقيدة من ناحية ، ولانه يساعد على فصل إيران عن العالم العربى من ناحية أخرى ــرغم أن دولا شيعية أخرى قامت فى مصر وشمالى إفريقية ــ. ومن الاسباب التى جعلت المذهب الشيعى يلتجى الى الإيرانيين الاعتقاد التقليدى بأن الحسين تزوج إحدى بنات يزدجر د الثالث آخر ملوك الساسانيين .

وأبناء على هم أحق النباس بالخلافة وإمارة المؤمنين تبعا لرأى الشيعة ؛ وهم ينحصرون فى سلسلة الإثنى عشر إماما ، وقد عدكل إمام من هؤلاء متمتعا بالعصمة الإلهية ، وأنه يستطيع أن يأتى بالمعجزات ، وأن كل واحد منهم قد عين خلفه ، كا مات كل منهم بسبب الاضطهاد والقسوة ، وقد اختنى الإمام الثانى عشر المعروف بالإمام الغائب فى كهف وهو لا يزال شابا ، و يعتقد أنه سيعود فى النهاية فى صورة « المهدى ، حينها تقترب الدنيا من نها يتها .

وقد ثارت الانقسامات بين أتباع المذهب الشيعى حول مسألة سلسلة الأثمة ؛ فالشيعة الزيدية فى بلاد العرب يدينون بالولاء للأثمة الحسة الأول ، بينها يعترف القرامطة والإسماعيلية بإمامة السبعة الأول ، وكان الإسماعيلية طائفة قوية فى إيران ، وكان يقودهم الحسن بن الصباح ، وقد عرفوا فى العالم الغربى باسم « السفاحين » (Assasins) ، وقد ضاع نفوهم نهائيا على يد المخول الفاتحين .

ويعتقد الشيعة الإيرانيون فى إمامة جميع أعضاء سلسلة الإمامة ، ويعرف مذهبهم ياسم و المذهب الجعفرى » نسبة إلى الإمام السادس (جعفر الصادق) الذى نسق الفرائض والتعاليم الدينية التى وردت فى القرآن وشرحها ، وقد أصبح المدهب الشيعى ، يتمتع بقوته فى إيران على يد ملوك الصفويين

⁽۱) المراجع: في رأى أنهم عرفوا لدى الأوروبيين باسم (Assasins) وهي تحوير السكلمة العربية « حشاشين » لأنهم كانوا يستعملون الحشيش .

الذين أعلن جدهم الشيخ صنى الدين أنه ينتسب إلى الإمام السابع^(۱)، وبذلك أصبح المذهب الرسمى لإيران منذ عام ١٥٠٠ م، وقد نص الدستور الحديث على أن المذهب الجعفرى هو المذهب الرسمى للبلاد ، ونص على أن المادة التى أعلن فيها العهد^(۲) يجب أن تظل سارية المفعول إلى ظهور المهدى « إمام الزمان » .

ويختلف الشيعة والسنة فى الناحية السياسة أكثر من اختلافهم فى المعتقدات، لأن الأحراب أو الحكومات المتعارضة تستفيد من الانقسام فى ترويج سلطانها الزمنى، والشيعة بطبيعة الحالب يعتقدون فى حماس فى ضرورة وجود الحلافة فى أسرة محمد، وهم لا يعترفون بكا يفعل أهل السنة بهذا الحق لأصحاب محمد، وهم يعتقدون أن محمدا اعترف بعلى كليفة له، وبارك أسماء على والحسن والحسين، ويعد الزعماء الدينيون للشيعة ملهمين من الإمام الغائب، وهم يكتسبون لذلك سلطة أعظم بكثير مما لرجال الدين السنيين.

ويقدس الأثمة لآنهم شهداء، ويقوم الشيعة بزيارات لا لمسكة فحسب، بل لقبر على ــ أيضا ــفى النجف، وقبر الحسين فى كربلاء، وهما معا فى العراق، وقبرى على الرضا الإمام الثامن فى مشهد، وأخته فاطمة فى قم، وهناك ــ أيضا ــ مزارات أقل أهمية للأئمة المحليين ويسمى كل منهم وإمامزاده، أى وابن الإمام، وهى منتشرة فى جميع أنحاء إيران.

والإجازات الدينية العامة الملاحظة فى إيران هى العيد السنوى لميلاد على ، وبعثة الرسول محمد ، وميلاد الإمام الثانى عشر ، وضرب على ، ووفاة على ، وعيد الفطر — وهو عيد الانتهاء من صوم رمضان ، وعيد القربان أو يوم التضحية ، وعيد الغدير — أو تعيين على خليفة لمحمد — وتاسوعاء وعاشوراء أو يوما استشهاد الحسين ، واستشهاد الحسن ، وميلاد محمد .

(٢) تنص هذه المادة على أن تحكم أسرة رضا بهلوى إلى أن يظهر الإمام النائب. (المترجم)

⁽۱) المقصود هنا بالإمام السابع موسى الكاطم ابن جعفر الصادق وهو أخو اسماعيل الإمام السابع عند الاسماعيلية ، وهو في رأيهم أحق منه بالإمامة وهذا هو الذي أدى إلى انقسام الشيعة إلى اسماعيلية وإمامية (انهى عصرية) وعبارة المؤلف في هذه المسألة ليست دقيقة ، (المترجم)

ولا توجد حكومة دينية ذات نظام خاص فى الإسلام ، غير أن هناك ألقابا معينة أو دلالات خاصة لتمييز أعضاء خاصين من الجماعة الإسلامية فى إيران ، فن يكون من نسل النبي محمد يستعمل لقب وسيد ، كجزء من اسمه ، والرحلات الدينية للحج أقل ملاحظة الآن _ ماكانت عليه _ قديما ، ولكن الرجل الذي يزور مكة يمكن أن يعرف بلقب وحاج ، والرجل الذي يزور قبر الحسين في كربلاء ، والشخص الذي يزور قبر الإمام على الرضا في مشهد ، يعرف بلقب و مشدى ، أو و مشدى ،

ويلقب رجل الدين المسلم الذى له ثقافة محدودة فى العلوم الدينية بلقب «ملا» ، بينها يلقب من يدرس فى مدرسة عالية مثل « جامعة سبهسالار الدينية (۱) ، فى طهران بلقب « مجتهد » ، وهناك عدد قليل جدا من كبار الزعماء الدينيين المقيمين إما فى إيران ، أوفى مزارات الشيعة فى العراق يحمل كل من أفراده لقب «آية الله » للتشريف ، وقد يجتمع المجتهدون العلماء فى طهران فى « هيئة للعلماء » تصدر الفتاوى الحاصة بالمسائل الدينية ، بينها تختص المحكمة الشرعية فى طهران بالمجادلات الدينية البحتة .

وإمام الجمعة فى طهران فى الوقت الحاضر دكتور فى الحقوق من جامعة فرنسية ، وهو أحد أعضاء أسرة د إمام جمعه طهرانى ، المعروفة (٢) وهو مختص بإقامة الصلاة والخطبة يوم الجمعة ـ فى المسجد ـ نيابة عن الملك .

و تصدر ثلاث صحف دينية فى طهران ، وللمركز الدولى للدعاية الإسلامية فرع فى طهران ، وهو ينشر جريدة أسبوعية ،كما ينشر تقويما سنويا .

⁽١) تسمى هذه الجامعة بالفارسية « دانشكاه روحانى » . (المترجم)

⁽۲) اسم إمام الجمة هو « سيد جسن إماى » وهو موجود في هذا المنصب إلى الرقت الحاضر . (المترجم)

مستقبل إيران

القصلالعاشر

المشروعاست والآمال المرتقبة

حينها بدأ عام ١٩٥٠ م ، كانت الشخصية الموجهة فوق المسرح الإيراني هي شخصية محمد رضا بهلوى ، وهو لا يزال شابا ، غير أن له خبرة في الحمكم تبلغ ثماني سنوات ، وقد صرح الشاه برغباته الصادقة في الإصلاح ، وبتصميمه الأكيد على تنفيذ الإصلاحات الاجتهاعية والاقتصادية ، وكان قد ازداد قوة ساخيرا بينجه حق حل السلطة التشريعية ، فكان في وضع يستطيع أن يطلب فيه عملا إنشائيا ، فأعلن في افتتاح دورتي مجلس النواب والشيوخ الجديد تين سفى شهر فبراير سفرورة تطهير الحياة العامة من الاشخاص الفاسدين والاعمال المشينة ، وكان مثل هذا التطهير ذا قيمة كبيرة ، غير أنه كان من الامور الاكثر أهمية أن يعد العامة لمساندة الإصلاحات الاساسية المرسومة في « مشروع السنوات السبع للإصلاح والتعمير » .

ومن المتوقع أن تقابل الإصلاحات الجديدة بكل من المعارضة والتأييد في الوقت الحاضر، ويعتقد بيصفة عامة بيان تأتي المعارضة من بضع مئات من ملاك الاراضي الاغنياء وعائلات التجار الذين يكونون الطبقة التي تسمى والطبقة المسيطرة في إيران، وهي الطبقة التي تتوقع أن تحد هذه الاصلاحات من قوتها وهيبتها، وقد كانت هذه الطائفة بذات نفوذ في البرايان، وليكتها قد جردت من نفوذها بعض الشيء في الوقت الحاضر، لأن شخصياتها العامة تتركز في مجلس الشيوخ الجديد، بينها اشتهر مجلس النواب الجديد بالعناصر التقدمية.

وقد تأتى بمض المعارضة من عدد قليل من الزعماء الدينيين ذوى الآفاق الصيقة ـــ وهم أصحاب نفوذ، غير أنهم يخشون من النزعات الحديثة على مبادى

الإسلام وتعاليمه ــ ومن الآحرار الصادقين الذين يعارضون تشكيل الحكومة وأساليبها أكثر بما يعارضون أهدافها النهائية ، كما أن هناك معارضة مؤكدة من بقايا حزب توده ، وأفرادها مشغولون فى الوقت الحاضر بالقيام بدعاية سرية ضد الحكومة والملك وبرنامج الإصلاح الجديد.

والعناصر التي سوف تساند الإصلاح أصعب تحديدا ، رغم أنهم يتضمنون مسطح السباب المثقف جيدا ، والطبقة المتوسطة المحدودة الدخل ، وكثيرا من الأشخاص حتى من أعضاء الطبقة التي تسمى بالطبقة المسيطرة وهذه العناصر وما يشبهها – كالزراع – سوف يدعون للعمل معا بطريقة غير مألوفة بالنسبة لتجاربهم ، وللقيام ببعض التضحيات الشخصية في سبيل الصالح العام . وهناك بعض الدلالات على أن شعورا جديدا بالخدمة العامة ، وبالمستولية الشخصية ، قد ينتشر في إيران .

ويتقدم الشاه وأسرته الركب ، ويرشدون إلى الطريق مع الهيشة الإمبراطورية للخدمات الاجتماعية ؛ وهي هيئة شكلت لإنفاق إبرادات متلكات التاج الإيراني في تنفيذ برنامج صحى عام . وهذه القيادة قد تلاها إنشاء د المؤسسة الإيرانية للنهوض بالصحة والتعليم في إيران ، وقد أنشئت هذه المؤسسة على يدأسرة تجارية غنية في شيراز ، وقدمت — فعلا — هبة تقدرها مدولار . وقد أنشأت المؤسسة — تقريبا — شبكة حديثة للمياه في شيراز ، وسوف تبني قريبا مستشني هناك ، ولديها مشروعات أخرى على بساط البحث والإعداد .

ويوجه — الآن — اهتمام كبير إلى مشروع السنوات السبع للإصلاح والتعمير الذى ذكر قبل ذلك ؛ فني أكتوبر ١٩٤٨م استخدمت الحكومة الإيرانية أعضاء شركة المستشارين لما وراء البحار.Overseas Consultants Inc. وهي هيئة مكونة من إحدى عشرة مؤسسة كبرى من المؤسسات الهندسية الأمريكية لينموا الأبحاث التي بدأتها شركة موريسون نودسن الدولية Morrison لينموا الأبحاث التي بدأتها شركة موريسون نودسن الدولية ١٩٤٩، أتم المختصون

فيها أبحاثهم ونشرت الهيئة تقريرا فى خمسة مجلدات ، عن الطرق التى ينبغى اتباعها فى تنفيذ المشروعات الاقتصادية والاجتماعية ، وقد أقر البرلمان إنشاء تنظيم للمشروعات مكون من مجلس أعلى وهيئة للإدارة ، ومدير مشرف وأصبح لزاما على هذا التنظيم أن يشرف على تنفيذ هذه المشروعات التى قدرت تكاليفها بمبلغ . . . و . . و . . و و لار ، أما شركة المستشارين لما وراء البحار للى كان لها مكتب فى طهران لله فكانت تمد بالخبراء لتقديم المشورة ، وللعمل مباشرة لتنظيم المشروعات ، وقد وصفت هذه الشركة البرنامج بأنه والمخمل مباشرة لتنظيم المشروعات ، وقد وصفت هذه الشركة البرنامج بأنه و أضخم برنامج صناعى فى قطر واحد فى التاريخ ، وأنه مشروع سيعيد بناء اقتصاد إيران جميعه ، من الاساس إلى القمة ، .

وستخصص نسبة وو٢٨٪ من بحموع النفقات ــ تبعا للتقديرات الحالية ــ للإصلاحات اللجالس البلدية ، و ٢٥٪ للإصلاحات الخاصة بالمجالس البلدية ، و ٢٥٪ للتوسع الزراعى و ٢٤٪ لتحسين وسائل النقل ، و ١٥٪ لترقية الصناعة والمناجم ، و ٤٪ لإنشاء وتشغيل شركة إيرانية للبترول ، و ٢٥٪ لترقية وسائل النقل وتوسيعها .

وقد ذيلت الميزانية العامة لسنة ١٩٤٩ ، بميزانية خاصة التعمير ، قدرها ،٠٠٠و،٥٠٠٠ دولار ، وهي تضم بين مصادرها ٧٠٪ من ضريبة امتياز البترول البترول لتلك السنة ، وستخصص جميع الإيرادات المتحصلة من امتياز البترول — ابتداء من عام ١٩٥٠ — ومن العمليات التي تديرها شركة البترول الأنجلو إيرانية لتمويل هذا المشروع ، وسوف تقترض مبالغ أخرى من المصرف الأهلي الإيراني ، ومن المرجو أن تؤخذ قروض تصل إلى ٥٠٠و،٥٠٠و دولار من المصرف الدولي للإنشاء والتعمير ، ومن الشركات التجارية الأجنبية ، وهناك بعض مشروعات خاصة تحت التنفيذ من المشروعات التي ووفق عليها ، وينبغي أن تنفذ قريبا ، وهي تعالج المشاكل الحالية مثل : مشكلة البطالة الشديدة ، وارتفاع نفقات المعيشة ، ونقص محصول القمح ، وتدهور التجارة الخارجية ، بينها يتوقع أن يؤدي المشروع في المستقبل البعيد جداً إلى رفع المستويات العامة بينها يتوقع أن يؤدي المشروع في المستقبل البعيد جداً إلى رفع المستويات العامة

للمعيشة عن طريق زيادة الإنتاج وبناء المساكن ، وتحسين الصحة العـامة ، ونشر التعليم .

والأمن الداخلي واستقرار الحكم والبناء والاقتصادى السليم هي الأسس الرئيسية للتقدم المطرد في إيران ؛ ففيها يتصل بالأمن ،كانت الاحوال في أوائل عام ١٩٥٠ أحسن بكثير بما كانت منذ عدة سنوات ، وقد أعيد تنظيم القوات المسلحة على نطاق واسع ، ووضعت تحت قيادة ضباط شبان وتحت إشراف أدق أنشىء بواسطة تحويل قوات الامن إلى قيادة الجيش .

وقد أقيمت العلاقات بين القبائل والحكومة، وبين القبائل والجيش على أساس من الاحترام المتبادل، وكانت قبل ذلك من مصادر الاحتكاك والتشاحن، وسوف يختبر استقرار الحكومة قريباً ، والآسئلة التي تثور هنا هي : هل سيعمل مجلس الشيوخ الجديد على ضمان الاتزان في مجلس النواب وهو أكثر تعجلا وعنفا؟ . . وهل سيتوسع المجلسان في معاونة الحكومات التي يعهد إليها بالإصلاحات؟ . . . وهناك تهديد للاستقرار المالى في البلاد يتمثل في استنزاف مصادر العملات الاجنبية في الوقت الحاضر، وهو أمر متوقع في المستقبل، وفي أثناء الحرب؛ كان شراء القوات المتحالفة المختلفة للريالات الإيرانية قد كون لإيران أرصدة كبيرة من العملات الاجنبية ، وتستطيع أيران أن تستمر في الاعتماد على مبلغ لا يقل عن ٥٠٠٠،٥٠٠ دولاد الريالات الإيرانية ، ومن مشترياتها للريالات الإيرانية ، ومن مشترياتها للريالات الإيرانية ،

وأكبر بالوعة تستنزف الموارد المتجمعة هي منطة الدولار ؛ فقد كان لإيران — في عام ١٩٤٩م — ميزان تجاري سنوى متأرجح مع الولايات المتحدة ، يبلغ حوالي ٥٠٠٠و،٥٠٠ولار تقريبا ، وهي ما تزال مدينة — جزئيا — بسبب شرائها المعدات الإضافية والمواد من قيادة الخليج الفارسي (Persian Gulf Command) كما أن عليها دينا قدره ٢٦٥٠٠و٠٠٠ دولار هو قيمة مشترياتها الحديثة من المعدات العسكرية الأمريكية الإضافية . ويعد

الإنفاق على حوالى ستمائة طالب إيرانى — فى الوقت نفسه — فى الولايات المتحدة ناحية كبيرة من النواحى التى يصرف فيها الدولار الامريكى ، ولماكان مشروع السنوات السبع يحتاج إلى مصاريف باهظة من العملة الاجنبية ، فإنه يجب أن تثبت إيران أن مثل هذه المصادر قد ادخرت بعناية .

ومن المتوقع أن تصير علاقات إيران بالدول الاجنبية الموجهة ذات أهمية بالغة لتلك البلاد، فقد تؤدى إلى تعجيل تنفيذ مشروع السنوات السبع للإصلاح والتعمير أو تعويقه، وتتبع كل من الولايات المتحدة وبريطانيا سياسة تهدف إلى تقوية سيادة إيران على أراضيها، وتشجيع التقدم الاقتصادى، والاجتماعى فيها.

وتمثل الولايات المتحدة سفارة فى طهران تضم عدداً كبيراً من الموظفين الرسميين؛ من بينهم هيئة للعلاقات السياسية ، وأخرى للعلاقات الزراعية ، وبعثة عسكرية صغيرة لتدريب الجيش الإيرانى وقوات الامن د زاندرمرى . .

وقد باعت الولايات المتحدة معدات حربية لإيران ، وهي تنوى تزويدها بمعدات حربية أخرى طبقا لمشروع المساعدات الحربية (Military Aid Plan) أو المساعدات الامريكية بناء على طلبات القروض الدولية التى تتقدم بها إيران لتنفيذ مشروع السنوات السبع للإنشاء والتعمير ، وقد عبر الشاه عن هذه الرغبة في أثناء زيارته لو شنجطون في قوله : « نحن نأمل في الحصول على مساعدة أمريكية فنية ومادية ، كما نأمل — في ظل الامن الداخلي الشامل — أن نحبب المستثمرين الامريكيين في إيران ، ونعتقد أن إيران تعد حقلا طيبا لتنفيذ المشروعات العظيمة التي تضمئها النقطة الرابعة (Point 4) كما يبدو من الخطاب الافتتاحي للرئيس ترومان ، .

ولاتستطيع إنجلترا أن تساهم فى معاونة إيران؛ لأنها مبتلاة بأزمات اقتصادية مستمرة، تجعلها فى وضع لا يسمح لها بتقديم المعونة إلا نادراً ، رغم أن المصالح الإنجليزية التى أنشئت منذ وقت طويل فى تلك البلاد – مشل المصرف الإنجليزى فى إيران والشرق الأوسط، وشركة البترول الأنجلو – إيرانية – لا تزال بالغة الأهمية بالنسبة للطرفين .

وفى صيف عام ١٩٤٩م ؛ دارت مباحثات بين الحكومة الإيرانية والمسئولين في شركة البترول الأنجلو _ إيرانية لمحاولة عقد اتفاقية تزيد الإيرادات التي تحصل عليها إيران من امتياز البترول إلى حوالى ضعف ما تحصل عليه الآن سنويا ، وقد فشلت الدورة البرلمانية الحامسة عشرة في التأثير في الموقف ولكن الاتفاقية نفسها أو صورة معدلة منها سوف تعدها الدورة البرلمانية السادسة عشرة (١) ، وسوف يؤدى النصديق عليها إلى تخصيص المبالغ التي يمكن الحصول عليها لمشروع الإنشاء والتعمير .

ومن الواصع ؛ أن العلاقات بين إيران وروسيا السوفييتية سوف تسنمر معقدة ، قلقة غير مطمئنة ، وقد تقسع الاحتكاكات البسيطة إلى حالات أخرى من نوع خاص ، وقد وجهت الحكومة الإيرانية — في وليه ١٩٤٨م — مذكرة إلى الحكومة الروسية تسالها عما إذاكانت ترغب في إغلاق القنصليات الروسية العشر التي أنشئت في إيران في زمن الحرب ، أو أن تبقيها مفتوحة على أن تسمح لايران بفتح عدد من القنصليات عائل لهذا العدد في روسيا ، ولم تتلق إيران ردا على هذه المذكرة ، ولا على مذكرة أخرى أرسلتها ، فطلبت من الحكومة الروسية — في مارس ١٩٤٩م — أن تغلق جميع القنصليات ماعدا القنصلية التي كانت مفتوحة في إيران قبل الحرب ، وقد وجد هذا الطلب ردا سريعا أشارت فيه الحكومة الروسية إلى تصرفات الحكومة الإيرانية المنافية المصداقة ، والتي اتسمت بالعداء في عدد من الحالات ، وذكرت أن جميع القنصليات الروسية في إيران سوف تغلق ، وطلبت من الحكومة الإيرانية أن تغلق قنصليتها الوحيدة في باكو .

وتحاول الحكومة الإيرانية منذ أوائل عام ١٩٤٧م أن تسترد من روسيا •••و•••و١١جراممن الذهب، و•••و•من الدولاراتو•••و•و٠٠من الريالات ، ورغم أن هذه المبالغ مستحقة لإيران بمقتضى شروط الاتفاقية

⁽۱) كتب المؤلف ما يتملق بهذه المسألة حتى عام ١٩٥٠ وهو زمن تأليف السكتاب ، وقد حدث بمد ذلك تأميم شركة البترول بواسطة حكومة مصدق والأحداث المعروفة التي أعقبت ذلك ، والتي أدت إلى الوضع الحالى في إيران . (المترجم)

المالية التي عقدت بين الدولتين في عام ١٩٤٢ م، فإن الحكومة الروسية استمرت في الامتناع عن الدفع. وحدثت اشتباكات مسلحة على طول الحدود بين الدولتين في فترات مختلفة خلال عام ١٩٤٩ م، اشترك فيها جماعة من الجنود الايرانيين والروس على السواء، وقد حدثت هذه الاشتباكات وفقا لما تقوله الحكومة الإيرانية . حينها عبر الجنود الروس الحدود، أما وجهة النظر الروسية في هذه الحوادث فهي غير معروفة لأن الروس تجنبوا الإشارة إلى وقوعها في صحافتهم وإذاعتهم .

وحوالى أواخر عام ١٩٤٩ م، بدا أن حدة النوتر آخذة فى الزوال، فقد باعت الحكومة الروسية لإيران . . . و ١٠٠ طن مماتحتاج إليه من القمح، وتقدمت المباحثات لعقد اتفاقية تجارية بين البلدين، وكانت التجارة بينهما فى حالة توقف منذ عدة شهور .

وتعد الحوادث التي ذكرت — فيما سبق — وحدها دالة على تصرفات الحكومة الروسية نحو إيران ، ومن الواضح أن الغرض الأساسي للروس هو إغراء — أو إجبار — إيران على إنشاء حكومة موالية للاتحاد السوفيتي ، ومن مظاهر هذا الاتجاه أن الروس يحاولون تشجيع الفوضي وعدم الاستقرار في إيران حتى يتمكن زعماء حزب توده الهاربون — الذين أنكروا قبل ذلك وجود أية علاقة بين حزبهم وبين الاتحاد السوفيتي — من الانضام حينذاك إلى نظام الكومنفورم (Cominform Line) وأن يصروا على عدم اشتراك الإيرانيين في حرب ضد الروس ، وأن يستعملوا أساليب الدعاية السرية لمحاولة إثارة الشعب الإيراني ضد حكومته .

وتهاجم محطات الإذاعة الروسية فى موسكو، وفى منطقة آذربيجان الروسية الحكومة الإيرانية، والشاه، والخطط الأمريكية والإنجليزية الموجهة صد إيران؛ وتوجه نداءات ملتهبة إلى العناصر المختلفة فى الشعب الإيرانى؛ أما فيما يتعلق بالاشياء المتصلة بالمستقبل القريب لإيران بصفة خاصة، فإن الصحافة والإذاعة الروسيتين توجهان هجوما عنيفا لمشروع السنوات السبع للإنشاء

والتعمير وتصورانه في صورة مشروع ذي هدف بعيد ترمى به الولايات المتحدة الرأسمالية إلى تسخير إيران وخفض مستوى المعيشة فيها .

وفى مارس ١٩٥٠ م، نشرت صحافة الكومنفورم فى بخارست ــ مثل جريدتى و نحو سلام دائم، (For a Lasting Peace)، و ونحو ديمقراطية شعبية ، (For a Peoples Democracy) ــ هذا البيان: وإن الولايات المتحدة قد أعدت العناصر المعادية لإيران من العسكريين، والمدنيين تحت ستار ترقية البلاد وإعادة بنائها، وإن المشروع الذى يسمى ومشروع السنوات السبع، لهدف إلى إنشاء الطرق والمطارات والموانئ للأغراض الحزبية، ويرمى الى تثبيت المركز الاقتصادى لكبار ملاك الارض، والإقطاعيين الذين يتصلون اتصالا مباشرا بالدوائر الرأسمالية».

ويبدو واضحا أن الحكومة الروسية لا تشجع النجاح المطرد فى إيران فى الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية ، وإن هذا التصرف من جانب روسيا مطابق لسياستها نحو دول أخرى فى أنحاء مختلفة من العالم .

وصفوة القول أن احتمالات تحقق تقدم سريع مفيد لإيران يتوقف على لإجابة على الاسئلة الآتية :

- ١ حل توجد هيئة كافية من الشعب الإيرانى لديها التصميم والإصرار اللازمان لتنفيذ برنامج شامل للإصلاح والتعمير ؟
- حل ستنجح مجهودات الدّعاية التي تقوم بها الحكومة الروسية في عرقلة
 مشروع التعمير ؟
- ٣ هل ستنخذ الحكومة السوفيينية إجزاءات عسكرية أكثر شدة، أم هل
 سنعقد اتفاقات دولية شاملة تؤدى إلى رفع الضغط السوفييتي عن إيران؟

ملحــق

العلم الإيراني :

نص الدستور الإيرانى على أن يكون الشعار الذي يتخذه العلم الرسمى لإيران مكونا من أسد ذهبي وشمس ، فوق صفحة ملونة بخطوط خضراء وحراء وبيضاء ، وأن يوضع الأسد فوق الجزء الأوسط من الصفحة ، وهو الجزء الملون باللون الابيض ، وأن يكون رافعا سيفا في أحد مخالبه المرفوعة ، وأن تشرق الشمس فوق ظهره .

والشعار تاريخ قديم جدا ، فقد وصف الفردوسي ... في القصة التي أوردها عن سهراب ورستم ... أعلام القواد المشهورين ، فكان من بينهما علم يحمل صورة الأسد ، وآخر يحمل صورة الشمس الصفراء ، والجمع بين الأسد والشمس على أنهما علامة لمنطقة البروج يتضح في منتجات الفن الإيراني ، ولكن أقدم استعمال معروف لهذا الشعار ... على أنه اختراع خاص بأيران ... يوجد في قطعة من العملة الفضية الخاصة بغياث الدين كيخسرو ، ضربت بعد عام ١٢٠٠ م (٩٥٥ ه) بقليل ، وهناك قطعة من القرميد على شكل نجمة تحمل العلامة نفسها ، يرجع تاريخها إلى القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري) . كما أن الصور الصغيرة (المنمنات) ... التي يرجع تاريخها إلى عصور متأخرة ... تظهر الجنود الإيرانيين يحملون علما مزينا بصورة الأسد والشمس ، وتحمل نقود الصفويين ... أيضا ... هذا الشعار ، وقد وضع السيف في يد الأسد منذ العصر القاجاري حينها كان كثير من أنواع النقود يحمل الشعار نفسه .

التقويم الإيراني :

يكون عدد أيام كل شهر من الأشهر السنة الأولى — فى السنة الإيرانية — واحدا وثلاثين يوما، وعدد أيام كل شهر من الأشهر الحسة التالية لها ثلاثين يوما، وعدد أيام الشهر الآخير تسعة وعشرين يوما، أو ثلاثين يوما فى السنة الكبيسة، وتبدأ السنة فى أول يوم من أيام الربيع، أى فى ٢١ أو ٢٢ مارس.

وأسماء الشهور بالترتيب هي : فروردين ، أرديبهشت ، خرداد ، تير ، مرداد ، شهريور ، مهر ، آبان ، آذر ، دي ، بهمن ، اسفند .

وقد اتخذ هذا التقويم الشمسى – بقانون صدر فى عام ١٩٢٥ م – ليحل محل التقويم العربى القمرى ، وحينذاك أحييت أسماء الأشهر الشمسية التى كانت مستعملة فى الأزمنة القديمة .

العملة الإيرانية

النقود:

النقود الذهبية :

جنیه بهلوی ـــ نصف جنیه بهلوی :

يحتوى الجنيه البهلوى على ٧٫٣٢٢ جرام من الذهب الخالص، و هو لهذا يساوى ما يحتويه الجنيه الإنجليزى (صورة الملك) من الذهب، وكان يباع في عام ١٩٤٧ م بمبلغ ٢٠٠ ريال إيراني (١).

النقود الفضية :

عشرة ريالات - خسة ريالات - ريالان - ريال:

وقف سعر الريال الرسمى فى التبادل ـــ فى المدة من عام ١٩٤٣ م إلى ١٩٤٩ م إلى ١٩٤٩ م عند ١٩٤٥ م حند و٢٥٠ و٢٠ ريال لـكل دولار أمريكى، ويشار إلى الريال دائما باسم دقران، وإلى العشرة ريالات باسم دقران، وإلى العشرة ريالات باسم دقران،

النقود الآخرى :

قطع نحاسية قيمتها ٥٠ دينارا — ويساوى الريال ١٠٠ دينار ، وهو يقسم عادة إلى ما يسمى «شاهى». ولذلك فإن كل قطعة قيمتها ٥٠ دينارا

⁽١) يساوى هذا المبلغ ٥٥٠ فرشا بالملة المصرية . (المترجم)

⁽٢) كان هذا قبل خفض العملة في سنة ١٩٥٠ ، وكان سعر الجنيه المصرى حينذاك ١٢٢ ريال . (المترجم)

تسمى « ۱۰ شاهى (۱۰ » و تسمى القطعة التى قيمتهــا ۱۰ دنانير « ۲ شاهى (۲۰ » والقطعة التى قيمتها ٥ دنانير « شاهى (۲۳ واحد » ــــ وقطع من النحاس والالمنيوم قيمتها ٥٠ و ١٠ و ٥ دينار .

أوراق العملة (البنكنوت) :

تصدر أوراق العملة فى فثات هى : ٥ و ١٠ و ٢٠ و ٥٠ و ١٠٠ و ٥٠٠ و ٢٠٠٠ و ١٠٠٠ و ١٠٠ و ١٠٠ و ١٠٠ و ١٠٠٠ و ١٠٠٠ و ١٠٠٠ و ١٠٠ و ١٠٠٠ و ١٠٠ و ١٠ و ١٠٠ و ١٠ و ١٠٠ و ١٠٠ و ١٠٠ و ١٠٠ و ١٠ و ١٠٠ و ١٠٠ و ١٠٠ و ١٠٠ و ١٠٠ و ١٠

وتكون الأوراق ذات القيمة النقدية الكبيرة أكبر حجها، وهي تحمل صوراً مائية لرضا شاه أو محمد شاه، أو مناظر من الطبيعة الإيرانية أو السكك الحديدية الايرانية، أو الآثار التاريخية في إيران.

. . .

الموازين والمقاييس الإيرانية :

منذ عدة سنوات؛ اتخذت إيران النظام المترى، ورغم هذا فإن النظام المعلى القديم ما زال يستعمل على نطاق واسع، وقد عرفنا هنا ببعض الوحدات المعروفة مع نسبتها إلى النظام المترى .

		:	الموازين
٥٧ جراما	يساوى	سير	١
ا جارك(١)	•	سير	1.
۷۵۰ جرام)	^م جارك	١
۱ من تبریزی	•	جار ك	٤
۳ کیلو جرام		من	١
۱ خروار	•	من	1
۳۰۰ کیلو جرام	>	خروار	١

⁽١) تسمى هذه العملة بالفارسية « ده شامى » . (المترجم)

⁽۲) « « « دو شامی» . (المترجم)

⁽۳) ه د د د يك شاهي». (المترجم)

⁽٤) «يَارِكُ» كَلَّة فارسمة مخفقة من «جهاريك» أي «ربع» ويقصه بها ربع المن . (المترجم)

			المقاييس:
١٠٤ سئڌيمتر	يساوى	ز ار	١
۱ فرسنخ	3	زار	4
۰ ۲۲۴ متر	•	فرسخ	١
الفرسخ 7كسلو	•	فرسخ	١
مترات تقریبا وحوالی _۶ أمیال.			

المصادر

Afschar, M. La Politique Europiénne en Perse, Berlin, 1921	- '
A Gift from Radio Tehe.an, Teheran, 1940.	- Y
سالنامه آيريان ، بالفارسية ، طبع حديثا في طهران	· ¥
Bank Melli Iran Bulletin, Teheran, 1934-49.	- i
Beroukhim, M., La Pensée Iranienne a travers l'Histoire Paris, 1938.	,—
Boyce, A. C., «Education in Iran» Iran and the U. S. A (January 1947), Teheran.	. — 1
Chardin, J., Voyages en Perse, et autres lieux de l'Orient Amsterdam, 1811.	,— ¥
Djazeri, C., La Crise Économique Mondiale et ses Repercussion en Iran, Paris, 1938.	1 A
Filmer, H, The Pageant of Persia, New York, 1936.	- 1
Gray, F.A.G. Report on Economic and Commercial Conditions in Iran, during 1937, London, 1938.	5-1.
Hadary, G, «Iran—A Survey of Agriculture,» Foreign Agriculture XIII, 9 (September, 1949).	e, 1 Y
Hamzavi, A.H., Persia and the Powers, London, 1946.	-17
Hayden, L. J., «Living Standards in Rural Iran,» The Middle East Journal, 111,2 (April 1949).	3 — I W
بدایت : نیرنکستان ، فالهارسیة ، طهران ، ۱۹۳۳	
Herbert, I., A relation of some yeares travaile, begunne annu 1526-into Africa and the greater Asia, London, 1634.	0-1•
بران امروز (اليوم) ، بالفارسية ، مجلة شهرية من مايو ١٩٣٨ إلى أبريل ١٩٤٢	1-17
Herzfeld, E.E. Archaeological History of Iran, London, 1935 Kasrovi, M., ۱۹٤٤، على المارك ا	5-14
Lenczowski, G. Russia and the West in Iran, 1918-1948	} ₂ Y =

- Lotz, J. D., «The Iranian Seven Year Development Plan—Y v Problems and Proposals,» Middle East Journal, IV, 1 (January, 1950).
- Millspaugh, A.C., Americans in Persia, Washington, 1946.
- Nakhai, M., L'Évolution Politique de l'Iran, Brussels, 1938.
- Nakhai, M., Le Petrole en Iran, Paris, 1938.
- Navai, M., Les Relations Economiques Irano-Russes, Paris, 1935. Yo
- ۲۲ ــ سالنامه بارس طبع فی طهران حدیثا (بانفارسیة) Pars Almanac.
- Pirnia, H., A Short Survey of the Economic Conditions of YV Iran, Teheran, 1945.
- Pope, A. U., Editor, A Survey of Persian Art, London and -- YA New York, 1938.
- Relations Consulaires du Gouvernement Imperial de l'Iran Y^
 avec l'Union des Republiques Sovietiques Socialistes
 Ministère des Affaires Etrangères, Teheran, 1949
- Report on Program for the development of Iran, International ~ F Engineering Company, Inc., for Morrison-Knudsen International Company, Inc., July, 1947.
- Report on seven Year Development Plan for the Plan—TI Organization of the Imperial Government of Iran, Volume 1. Summary and General Conclusion, Overseas Consultants, Inc., New York, 1949.
- Roberts, N. S.: Economic and commercial conditions in Iran, TY H. M. Stationery Office, London, 1948.
- Sadiq, 1., The Country and People of Iran Iran and U.S.A.—TT (July and August 1946), Teheran.
- Saleh, A. P. «Iran as viewed by American Authors,» Iran—TE and the U.S.A. (May 1946) Teheran.
- Saleh, A. P., A Bibliography of American Authors on Iran To Iran and the U.S.A. (December 1946), Teheran.
- Sandjabi, K., Essai sur l'Economir Rurale et le Régime Agraire * 1 de la Perse, Paris, 1934.
- Shafaq, S.R. «The Iranian Seven Year Development Plan: *Y
 Background and Organization», Middle East Journal, IV, 1
 (January 1950).

- Sotoudeh, H., L'Évolution Economique de l'Iran et: ses TAI problèmes, Paris, 1937.
- Statistique annuelle du commerce extérieur de l'Iran, Ministère ۲۹ des Finances. Administration générale des douanes, Teheran, various years through 1946.
- United Nations: Report by the Security Council to the 4. General Assembly covering Period from 17 January 1946 to 15 July, 1946.
- Upton, J., Archaeology in Iran, Iran and the U. S. A. (June -- 1946), Teheran.
- World Oil (International Operation Issue), July 15, 1949. EY
- Young. T. C., «The Race between Russia and Reform in Iran»—— Foreign Affairs, January, 1950.

ثبت بأسماء الأعلام

ارتاكزرسيس الأول: ٣٢،٣٠ ارتاكزرسيس الثالث: ۳۰،۳۳ أرديل ، ۹۶،۹۹ أردشير: ٤١، ٢٤، ٢٤ أرس: ١٤ أرسطو: ٩١،٧٣ أرغون (المغولي) : ٧٧ أرمينية : ۲۱، ۸۷،۷۹،٤۱،۲۸ ۹۰ أرنولد (ماتيو) : ٥٦ ار نوان : ۹۷ استياجس: ۲۸ أسد آباد: ۲۳ اسماعيل الساماني: ٥٢ اسماعيل الأول (الصفوى): ٩٦٠٨٧٠٨٦ امماعيل الثاني (الصفوى) : ۸۷ أشرف (الأفغاني): ٩٥،٩٠ اصطخر: ۲۷، ۲۹، ۲۹، ۳۷، ۲۲ اصفهان : ۱۵ ، ۱۸ ، ۳۳ ، ۲۳،۲۵ ، · ٧٩ · ٧٤ · ٦٤ · ٦ · . ٥٤ YA , AA , PA , + P , 0 P . 1184 141 1 1 1 1 7 7 1 1 401, 4.7, 3.7, .17, 779 . 777 . 717 اغكند: ۲۶ أفلاطون: ٧٣

(1)Tye. : ١٧٤٠١٣٥ ، ١٣٤٠١٩ : ١٧٤٠١٧٣٠ آبا قاخان (المغولي): ۲۲، ۹۸، ۲۷ آب دز (نهر): ۱٤٣ ، ١٤٣ آذر سحان: ۱۹، ۲۷، ۲۸، ۲۸، 4X 2 PX 2 27 12 07 12 · 177 · 100 · 177 704 . 111 . 176 آشور: ۲۲، ۲۲، ٤٠، ٤٠ آقا محمد خان (القاجاري) : ٩٦ آمل: ۲۲ ، ۲۴ آهورا مزدا: ۴۳، ۵۶، ۷۷ آهورا مزدا ابتهاج (أبو الحسن): ١٨٨ ان سينا: ٥٣ ، ٩١ أبو القاسم الفندرسكي: ٩١ أبو بكر (الخليفة) : ٢٤١ ، ٢٤١ أبو سعيد (الغولي) ٧٠ ، ٧١ ، ٧٣ أبو نصر بارسا : ۸۳ أترك: ١٤ أتسز: ٦٢ أحمد بن بويه : ٥٣ أحمد شاه (القاجاري): ١٠٤، ١٠٧ أدرته: ٩٩ ادوارد: ۲۳۶

أرك: ٢٧

ألغ بيك (التيموري) : ٧٩ ، ٨٠ الغزالي: ١١٣ ، ١١٤ الفرات: ١٧٤ الفردوسي (الشاعر): ٥٥، ١٠٩، القادسية: ٤٩ القاهرة: ٥٨ القدس الم ٨٤ القسطنطينية : ٨٤ ، ٥٥ اللينوى: ٥٩ اللينوي دد: ۲۰۰ المدائن (طيسفون): ٤٩،٤٥،٤٤،٣٩ الدينة: ١٤٩ ، ٠٠ الموصل: ٩٦،٩١ النحف: ٣٤٣ أناراك: ١٣١ أنتونى شيرلى : ٨٨ آندعشك: ١٨ أنطاكا: ٣٨ أهرمن : ١١٣٠ أولجايتو: ٧٥،٧٤،٧٠،٦٩،٠٦٧ إيفانز (فيرنون) : ١٨٣

(ب)

بایل: ۲۵، ۲۹، ۲۹، ۲۹، ۲۸

بازار جاده : ۳۳ ، ۳۷ باکو : ۲۵۲ بام : ۱۷۲ باید و (المغولی) : ۲۷ اكره: ٢٧٩ اكزرسيس: ٤، ٣٩، ٣٩ الإسكندر (المقدوني): ٤، ٣٤، ٣٩، الإسكندر سفروس: ٣٧ ، ٣٢

الإستندر سفيروس : ٢ع الأفستا : ٣٣، ٠٤، ٤٤، ٥٥، ٥٥ الأهواز : ١٤، ١٥، ١٩، ١٦٨،

ألب آرسلان : ٩٠ ، ٣٣ البتكين : ٥٤ البحرين : ٩٥ ، ١٢٨

آلبرز: ۱۱ ، ۱۲۸ ، ۱۳۱ ، ۱۳۸ ، ۱۶۶ ، ۱۶۶

البصرة: ٩٦، ١٧٢ البيروتى: ٥٥، ٥٥ الجامى (الشاعر): ٨١، ٨٦ الحسن بن الصباح: ٣١، ٣٤٢ الحسن بن بويه: ٣٥ الحسن بن على: ٧٠، ٣٤١، ٣٤٣

الجوینی : ۷۱ الرودکی (الشاعر) : ۵۳ . الری :۲۵،۷۵،۰۵۲،۰۵۲ (۲۵،۲۵۰۹،۵۷۰ السلطانیة : ۲۹ ، ۲۲۲ السوس : ۲۳، ۲۵، ۳۵، ۳۵، ۳۵، ۳۵ ، ۲۲۱ المباس (عم الرسول) : ۲۲۱

728 . 727

العباس (عم الرسول) : 81 العنصرى (الشاعر) : 00

باریس: ۱۰۰۰ بايسنقر (التيموري): ٨٠ مجار: ١٩٠ بحر قزون : ۱۳ ، ۱۸ ، ۱۸ ، ۱۹ ، 177 · 76 · 77 · 77 · بيروت : ۱۲۸ 44 . YO . Y. . 44 <117:1.0.1.1.4V 147.141.140.114 بىزنطة: ٢٤ ، ٣٤ 1771188118 ... 149

> غارست: ۲۵٤ غاری: ۵۰،۲۵،۴۵،۵۰، ۱۸۱ Y0 . Y0 . YA

171417-4174417A

مدخشان : ۷۰ برجند: ۱۵۹ ، ۲۰۱

رسبوليس : ۱، ۲۲، ۳۱، ۳۳، 174 . 47 . 45

يسطام: ٤٧

خداد: ۱۵، ۲۵، ۳۵، ۴۵، ۲۲،

· AT' YA · Y\ · \A · \\ **781 · 177 · 17A · 177**

بلخ : ۲۹ ، ۲۷ ، ۲۸ ، ۲۲ ، ۲۹ ،

٥٢ ، ٦٨

باوخستان: ۱۲۹: ۲۰۸

بندر بهاوی : ۱۰۲ ، ۱۱۸ ، ۱۷۳

بندر شابور : ۱۷۰ ، ۱۷۳ ، ۱۷۶

بندر شاه : ۱۷۰ ، ۱۷۳

بندر عياس: ۱۷۲،۱۰۵،۱۸۲ ، ۲۷۶

تدر کاز: ۱۷۳ ميرام الأول : 63 بهزاد (الرسام) : ۱۸٬۷۸٬۶۸۰ ه۸ بهستون (الزياري) : ۵۳ يوشهر: ۲۷۲ ، ۱۷۳ ، ۲۰۲ بویس (آرثر): ٥، ۱۹۸ بيرس (جيمس): ١٨٩

(ت)

تاج الملك الشيرازي : ٦٤ تای آباد : ۸۳

ترز: ۲۷، ۸۲، ۷۷، ۵۷، ۵۷، ۸۷، PY > 7K > FK > PK > PK > 11.011.811.41.44 174117-11-11-11-1-1 **۲-۷: ۲- ٤: ۲-٣: \ \ \ : \ \ -444.41.**

تراجان: ۲۹۰

تربت شيخ جام : ٨٣

ترومان : ۲۵۱

تشرشل: ٤ ، ١٢٣

تكودار (الغولي) : ۲۷

توده (حزبسیاسی) : ۱۲۲ ، ۱۲۳ ،

· 100 · 179 · 17Y

YOY . YEX . 1VY

تيمسور: ۲۷، ۷۷، ۸۷، ۱۸، 7A . 7A

(خ)

خانقين : ١٣٥

خراسان : ۱۹ ، ۲۰ ، ۲۰ ، ۲۰ ، ۲۰۵۲، ۲۰

30, 20, 17, . 4,14,

149 , 97, 90

خرکرد: ۸۰

خرم آباد : ۱۹۸

خرمشهر: ۱۹، ۱۲۱، ۱۲۸، ۱۷۲، ۱۷۲،

175 . 174

خسرو الأول : ﴿ أَنُوشِيرُوانَ ﴾ : ٤٣

خسرو الثانى: ٤٣ ، ٨٨

خوارزم: ۲۹، ۵۰، ۲۲، ۲۷

خواندمير: ٨١

خوزستان:۱۸۹،۱۲۳،۱۳۹،۳۸۰

(٤)

دارا الأول : ٤ ، ٢٩ ، ٣٤ ، ٣٥

دارا الثاني : ۳٥

دارا الثالث: ۳۰، ۳۲، ۲۷

دامغان : ۲۳ ، ۲۷ ، ۲۷ ، ۲۲۲

دجلة : ١٢ ، ٥٥ ، ١٧٢

دشت کویر: ۱۷۱۹

دشت لوت : ۱۹ ، ۱۷

دماوند: ۱۱

دمشق: ۸٤، ٥٠، ۲٤١، ۱٦٨

دهلي : ه٩

دعوت : ۲۵

(ج)

جاج رود (نهر): ١٥٤ ، ١٤٤

حاسك: ١٧٣

جالوس (نهر): ١٥٣ ، ١٥٣

جرجان (مدينة) : ۲۳ ، ۲۲

جرجان (نهر) : ١٤

جرماغون (اللغولي) : ٣٦

جرو (روبرت) : ۱۸۳

جمفر الصادق: ٣٤٣

جفتای (الغولی): ۲۹

جلال الدين الروى : ٧١ ، ٧٧

١٩٩ ، ١٠٩ ، ٧٩ : الماب

جندی شابور : ٤٤

جنكيزخان (اللغولى) : ٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ،

14 174

جنسوه: ۷۷

جهانشاه (القره قويونلي) : ۸۳

جوردان (صمویل مارتن) : ۱۹۸

جيحون: ٥٠، ٥٥

(ح)

حافظ الشيرازي : ۸۱،۸۱

حسين بايقرا: ٨٠ ، ٨١ ، ٥٨

حسين بيرنيا: ٥

حصارك: ١٩٨

حلب: ۸۳، ۹۸

حمد الله مستوفى القزويني : ٧١

ستالين: ٤ ، ١٢٣

سجستان (سیستان) : ۲۰ ، ۲۱ ، ۲۵، 30,74,681 سريل: ۲۳ سرديس: ۳۱: ۱۹۳، سروستان : ٥٤ ، ٢٤ سعدى (الشاعر): ١١٣،٧٢،١١١ سفید رود (نهر) : ۱۶ سلاميس: ۳۰ سلطانحسين (الصفوى) : ٩٠ ، ٩٠ ساوكية : ٤٠ سليم الأول : ٨٧ سلمان القانوني (السلطان المماني) : ١٨٨ سلَّمان (الصفوى) : • ٩ سمرقند: ۲۸۱،۸۰،۷۷،۷۸،۱۸۱ 1 - 1 - 1 - 1 سمنان: ۱۳۳ سنجر (السلحوق): ٦٢، ٦١ سوادكوه: ١١٦ سياكزارس (ملك ميديا) : ۲۷ سکس: ۱۰۵ (ش) شابور (مدينة): ١٤٤ ، ٥٤ شابور الأول : ٤٢ ، ٥٥ شابور الثاني : ٢٤ شاهرخ (الأفشاري) : ٩٦ شاهرخ (التيموري) . ٧٩ ، ٨٠ شاهرود: ۱۷۱، ۱۷۲،

(c) رزجت: ۸٥ رشت: ۱۹۷، ۱۲۹، ۱۲۹، ۱۹۷ رشيدالدى فضل الله: ٧١،٧٠،٦٩،٦٨ رمنائية: ۱۹۷،۱۹۳،۱۳۹،۱۳، ۱۹۷، رصاشاه بهاوی: ۱۱۷،۱۱۸،۱۱۸۰ .177.171.17. 171 1831 2012 .177.177.100 XY1 > PY1 > 777 > روزفلت : ٤ ، ١٢٣ روشنك (روكسانا) : ۳۷ روما: ٤٤ رومانوس دىوجينيس: ٩٠ رویتر : ۱۰۰ (j) زاجروس : ۱۱ زاهدان: ۱۲۹، ۱۷۲، ۱۷۳ زاينده رود (نهر): ۱۵، ۸۹، ۱۶۳، زردشت: ۱۳۲، ۲۵، ۲۳ زیجان: ۱۳۱ زواره: ۹۳ (w) سارجون (الملك الآشورى): ۲۷ 124.40:05

سروار : ۱۳۱ ، ۱۳۰

طهماسبالأول الصفوى: ۹۳،۸۷،۸۶ طهماسب الثانى الصفوى: ۹۵

Y014789 4 788 4 78 .

(ع)

عباس أفندى ابن بهاء الله : ٩٩ عباس الأول الصفوى : ٨٩٠٨٨٠٨٧ ،

عباس الثانى الصفوى: • ٩ عباس الثانى الصفوى: • ٩ عباس الثالث الصفوى: • ٩ عبد الله الأنصارى: • ٩ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٤ عبدان (آبادان): • ٩ ، ١٧٣ ، ١٧٤ عبان (الحليفة): • ٥ ، ١٤٢ عبان الدولة البوجى: • ٥ ، ١٤٢ عضد الدولة البوجى: • ٥ ، ١٤٢

هاه مظفر (الرسام) : ۸۱ شاهی : ۲۰ ، ۲۰۶ شاهی : ۲۰ ، ۲۰۶ شتین (أورل) : ۲۳ شرف الدین علی البزدی : ۸۳ شریف آباد : ۲۶۱ شستر (مورجان) : ۱۰۵ ، ۱۸۰ شیخ بهائی : ۹۱ شیخ بهائی : ۹۱ شیراز : ۱۸ ، ۲۶ ، ۲۰ ، ۲۸ ، ۲۸ ، ۲۸ ، ۲۰۶ شیکاغو : ۲۰ ، ۲۰۶ ، ۲۲۲

(w)

سنی الدین الأردییلی : ۸۹، ۹۳، سنی (الشاه الصفوی) : ۹۰ (ط)

طاق بوستان : ٤٨ طاق كسرى : ٤٦ طاهر (ذو البمينين) : ٥١ طباطبائى (ضياء الدين) ١١٩ ، ١٧٣ ، طبرستان . ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤

طبرستان . ۵۲ ، ۵۳ ، ۵۶ طرابلس : ۷۲ طقشند : ۱۰۱

طغرل بك السلجوقى : ٥٥ ، ٣٠ ، ٦٤

فروغی : ۱۲۲ فريد الدين المطار : ٣٢ فلسطين : ۲۹ ، ۶۹ ، ۲۳ ، ۹۹ فوزية: ١٢٩ فروز آناد: ٤٦ فالادلفا : ٣٣ فيليد: (أبو الاسكندر): ٣٦ فتسا: ۷۰، ۹۷ (ق) قابوس بن وشمكير (الزياري) : ٥٣ قارون (نهر) : ۱٤٤٠١٤٣٠١٤٤١ قاسم على (الرسام) : ٨٥ قائن: ۱۸ قياد (الساساني) : ٥٤ قتيبة (القائد العربي) : ٥٠ قره يوسف: ۷۸ قزوين (مدينة) : ۲۲۲،۱۶۸،۱۱۳ قصر شيرين: ٥٥ ، ٢٩ قلعت نادری : ٥٥ قر : ۱۷۲٬۱۳۲٬۱۵۹٬۷۵٬۱۳٬۱۵۲۰ 724.17.17.137 قندهار : ۹۰، ۹۶ قوام السلطنة : ١٧٨ قورش: ٤٩،٣٧، ٢٩، ٢٩، ٢٩، ٤٩٠٣٤ (4) کابل: ٥٥

المات : ۷۰، ۷۶، ۹۶، ۱۵

174 : 17.

99: K_s علاء الدين جهانسوز: ٥٥ على من أبي طالب : ٢٤٣٠٢٤١٠١١٢ على الرضا: ٢٤٤،٢٤٣،١٠٥،١٠٣١ عليشاه (الوزيرالغولي): ٧٤،٧٠،٦٩ على (باشا) صالح : ٥ علیشر نوائی : ۸۱ ، ۸۵ عمر (الخليفة) : ٢٤١ عمر الحيام: ٩٠ ، ٩٣ ، ١١٣ عمرو بن الليث الصفارى : ٥٢ عسي سادق: ٥ (غ) غازان خان (المغولي) : ۲۷ ، ۲۸ ، YE+Y+ + 79 غزنه: ٤٥،٥٥،٥٨ غياث الدين الجاي (النساج): ٩٣ غاث الدين على البردى : ١٤ **(ف)** فارس: ۲۷، ۲۹، ۲۹، ۲۹،۲۶،۲۶،۶۶، 1X1V-108 107 127120 144 . 174 فاروق : ۱۷۹ فاطمة (بنت رسول الله ع) : ٧٤١ فاطمة (أخت على الرضا) : ٢٤٣ طالريان: ٢٤ فتحملي شاه : ۷۷ فرايتس: ٣٩

فردوس: ۱۷

عمد (رسول الله) : ۲۲،۲۱ ، ۲۲،۲۱، 722.724.721 محمد (السلطان السلجوقي) : ٦٣ محمد (السلطان الحوارزمي) : ٥٥ ، 74: 70 محمد خدابنده (الصفوى) : ۸۷ عمد (القاجاري): ۹۹،۹۸ عمد رمنا بهاوی : ۲ ، ۱۲۲ ، ۱۲۹، 40V.45V.1V4 عدساعد: ١٢٩ 17. PY 1941 Y 1941 OF 10 PY 10 . 4 - 1 4 / 4 / 4 / 4 / 4 / 4 722 477 47.4 47.7 مشهد سر : ۱۷۶ مظفر الدينشاه (القاجاري):٢٠٧، ١٠٣، مماوية: ٢٤١ مقصود الكاشاني: ۹۳ 71.17.19.19.19.19 ملاسدرا: ۹۹ ملايد: ۱۹۸ ملسبو: ١٨٥ ، ١٨٦ ملكشاه (السلجوقي): ٦٧،٦١،٣٠-مهجارا: عه موسكو : ١٢٥ ، ٢٥٣ ميانه: ١٧١ مبرانشاه من تيمور: ٧٨ میرخواند : ۸۱ ، ۲۸ ميرزا حسين (بهاء الله) : ٩٩

ميرزا على (الباب): ٩٩ ، ٩٨

ميرزا يحي (خليفة الباب) : ٩٩

کانساس: ۲۳ كريلاء: ١٤١ ، ٣٤٢ ، ٤٤٢ کوچ (نهر) : ۱۹۸ ، ۱۹۸ ، ۱۹۹ کرمان: ۲۰، ۵۰، ۲۰، ۸۲، ۲۰، ۹۰ · 127 · 170 · 171 · 97 .4-4.174.174.104 777 . 717 كرمانشاه: ۱۸ ، ۲۰۳ كريم خان (الزندى) : ٩٧ ، ٩٧ كورانجون: ۲۲ کورنیل تریند: ۲۰۰۰ کوهر شاد (زوجة شاهرخ) : ۲۹ كيخاتو (المغولي) : ٦٧ (J)لاد (نهر) : ١٤٤ لازم: ۸۵ لطفعلي (الزندي) : ۷۷ لمبارديا: ٧٠ لندن : ۱۳۳ انسكه: ١٧٤ لورستان : ۲۳ ، ۲۵ ، ۲۷ لباكهوف: ١٠٤ (4) ماراثون (موقمة) : ۲۹ مازندران: ۲۷، ۱۱۹، ۱۳۴ ماني : ٥٤ ما وراء النهر (إقليم) : ٥٨،٥٤،٥٢ ،

1575V1KV

هرتسفلد (أرنست): ۲۳ هرقل: ٣٤ ، ٤٩ هروز (جزيرة) ١٣١ ١٣١ هرمزد الأول (الساساني) : 30 هرميناج : ٨٤ هزير: ۱۲۹ * 17.4 . 17 . 17 . 17/1 . 1/1 . Y+# : 14V هولاكو (المغولي) : ۲۳ ، ۲۷ ، ۲۳ هيدن (ليل) : ٢٠٠٠ هیرودوت : ۲۰۸،۳۱، ۱۰۸ **(e)** وارقه: • ٤ وأسموس : ٥٠١ ورامين : ٤٤ ، ١٤٤ وشمكير (الزيارى) : ۳۰ وشنجتون : ۱۸۲ ولمت (مدينة) : ٩٩ وليام دي آرسي : ١٣٣٠ ونسور : ١٩٩ (ی) يد: ۱۷ ، ۱۸ ، ۷۰ ، ۲۵ ، ۲۷۱، **777 : 717** يزدجرد الثالث: ٣٤٧ ، ٢٤٧ يزيد بن معاوية : ٣٤١ يستكند: ٩٤ يمقوب بن الليث السفاري : ٢٥

يوسف ابتون : ٥

(0) نائين: ٨٥ نابليون: ٧٧ نادر (الأفشاري) : ه ، ٩٩ ناصر خسرو: ۹۳ ناصر الدين شاه (القاجاري) : ٩٩ ، 1.4.1. نخجوان: ۲۶، ۹۷ نصر بن أحمد الساماني : ٢٥ نصير الدين الطوسي : ٧٢ نظام الدين الشامي : ٨٢ نظام الملك (الوزير) : ۲۰ ، ۲۶ نظامي المروضي السمرقندي : ٣٣ نظامی الکنجوی (الشاعر): ۲۲ نطنز: ٧٤ نقش رستم : ۲۳۳ نهاوند: ۶۹ توشهر : ۱۷٤٠ ئيسور: ٥٠٠ نيريز: ٧٥ نيسابور: ١٥، ٥١، ١٢، ٥٠، ٥٧ سيفادا : ١٨ نينوي : ٣٤ نيو بورك: ٢٨٢ **(a)** هابله (نهر) : ۵١ هارون الرشيد: ٥٩ هراة: ۲۵، ۲۱، ۲۵، ۲۸، ۲۸، ۸،

ንለን ማሊነ ያለነባሉ፣ ፖሊነ ሦሊ፣

44.44 .40 .4.

تما	سأ					
ز	3	•	•	•	الشورابى	تقديم : بقلم الأستاذ الدكتور إبراهيم أمين ا
ح		٠	-	•		خريطة إيران
7-	\	•	•	٠	• •	مقدمة للؤلف
-311	٧	•	•	•		راث إيران · · ·
Y• -	•	•	•	٠		الفصل الأول : الميزات الطبيعية .
•			-	•		كُ و اللوقع
١.		•	•			الجيولوجيا والطبوعرافي
\ W			•	•		\الرى والصرف .
١٤			-			الأنهساد .
10			•			البحار والبحيرات .
17				•		الصحاري
17		-	•	•		السلخ
1.7-	41			•	- •	الفصل الثاني : التأديم .
۲١		•	-		تاريخ	. 🗸 إيران في عصر ما قبل اا
-40		•	•		,	إيران قبْلُ الأُكْمِينِينِ
44		•	•		- •	العصر الأكميني .
44			-			العصر الساوق .
۳۸		•				عهد البارثيين .
13		•		,		المصر الساساني .
A3			•			🖊 🖊 الفتح العربي لإيران
e/		-	•	•	إران	﴿ الْمُعْلِمُ الدويلات المحلية في
04		•	•	•		/ العمر السلجوقي .
મું છ		•		•		. العصر المفولي .

٧					- ۲ '	٧٢ -	-
تعف							
**	•	•	•	•		•	العصر النيموري
٨٦	٠			•	•	•	العصر الصفوى
90	•	ين	احاري	ن والق	ِ نديي از	ن وال	عصور الأفشاريين
1181-4	•	٠		•	1	برانية	لفصل الثالث: طابع الحضارة الإ
011-337	•		•	•		•	إيراق الحديثة
179117	•	•	•			•	لفصل الرابع : العصر البهاوى
184-14.	•			•		•	لفصل الخامس: موارد الثروة
14.				ار	الأحج	ن و	أنواع التربة والمعاد
144							البترول .
144							النيات والتربة
184					ی	م الر:	موارد الياه ونظا
184	•	•			•	•	وسائل الزراعة
177-129	•	جاري	يل الت	والتبا	اخلية	ة الد	لفصلالسادس: الصناعات والتجار
189							الصناعة والتجارة
100			•				التجارة الحارجية
104	•		•				الواردات .
104		٠	•		•		الصادرات.
771-371		•		•			لفصل السابع: النقسل .
174							الطرق .
174		•	•				السكك الحديدية
177							الخطوط الجوية
. 174							الملاحة .

مفعة				
07/ - P+7		•	•	الفصل الثامن ﴾ نظم الحكم في إيران
140				الحكومة النيابية
144				الشاه .
1.4+	•			وثيس الوزراء ومجلس الوزراء
۱۸۰	•	•	•	الوزراء بلا وزارة
١٨٠	•	•	•	وزارة البلاط
141	•	•	•	« الحارجية
144	•	•	•	« الحربية
1/4	•	•	•	« الللية عن »
١٨٨		•	•	« الداخلية
19.		•	•	« العدل
191	•	•	•	« التربية والتعليم
191	•	•		« الزراعة
Y • •		•	•	« الصحة
3.7		•	•	 الاقتصاد الوطنى
Y + 0	•		•	« المواصلات
7.7				 ۵ الريد والسرة والبرق
۲۰۸	•			« الممل »
* / Y 5 3 Y	•	•		الفصل التاسع: الشحب
۲۱.		•	•	ء السكان ∫
717		•	٠	القبائل البدوية
417	•	•		القرى والحياة القروية
441		•	•	البلاد والمدن والحياة المدنية . الدين الرسمى فى إيران .
48.	•	•		الدين الرسمى فى إيران 🚶 🖟.
702-720				مستقبل إيران . ل

مبقحة					
798-750	•	•	•		الفصل العاشر : الشروعات والآمال المرتقبة
007-107					O.
700					العلم الإيراني 🖊
400			٠	•	التقويم الإيراني ل .
707					العملة الإيرانية /
404		•			الموازين والقاييس الإيرانية
771-109	•				المادر المادر
777-•77	٠			•	ثبت بأسماء الأعلام

بطبعت تهضت بعث

